التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الخامس عشر

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الخامس عشر

الأستاذ الدكتور

عبّـــاس عَليٍّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية

طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء الخامس عشر

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّـــاس عَليّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣١٥

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما
هاتف: 009647801233129
E-mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ

وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

سورة الحُجُرات

مدنية، وهي ثماني عشرة آية

غرض السورة بناء المجتمع الإيماني السويّ، فعرضت الأوامر التربوية التي بها يضمن المجتمع استقراره وسلامته، ويحقق السعادة لأفراده، فتقاسمت السورة ثلاثة فصول، عرض الأول ولاسيما في الآيات الخمس الأولى الطريقة السويّة التي ينبغي للمؤمن أن يتعامل بها مع الله ورسوله، وفي فصلها الثاني عرضت الأوامر والنواهي التي تتبنى العلاقة الصالحة للإنسان مع أخيه الإنسان، وبما يضمن تحقيق العلاقة المثلى للمخالطة والامتزاج، وأما الفصل الأخير فقد عرضت لأحوال الأعراب وجفوة أخلاقهم، وقدمت الأسس الكفيلة بما يصلحها، ورغبت عليها بالوعد بالثواب الجميل، وانتهت السورة بتفاصيل التعريف بحقيقة الايمان والإسلام، وفرقت بينهما في الجوهر، ووضحت صفات المؤمن وأثابت عليها، ومعاني السورة تؤيد كونها مدنية النزول إلاّ ما قيل في قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) الآيات الخمس الأولى من السورة تعليم من الله تعالى للمؤمنين مقتضيات الأدب مع الله ورسوله.

والنداء بصفة الإيمان من الابتكارات القرآنية التي ميزت أمة محمد ﷺ عن باقي الأمم الموحدة، دال على الحجة بوجوب الامتثال، ومشعر بما بعده من تكليف وتعليم.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما سلت السيوف، ولا أقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف، ولا جهر بأذان، ولا أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) حتى أسلم أبناء قبيلة الأوس والخزرج. ذكر في المجمع. انتهى.

والنهي (لا تقدموا) بمعنى: لا تتقدموا، ومعناه السبق والتقدم عند المشي، والكناية (بين يدي الله ورسوله) كناية عن الأمام، وإضافة (يدي) إلى الله دون الاكتفاء بلفظ الرسول لإفادة أن المنهي عنه أمر مشترك بين الله ورسوله يتعلق بالأحكام.

فيكون التركيب المجازي بمعنى: لا تسبقوا الله ورسوله في حكم بقول أو عمل من دون الرجوع إليهما.

وعلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في أهل البيت عليهم السلام: لا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى. وهو نظير قوله تعالى في صفة الملائكة (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) [الأنبياء: ٢٧].

قوله (واتقوا الله إن الله سميع عليم) امر بعد نهي، واتقاء الله بمعنى اجتناب مخالفة أوامره ونواهيه، وعلل النهي والأمر بأنه تعالى سميع كثير السمع لأقوالهم، عليم كثير العلم بأعمالهم.

والإظهار للفظ الجلالة في موضع إضماره، دال على التأكيد، وترسيخ أن يكون مثلا محفوظا في الأذهان.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أعيدت صيغة النداء لاقتضاء تأكيد النهي التأديبي.

وأصل فعل الرفع للأعراض، وظرف الفوقية استعارة مرشحة، والصورة استعارة بالكناية عن الجهر بقوة صوت الكلام وإعلائه فوق كلام النبي ﷺ عند مخاطبة بعضهم بعضا، والنهي عنه لأنه مناف للأدب وتوقير مقام النبوة، والإتيان بلفظ النبوة لتعليل النهي.

قوله (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أصل الجهر العلن والظهور، وهو كناية ثانية عن رفع الصوت غير أنها مقيدة بمخاطبته بدليل تعدية فعل الجهر باللام، أي: لا تقولوا له ولا تتكلموا معه بصوت عال، لأنه

مما يسيء إلى مقامه أو مما يدل على الاستخفاف به، فمقام النبوة لا يشبه مقام عامة الناس عند محاورة بعضهم بعضا، فلا يجوز الكلام معه من دون مراعاة أدب تخاطب العظماء والتواضع بحضرتهم في وجوب خفض الصوت.

قوله (أن تحبط أعمالكم) أي: لئلا تحبط أعمالكم، تعليل للنهي، وحبوط الأعمال سقوطها بفقدان أثرها يوم القيامة، لأنها تصبح فاقدة للثواب موجبة للعقاب لمخالفتها نواهيه تعالى.

قوله (وأنتم لا تشعرون) جملة موقعها الحال من ضمير (أعمالكم)، ونفي الشعور لأنهم لا يقدرون تبعة مساءة فعلهم المنهي عنه، والكلام نظير قوله تعالى (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) [النور: ١٥]، وفي قوله (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) [الزمر: ٤٧].

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾

قوله (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الكلام تقرير لمضمون الآية السابقة، وتشويق للملتزمين بالنهي بالوعد الجميل من الله.

ولفظ الغض كما قال في المجمع: الحط من منزلة على وجه التصغير، يقال: غض فلان إذا صغر حاله من هو أرفع منه، وغض بصره إذا ضعفه عن حدة النظر. انتهى.

وغض الصوت في الكلام نقيض رفعه، وهو خفضه عند مخاطبة الرسول ﷺ، ومضارع فعله للاستمرار والمداومة، والتعبير بـ (رسول الله) مثل علة التعبير بلفظ (النبي) لفائدة بيان الحجة في الحكم.

قوله (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) لفظ الإشارة للتنويه بالمؤمنين بما سيخبر عنهم، وامتحان الله اختباره لتحصيل العلم، والله تعالى عالم لا يحتاج اختبارا، وإنما هو مجاز في تعويد قلوب المؤمنين على التقوى، وذكر القلوب مجاز في إطلاقها على النفوس، واللام في (للتقوى) بمعنى: لأجل التقوى، ولفظ التقوى دال على تمثيل الإيمان بأوامر الله ونواهيه بالعمل.

قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) تقديم (لهم) لأهمية المخبر عنهم، وتنكير (مغفرة) للتعظيم، وكذا لفظ الأجر، وتقديم الغفران على الأجر، لأن الثاني مترتب على الأول.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾

قوله (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) الكلام مصداق لعلل النواهي السابقة برفع الصوت، والمناداة رفع الصوت، وفعل المضارع لاستحضار الحال الماضية للمسيئين للأدب مع النبي ﷺ، وتقييد المناداة بحال كونه (من وراء الحجرات) لتشنيع إساءة النداء، ودال على أن المنادين قوم جفاة

مستحقون لما أخبر عنهم، لأنهم لا يراعون موجبات التوقير للنبي ﷺ، وحرمة بيته.

ولفظ الوراء دال على معنى الحاجز بين المنادي والمنادى، والحجرات جمع حجرة، وهي القطعة المحجورة من الأرض الممنوعة على غير حاجره، دالة على حرمة خصوصية الرسول ﷺ واحترام خلوته وراحته مع أهل بيته ونسائه، فقد كان له تسع حجرات أبوابها من مسوح الشعر الأسود متصلة بالمسجد.

قوله (أكثرهم لا يعقلون) لفظ الأكثرية للاحتراز من ذم الأقلية التي لم تناد، ونفي العقل عن المنادين يراد به مساواتهم بالبهائم في انعدام الفهم في التأدب بحضرة النبوة.

وقيل إن للآية سبب نزول متصل بما تقدم وهو قدوم وفد تميم إلى النبي ﷺ، ومناداته باسمه على حجراته للخروج للقائهم، وقيل غير ذلك من روايات مضطربة حول أسباب النزول.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

قوله (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) جملة افتراض، أي: ولو أنهم صبروا ولم ينادوك حتى تخرج إليهم للقائهم لكان ذلك أفضل لهم من الإساءة إلى مقام النبوة، وأدعى لحسن الأدب.

قوله (والله غفور رحيم) الإخبار بكثرة غفران الله وشدة رحمته، مضمونها العفو عنهم، لأنهم لم يقصدوا الاستخفاف بحرمة النبي ﷺ في مناداته بطريقتهم التي اعتادوها.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) النداء للتنبيه في تلقي الآداب الإسلامية، و(إن) الشرطية دالة على أن فعله مما ينبغي ندرة وقوعه، والفاسق الخارج عن طاعة الله، والباء في (بنبأ) لتعدية الفعل، والنبأ الخبر العظيم الشأن، والفاء في (فتبينوا) واقعة في جواب (إن)، والتبين في الخبر تطلب بيانه وظهور أمره ووضوحه، والتثبت فيه والتحري عن صدقه، وفعله متعد ولازم، وهنا استعمل على سبيل اللزوم بمعنى الاتضاح والظهور.

قوله (أن تصيبوا قوما بجهالة) جملة تعليل للشرط وجوابه، أي: كراهة أن تصيبوا قوما بجهالة، وتنكير (قوما) للنوع، وشبه الجملة (بجهالة) موقعها الحال، والباء للملابسة، أي: متلبسين بجهالة، والجهالة نقيض العلم، وتنكيرها للتهويل.

قوله (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الفاء للتفريع، ومعنى: تصبحوا: تصيروا، وتقديم شبه الجملة للاهتمام، والندم الحسرة على ما فات أخذه.

والآية تدعو إلى التثبت في ترتيب الأثر على السماع، فملاك الحجة في العمل النظر والمشاهدة، أما الاعتماد على النقل فمما يكمل به الإنسان نقص علمه، ولاسيما في خبر الآحاد المكشوك فيه، أما الأخبار المقطوع بها في قوة الدليل والتواتر فهي خارجة عن الحكم، وفي نهج البلاغة قوله ﷷ: أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع، فسئل ﷷعن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت. انتهى.

والكلام في الآية ـ وإن كان عاما ـ إلاّ إن سبب نزوله يزيده ترسيخا في الذهن، فقد ذكر في المجمع أنه: نزل في الوليد بن عقبة بن معيط، بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه فرحا به، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية، فظن أنهم همّوا بقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوا صدقاتهم، وكان الامر بخلافه، فغضب النبي ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فنزلت الآية، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾

قوله (واعلموا أن فيكم رسول الله) الخطاب للمؤمنين متصل بما قبله معطوف على قوله (فتبينوا) من تتمة التعليل، وفعل أمر العلم لتنبيههم، ومعنى تقديم

الظرف (فيكم) اختصاص ملازمة الرسول ﷺ لهم واستقراره بينهم، والإتيان بـ (رسول الله) علة لمضمون تنبيههم في إلزامهم بطاعته والرجوع إليه في أمر اتباع خبر الفاسق الوليد بن عقبة، فقد ذكر أن قوما من المسلمين كانوا مصرين على تصديق خبره.

قوله (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم) جملة تعليل لمضمون لزوم رجوع المسلمين إليه، وهو أنه لو انقاد إلى كثير من أهوائهم لتعبوا وشق ذلك عليهم وهلكوا.

قوله (ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم) الاستدراك عن معنى إشرافهم على العنت والهلاك، وهو أنه تعالى جعل الإيمان بالله محببا إلى قلوبهم تنجذب إليه نفوسهم بفطرتها فيتعلقون به، ويعرضون عما يشغلهم عنه.

والتحبيب جعل الشيء محبوبا، يصلح أن تتعلق النفس به، والتزيين التحسين والتجميل.

قوله (وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان) جملة مقابلة لما قبلها معطوفة عليها، والتكريه جعل الشيء مكروها تنفر منه النفس ولا تتقبله، والفسوق بدلالة ما قبله أريد به الكذب، والعصيان المعصية.

قوله (أولئك هم الراشدون) لفظ الإشارة الجمعي لتمييز المتصفين بحب الإيمان وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، ترغيبا لغيرهم بالاتصاف بهم، وضمير الفصل (هم) للقصر، والراشدون أهل الرشد من العقلاء.

قوله تعالى ﴿ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ ﴾

قوله (فضلا من الله ونعمة) الفصل للتعليل، ونصب فضلا ونعمة على المفعولية المطلقة، أي: إن ذلك التحبيب للإيمان والتكريه للكفر والفسوق والعصيان تفضل به الله عليكم فضلا وأنعم به عليكم نعمة.

قوله (والله عليم حكيم) أي: والله تعالى عليم في أغراض عطاياه، حكيم فيما يصنع، وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار لترسيخ فائدة ذهاب التذييل مثلا محفوظا في الأذهان.

قوله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾

قوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) توجيه للحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي، وإفادة استعمال (إن) دون (إذا) للإشارة إلى أن الشرط ينبغي أن يكون مما لا يقع، والطائفة المجموعة من الناس التي تطوف حول أمر ما وتجتمع عليه وتنتصر له فيوحدها، وتقديم اللفظ (طائفتان) على فاعله (اقتتلوا) للعناية به، و(من) بيانية، وصيغة الاقتتال التشارك في فعل القتال، وضمير الجمع في فعله باعتبار المعنى الجمعي في الطائفتين، وأما

ضمير التثنية في (بينهما) فباعتبار ظاهر اللفظ، والإصلاح بين الطائفتين إزالة ما فسد بينهما، وإرجاع السلام إليهما.

قوله (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي) الفاء للتفريع، والبغي الاعتداء والظلم، والضمير في (إحداهما) راجع إلى إحدى الطائفتين، والفاء في (فقاتلوا) واقعة في جواب (إن) الشرطية، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة الأمر بالقتال.

قوله (حتى تفئ إلى أمر الله) تفيد (حتى) معنى: إلى أن، والإفاءة الرجوع، ولذا تعدى بحرف الانتهاء، وأمر الله ما أمر به سبحانه في عدله وقضائه.

قوله (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) الفاء تفريع بعد تفريع، والفاء الثانية واقعة في الجزاء، وضمير التأنيث في (فاءت) راجع إلى الطائفة المتعدية، وتقييد الإصلاح بحال العدل لإفادة عدم الاكتفاء بوضع السلاح بين الطائفتين دون إجراء أحكام الله بحق المعتدية على حرمة الدم والمال والأرض.

قوله (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) العطف على (فأصلحوا) عطف العام على الخاص، لأن القسط أعم من الإصلاح، وعلل الأمر به بكونه تعالى يثيب أهل القسط والقائمين على تحقيقه بين الفئات المتقاتلة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾

قوله (إنما المؤمنون إخوة) استئناف بياني مؤكد بأسلوب القصر، لتأكيد ما تقدم من الأمر بالإصلاح والإقساط، وهو كون المؤمنين كالإخوة يجمعهم رابط الإيمان والعقيدة كما يجمع الأخوة رابط النسب والدم.

وجيء بالكلام بأسلوب التشبيه البليغ، لإفادة المبالغة في اتحاد الصفة بين المشبه والمشبه به.

قوله (فأصلحوا بين أخويكم) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، فلأن المؤمنين إخوة تحتم الإصلاح بينهما، والتعبير بصيغة الخطاب الجمعي للمؤمنين في (أخويكم) للإشعار إلى أن وحدة الإيمان في المجتمع موجبة لتدخل المصلحين بين المقتتلين، وأما ضمير التثنية فباعتبار تميز الطائفتين.

قوله (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أمر شامل لجميع المؤمنين، تعليله أن يكون ذلك الإصلاح والاتقاء رجاء طلب رحمته تعالى.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) النداء للتنبيه إلى أهمية الغرض، وهو النهي عن السخرية من الآخرين، والاستهزاء بهم، والتقليل من قيمتهم، وتكون بالقول والغمز واللمز.

ولفظ القوم الجماعة يدخل فيها الرجال والنساء، وأريد به الرجال على التغليب بدليل مقابلته بالنساء، وتنكيره للعموم.

قوله (عسى أن يكونوا خيرا منهم) القطع لتعليل النهي، وعسى: من أفعال المقاربة، وضمير الجمع في فعل الكون راجع إلى القوم المسخور منهم، ولفظ الخير بمعنى: الأفضلية، وذكر في المجمع إن الكلام: نزل في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي، فيسمع ما يقول، فدخل المسجد يوما، والناس قد فرغوا من الصلاة، وأخذوا مكانهم، فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلسا فاجلس، فجلس خلفه مغضبا، فلما انجلت الظلمة قال: من هذا ؟ قال الرجل: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه، حياء، فنزلت الآية، عن ابن عباس. انتهى.

قوله (ولا نساء من نساء) العطف بتقدير: ولا يسخر نساء مؤمنات من نساء مثلهن متصفات بالإيمان.

قوله (عسى أن يكن خيرا منهن) تعليل للنهي، لمقاربة أن يكُنّ المسخور منهن أفضل عند الله من الساخرات، وذكر في مناسبة الآية أنها نزلت في نساء

النبي ﷺ سخرن من أم سلمة، عن أنس، وذلك أنها ربطت حقويها بسبية وهي ثوب أبيض، وسدلت طرفيها خلفها، فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة: أنظري ماذا تجر خلفها، كأنه لسان الكلب، فلهذا كانت سخريتهما، وقيل: إنها عيرتها بالقصر، وأشارت بيدها أنها قصيرة، عن الحسن. نقل في المجمع. انتهى.

قوله (ولا تلمزوا أنفسكم) أي: ولا تذكروا معايب أنفسكم، للتقليل منهم وتحقيرهم، وسمى من وقع عليهم اللمز (أنفسكم) للتعليل، إشعارا بأنهم من نفس مجتمعهم الإيماني، وذكر عيبه ذكر عيب نفس اللامز، وقال في المجمع: اللمز العيب في المشهد، والهمز: العيب في المغيب، وقيل: إن اللمز يكون باللسان وبالعين وبالإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان. انتهى.

قوله (ولا تنابزوا بالألقاب) أي ولا تتنابزوا بالألقاب السيئة، والنبز مختص بذكر الألقاب المذمومة، التي يسوء المرء ذكرها، كأنف الناقة والسفيه، والباء في (بالألقاب) للتعدية.

ومما روي من سمو نفس الرضا عليه السلام في العيون بإسناده عن محمد بن يحيى بن أبي عباد عن عمه قال: سمعت الرضا عليه السلام يوما ينشد، وقليلا ما كان ينشد شعرا:

كلنا نأمل مدا في الأجل والمنايا هن آفات الأمل

لا يغرنك أباطيل المنى والزم القصد ودع عنك العلل

إنما الدنيا كظل زائل حل فيه راكب ثم رحل

فقلت: لمن هذا أعز الله الأمير؟ فقال: لعراقي لكم، قلت: أنشدنيه أبو العتاهية لنفسه فقال: هات اسمه ودع هذا، إن الله سبحانه يقول: (ولا تنابزوا بالألقاب)، ولعل الرجل يكره هذا. انتهى. وإنما قال الإمام ذلك، لأن العتاهية من العته وتعني نقص العقل.

قوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الفصل لتعليل نهي التنابز، وسماه فسوقا لأن ذكر الناس بعد إيمانهم بما يكرهون فعل مذموم، وعود بسنة الجاهلية.

قوله (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الشرط وجوابه مضمونه التهديد، وفي معنى (لم يتب) أن من المؤمنين من يقترف هذا الفعل المشين، والإتيان بلفظ الإشارة الجمعي باعتبار المعنى في اسم الشرط (من)، وقصر الظلم فيهم للتحقيق، وسموا ظالمين لأنهم عرضوا أنفسهم للعقاب، ونقصوا حق غيرهم بذكر المعايب.

وفي المجمع: وروي أن صفية بنت حيي بن أخطب، جاءت إلى النبي ﷺ تبكي، فقال لها: ما وراءك؟ فقالت: إن عائشة تعيرني وتقول يهودية بنت يهوديين، فقال لها: هلا قلت أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ، فنزلت الآية، عن ابن عباس. انتهى. أقول: ذكر قريب منه في الطبقات لابن سعد.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) نداء خامس للمؤمنين لتربيتهم وتعليمهم الآداب الإسلامية التي تحفظ لهم وحدة مجتمعهم وتكاتف أفراده.

وفعل الاجتناب بصيغة الافتعال دال على المبالغة في التجنب والابتعاد، والمفعول (كثيرا من الظن) بمعنى كثرة الظن السيء في نفسه بأهل الخير، الذي يترتب عليه العمل، وهو المنهي عنه، أما الظن الحسن في المؤمنين فهو محمود يندب إليه، قال تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) [النور: ١٢]، وأما الظن بأهل الشر والفسوق فلا إثم عليه.

ولا يراد ـ والله أعلم ـ بكثرة الظن كثرته في سائر الظنون، بل بمعنى كثرته في نفسه بالمؤمنين، تدفع بالظان إلى ترتيب العمل عليه، فيظلم أخاه المؤمن بما يرميه من بهتان وطعن، وأما خطرات الظنون مما لا ينبني عليها عمل فلا جناح عليها، وإن كان الاحتياط اجتنابها.

قوله (إن بعض الظن إثم) جملة تعليل لأمر الاجتناب، لأن بعض الظن السيء إثم ومعصية، لأن فيه هدما لعلاقات أفراد المجتمع، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في نهج البلاغة: لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءا وأنت تجد لها

في الخير محتملا. وقوله فيه: إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، ثم أحسن رجل الظن برجل فقد غرر. انتهى. قال السيد في الميزان معلقا: والروايتان غير متعارضتين، فالثانية ناظرة إلى نفس الظن، والأولى إلى ترتيب الأثر عليه عملا. انتهى.

قوله (ولا تجسسوا) أي: ولا تفتشوا عن عورات المسلمين، والفعل مخفف التاء أصله: ولا تتجسسوا، والجس تتبع الأخبار الخفية، قال الراغب: أصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم، وهو أخص من الحس، فإن الحس تعرف ما يدركه الحس، والجس تعرف حال ما من ذلك، ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس. انتهى.

وفي الحديث النبوي الصحيح أنه ﷺ خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن قال: يا معشر مَنْ آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه، ولو في جوف بيته. ذكر في ثواب الأعمال للصدوق، وفي أمالي المفيد، وفي الكشاف وغيرها على اختلاف بسيط في الصياغة. انتهى.

والفرق بين التجسس والتحسس، أن الأول يستعمل للشر، والثاني للخير، ومنه قوله تعالى (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) [يوسف: ٨٧].

وفي كنز العمال: عن أبي قلابة قال: إن عمر بن الخطاب حدث أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته، هو وأصحابه له، فانطلق عمر حتى دخل عليه،

فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين، إن هذا لا يحل لك، قد نهاك الله عن التجسس، فقال عمر: ما يقول هذا؟ قال زيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم: صدق يا أمير المؤمنين، هذا من التجسس، قال: فخرج عمر، وتركه. انتهى.

قوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) نهي آخر غرضه تهذيب النفس، وحفظ ديمومة المودة بين أفراد المجتمع بقطع أسباب الطعن والاستهزاء، وسئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: أن تذكر أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته. ذكر في السنن. انتهى.

وعدها الرسول ﷺ فيما أثر عنه أشد من الزنا، فقيل: يا رسول الله ولم ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله. ذكر في الخصال ومثله في الدر. انتهى.

وفي الكافي بإسناده عن حفص بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل النبي ﷺ: ما كفارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتبته كما ذكرته. انتهى.

قوله (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) تعليل للنهي، والاستفهام إنكاري دلالته تبشيع الغيبة، لأنها من أشد أسباب التفريق في المجتمع الواحد، وزعزعة أمنه واختلاط أفراده.

ودلالة فعل المحبة الرغبة القلبية، ومضارعه لاستحضار الحالة، واستعمال لفظ (أحدكم) دون استعمال: بعضكم، لشموليته، وتمثيل المغتاب بهيأة من

يأكل الإنسان صورة منفرة لفطرة الإنسان، فكيف وهذا المأكول أخ الآكل وفي حال من موته؟ لا ريب في أنه تمثيل في غاية التنفير لاجتناب الغيبة، وما ذاك إلا بسبب ما يترتب عليها من آثار سلبية في حياة المجتمعات، ولا شك في أن المراد بالإضافة (أخيه) الأخ في الإيمان لأن المؤمنين إخوة، وأن الغيبة محرمة على المؤمنين دون الفساق والكافرين، وبحال كونه ميتا استعارة لغفلة المغتاب.

وفي جوامع الجامع عن سبب النزول قال: وروي أن أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما فقالا: بخل أسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما، قالا: يا رسول الله ما تناولنا اليوم لحما، قال: ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة. فنزلت. انتهى. وفي التفاسير ذكر إنهما رجلان من دون تصريح باسميهما.

قوله (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) أي: واتقوا الله في اجتناب ما تقدم من معاص، وتوبوا إليه منها، لأن الله تواب يقبل التوب، ورحيم كثير الرحمة بعباده التائبين من معاصيهم، وفي الكلام إظهار للفظ الله في موضع إضماره لإفادة التعظيم، ولفظ التواب صيغة مبالغة من كثرة التوبة، وكذا لفظ الرحيم مبالغة في كثرة الرحمة والعطف.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾

قوله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الكلام تقرير للنهي السابق عن الاغتياب، والخطاب عام للمؤمنين وغير المؤمنين، والابتداء مؤكد لإفادة تحقيق الإخبار، والنون في (إنا) للعظمة، والخلق الإيجاد مما لم يكن موجودا، و(من) بيانية، والذكر والأنثى الأب والأم، باعتبار اشتراك النوع الإنساني في ذلك، أو يراد به آدم وحواء باعتبار أصل كل إنسان، وهو الأوفق مع سياق الكلام في إقامة الحجة على بطلان التفاخر في الأنساب، بأن الأصل واحد.

قوله (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الجعل التصيير، والشعوب جموع الناس العظيمة المنتسبة إلى أصل واحد، سميت بذلك لأنها تتشعب إلى قبائل، والقبائل تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطون مجموع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل. وقيل وهو منسوب إلى الصادق عليه السلام: الشعوب العجم والقبائل العرب. ذكره صاحب المجمع. انتهى.

وجملة (لتعارفوا) أي: لتتعارفوا، جملة تعليل لجملة الجعل، أي: ليعرف بعضكم بعضا، لا ليتفاخر بعضكم على بعض بالأنساب، فتدعوا التفاضل في الرتبة على نسب دون آخر، فلا فرق بين أبيض وأسود، وبين عربي وأعجمي.

وفي خطبة الوداع للنبي ﷺ قوله: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد الغائب. نقل في الدر. انتهى.

وسيرة النبي ﷺ حافلة بترجمة أقواله أفعالا بشأن القضاء على التفرقة بين أفراد المجتمع الإيماني، فكان مما صنع تزويجه مقداد بن الأسود ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، فهو إنما زوجه لتضع المناكح، وليتأسوا برسول الله ﷺ، وليعلموا أن أكرمهم عند الله أتقاهم.

قوله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للتعليل المستفاد من نفي التفاخر، وهو أن مدار التفاضل لديه سبحانه وكرامة المنزلة عنده هو في مدى التزامكم بأوامره تعالى ونواهيه الذي عبر عنه بالمصطلح القرآني الجديد وهو التقوى.

والآية ترشد المؤمن إلى واقع جديد في الوصول إلى الكرامة الحقيقية والشرف الباذخ، ينقله من عالم التباهي بأحوال الدنيا من نسب ونحوه، إلى عالم النقاء الروحي وتهذيب النفس، وهو العمل بما اختاره الله له من شرف تقواه.

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام لما أشرف على القبور بظاهر الكوفة: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (إن الله عليم خبير) جملة تقرير لمضمون ما تقدم، أي: إن الله عليم بأفعالكم خبير بما يصلح شأنكم، وفي مضمون الإخبار الوعد والوعيد، والإظهار في موضع الإضمار إشعار بالتعظيم.

قوله تعالى﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾

قوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا) أريد بالأعراب بعضهم البادون، أصحاب الغلظة في الخلق، والجفاء في الطبع، والقول منهم بإيمانهم يراد به منُّهم على النبي ﷺ، ولذلك رد عليهم قولهم بنفي الإيمان عنهم، قال تعالى في السورة نفسها: (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) [الآية: ١٧].

وذكر في التفاسير سبب النزول: أن الآية نزلت في نفر من بنى أسد قدموا المدينة في سنة جدب، فأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، يريدون الصدقة ويمنون عليه ﷺ ما فعلوا. انتهى.

قوله (ولكن قولوا أسلمنا) استدراك على النفي، وتأكيد بأنهم أسلموا مستسلمين لأن إسلامهم لم يتعد ألسنتهم.

قوله (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الواو للحال، و(لما) لنفي دخول الإيمان في قلوبهم مع انتظار دخوله، وفعل الدخول استعارة من الأعراض، و(في) للظرفية المجازية، لنفي استقرار الإيمان وثباته، وذكر القلوب أريد به النفوس.

وفي الكلام تفريق بين الإسلام والإيمان، لأن الأول يعني إعلان الاستسلام باللسان والجوارح، والثاني اعتقاد راسخ في القلب، وجاء عن الرسول ﷺ قوله: الإسلام علانية والإيمان في القلب. ذكر في المجمع. انتهى.

وفي الدر المنثور بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان. انتهى.

وعن الصادق عليه السلام قوله: والإسلام غير الإيمان، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا. ذكر في الخصال. انتهى.

قوله (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) الشرط لترغيبهم في حقيقة الإيمان، وهو طاعة الله ورسوله من دون نفاق بحيث يوافق ظاهرهم باطنهم، حتى لا ينقص من أجر أعمالهم أدنى شيء.

وعطف الرسول على الله لتعظيم طاعة الرسول، وأنها من الموجبات، والليت النقص، قال الراغب: يقال: لاته عن كذا يليته صرفه عنه ونقصه حقا له ليتا، قال: (لا يلتكم) أي: لا ينقصكم من أعمالكم، لات وألات بمعنى نقص وأصله رد الليت، أي: صفحة العنق. انتهى. وتنكير (شيء) للعموم.

قوله (إن الله غفور رحيم) تعليل للنفي، بكثرة غفران الله للتائبين ورحمته بهم، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) لما أكدت الآية السابقة إسلام الأعراب دون إيمانهم، عرفت هنا بحقيقة المؤمن وفصلت في صفاتهم، فقصرتهم أولا في الإيمان بالله ورسوله، أي الإيمان بوحدانيته تعالى وطاعة رسوله، من دون نفاق أو رياء.

قوله (ثم لم يرتابوا) عطف تراخي رتبي، لدخول النفي في صفة المؤمن، وهو نفي مطلق الارتياب عن أحقية ما آمنوا به في الرسالة والرسول، وأوثر استعمال (ثم) دون الواو للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط، بل وفيما يستقبل، فهي كما في قوله تعالى (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) [فصلت: ٣٠]، أي استمرارية الاستقامة بعد الإقرار.

قوله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) صفة ثالثة من لوازم حقيقة المؤمن، وهي المجاهدة في موارد إنفاق الأموال، والمجاهدة بالأنفس حملها على العمل بما كلفت به من جهاد وحج وصلاة.

وشبه الجملة (في سبيل الله) محلها الحال، أي: حال كون عملهم في سبيل الله، وهو دينه تعالى الموصل إلى السعادة الحقيقية.

قوله (أولئك هم الصادقون) لفظ الإشارة لاختصار الموصوفين بما ذكر من صفات جميلة، للتنويه بالإخبار عنهم بقصرهم في صفة صدق دعواهم الإيمان، أي: هم لا أنتم، وفي المجمع: قيل: لما نزلت الآية السابقة حلفت الأعراب أنهم مؤمنون صادقون في قولهم: آمنا، فنزل: (قل أتعلمون الله بدينكم) الآية. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ ﴾

قوله (قل أتعلمون الله بدينكم) أي: أتخبرون الله بدينكم بقولكم (آمنا)، والتلقين في (قل) للرد على ادعاء الأعراب الإيمان، والاستفهام للإنكار ويفيد التوبيخ، والتعليم بمعنى الإخبار استعمل دونه لتشنيع منهم على الرسول ﷺ بادعاء الإيمان.

قوله (والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض) جملة موقعها الحال من لفظ الجلالة، وهي حال مؤكدة لتشنيعهم، أي: أتعلمون الله بدينكم في حال علمه تعالى بما في السموات وما في الأرض.

وإظهار الله في موضع إضماره للتعظيم، ودلالة فعل مضارع العلم للتجدد، واسم الموصول (ما) لإفادة الإحاطة بكل مخلوق في السموات والأرض.

قوله (والله بكل شيء عليم) انتقال من الخصوص إلى العموم في الترقي في علمه تعالى بكل شيء خلقه، ومن جملتها نفاق الأعراب وإسرارهم الكفر وإظهارهم الإيمان، وفيه مزيد تجهيل لهم وتوبيخ.

قوله تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (يمنون عليك أن أسلموا) الخطاب للرسول ﷺ، والكلام عن الأعراب، أي: يعدون إسلامهم منة عليك، والمنة أصلها القطع، أي يعد الأعراب إسلامهم نعمة مقطوعة على النبي ﷺ لا ينتظرون جزاءها منه، أو من المنة وهي النعمة الثقيلة.

قوله (قل لا تمنوا علي إسلامكم) رد من الله عليهم، بنهي منتهم على إسلامهم، ونصب (إسلامكم) على نزع الخافض، بتقدير: بإسلامكم.

قوله (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) الكلام تعليل للنهي، وبل: للإضراب الانتقالي، لتأكيد أن لله المنة في الإنعام عليهم بنعمة الهداية للإيمان التي زعموها لأنفسهم، ففي الكلام تلطف بمخاطبتهم في ادعاء الإيمان، وهو في حقيقته إسلام ليس جديرا بالمن، بل لو صح الإيمان منهم فهو بفضله تعالى منّ به عليهم، لا لهم.

قوله (إن كنتم صادقين) أي إن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان، وجوابه محذوف دل عليه السياق، تقديره: فلله المنة عليكم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ ﴾

قوله (إن الله يعلم غيب السماوات والأرض) جملة تقرير لمضمون ما تقدم، والابتداء المؤكد لأهمية الكلام، وفعل مضارع العلم للتجدد، ولفظ الغيب مصدر أريد به معنى ما غاب في السموات والأرض.

قوله (والله بصير بما تعملون) أظهر ولم يضمر للتعظيم ولإفادة ترسيخ المعنى مثلا في الأذهان، ولفظ البصير مبالغة في العلم، وفي الخطاب (تعملون) دلالة المراد بعلمه تعالى بما يظهرون وما يسرون.

سورة ق

مكية، وهي خمس وأربعون آية

غرض السورة التذكير بالمعاد مرة بعد مرة، فتعقد عليه الأدلة، بعلم الله لكل شيء، وقدرته على ما هو أوسع من ذلك كخلق للسموات والأرض وتدبيره لها، وتنكر السورة لأجل ذلك على المشركين استبعادهم للمعاد، فتحذرهم وتتوعدهم بالعذاب يوم القيامة، وتذكرهم بعواقب الأمم السابقة عليهم.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ ﴾

افتتحت السورة بحرف مفرد منضم إلى ما بعده، فلم يعد بنفسه آية، شأنه شأن السورة المفتتحة بـ (ص) و(ن)، وأما القول بأن (ق) جبل من زمرد محيط بالأرض عليه كتفا السماء فمما لا تؤيده الحقائق.

والواو في (والقرآن) للقسم تنويها بالمقسم به، ودلالة على عظمة القرآن الذي ينكره المشركون، وجواب القسم محذوف دل عليه سياق الكلام في الإنذار بتقدير: إنك لمن المنذرين.

ووصف القرآن بالمجيد للمبالغة، أي: العظيم الكثير الخير ذي الشرف الواسع، نظير قوله تعالى (إنه لقرآن كريم) [الواقعة: ٧٧]، ومثله (بل هو قرآن مجيد) [البروج: ٢١].

وأصل المجد كما قال الراغب: من قولهم مجدت الإبل، إذا حصلت في مرعى كثير واسع، وقد أمجدها الراعي، وتقول العرب في كل شجر نار: واستمجد المرخ والعفار، وقولهم في صفة الله تعالى: المجيد، أي يجري السعة في بذل الفضل المختص به وقوله في صفة القرآن: (ق والقرآن المجيد)، فوصفه بذلك لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية. انتهى.

قوله تعالى ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾

قوله (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) الإضراب بـ (بل) عن مضمون جواب القسم كأن المعنى: ما كذبك قومك لأنك كاذب، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم، وحسبوا أنه لا يوحى إلا لملك.

والعجب ما يدخل النفس من معنى نادر لا تدرك علته، و(من) في (منهم) للتبيين، أي من جنسهم ومن نفس قومهم، لأن المشركين يستبعدون نبوة البشر، ويقصرونها على الملك، قال تعالى (وقالوا لولا نزل عليه ملك) [الأنعام: ٨]، وقال (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) [هود: ١٢]، وقال (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك) [الفرقان: ٧].

قوله (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) الفاء للتفريع، وإظهار لفظ الكافرين لتعليل قولهم، وهو شدة عجبهم من البعث بعد الموت، لأن الوثنيين ينكرونه

ويستبعدون وقوعه، وذكر في مناسبة الآية، إنها: نزلت في أبي بن خلف قال لأبي جهل: تعال إلي أعجبك من محمد ثم أخذ عظما ففته، ثم قال: يا محمد تزعم أن هذا يحيى؟ فقال الله: (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج). ذكر في تفسير القمي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ ﴾

قوله (أإذا متنا وكنا ترابا) الكلام من تتمة قول الكافرين، والاستفهام إنكاري، استبعدوا فيه إعادة أجسادهم للحياة بعد أن تتفتت ترابا، وجواب (إذا) الشرطية محذوف ترك تقديره للسامع من فهم سياق الكلام.

قوله (ذلك رجع بعيد) اسم الإشارة لاختصار معنى نفي الرجوع لحياة الأجساد الميتة التي ذهبت ترابا، والرجع والرجوع واحد، وتوصيفه بالبعيد أي بعيد عن العقل، لا يمكن قبوله. والكلام بمنزلة الجواب عما يتحصل من السؤال الإنكاري السابق بتقدير: لم تستبعدون البعث؟ فقالوا: ذلك رجع بعيد.

والآية في معنى قوله تعالى (وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد) [السجدة: ١٠].

قوله تعالى ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ ﴾

قوله (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) الفصل لتعليل ما أنكر الكافرون، أي إن ما تنقص الأرض من أجساد موتاهم بتحللها في التراب تحت علم الله

وقدرته، لا يصعب عليه جمع كل عضو منها وإعادتها من جديد حتى لو تفتت أجزاء واستحال ترابا، و(من) في (منهم) على هذا التفسير تفيد التبعيض، وهي تفيد البيان إذا أريد بالضمير المقترن بها جنس الكافرين المقبورين.

قوله (وعندنا كتاب حفيظ) الظرفية تعني الملك، والنون فيه للعظمة، ولفظ الكتاب بمعنى المكتوب المسجل فيه كل شيء مما كان ويكون، وتنكيره للتعظيم والنوعية، ووصفه بأنه حفيظ مبالغة في كونه محفوظا عن التغيير والتبديل، وهو اللوح المحفوظ الذي فيه علم كل شيء إلى يوم القيامة، ومنه من مات، وأين تلاشت أجزاؤه، وذهب ترابا.

قوله تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾

قوله (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) بل: حرف للإضراب عما تقدم، لتأكيد ما بعده، وهو أن المشركين أمعنوا في تكذيب القرآن لما جاءهم عنادا وإصرارا منهم على الكفر.

وسمى القرآن حقا، لأنه معجزة حقيقية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وتكذيبهم له كان بأشكال شتى كاتهامهم له بالافتراء والسحر والشعر، وأنه من أساطير الأولين، وتقييدها بالظرف الشرطي (لما جاءهم) لإفادة تشنيع تكذيبهم.

قوله (فهم في أمر مريج) الفاء للتفريع، و(في) للملابسة الظرفية، مبالغة في تلبسهم بالحيرة والاضطراب، وتنكير (أمر) للإبهام، ووصفه بأنه (مريج)

مبالغة في اختلاطه وعدم قراره، لأن المشركين يدركون الحق وينكرون التصديق به، وأصل المرج الاختلاط والاضطراب، ومنه مرج الخاتم في الإصبع أي اضطرب.

قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾

قوله (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) الكلام لتفريع الدلائل على إمكان البعث على ما تقدم من إنكار الكافرين له، والاستفهام للتقرير والتوبيخ، والنظر للبصر ويمكن أن يكون للعلم والاعتبار، والسماء تقال لكل ما علا الأرض، ويراد بها الكواكب والنجوم، رفعها الله بغير عمد.

وزيد الظرف (فوقهم) لمزيد توبيخهم في كون السماء بمرأى منهم لا تغيب عن أنظارهم، ولم يتفكروا بخالقها، واسم الاستفهام (كيف) منصوب على الحال مجرد من السؤال لتمثيل الحال، وبناء السماء استعارة لترتيب نظام أجرامها، وحسن انتظامها، والنون في الفعل نون العظمة راجع إلى الله تعالى.

وتزيين السماء تجميلها بالنسبة لأهل الأرض بزينة الكواكب ليلا، حيث تعكس أشعة الشمس عليها مثل القناديل المعلقة في وسط الظلام.

قوله (وما لها من فروج) الجملة موقعها الحال من لفظ السماء، و(ما) نافية، والهاء في (لها) راجعة إلى السماء، و(من) مزيدة لتقوية نفي العموم،

والفروج الفتوق والشقوق، أي: غير مفروجة، ليس فيها تشقق ولا صدوع، بل مبنية أجرامها وكواكبها السيارة بنظام متقن لا اضطراب فيه.

قوله تعالى ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ ﴾

قوله (والأرض مددناها) نصب لفظ الأرض على تقدير فعل مفسر بما بعده، أي: مددنا الأرض مددناها، والمد التطويل، وفعله مجاز في بسط الأرض، أي: جعلها مبسوطة صالحة، لإقامة السكن عليها.

قوله (وألقينا فيها رواسي) أي: وثبتنا فيها جبالا راسيات، وسماها رواسي، لأن من وظائف الجبال تثبيت الصفائح العليا لطبقات التربة، ومنعها من الانزلاق، والزلازل، وإذا وقع زلزال فهو بسبب الطبقات العميقة لصفائح الأرض.

قوله (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) الإنبات مجاز في إخراج النبات من الأرض، و(من) بيانية، ولفظ الكل للعموم، والزوج يراد به النوع، ووصفه بالبهيج، أي: الذي يبهج النفس ويسعدها، لجمال منظر أنواع الفواكه من النبات.

قوله تعالى ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ ﴾

قوله (تبصرة وذكرى) النصب لأنهما مفعولان لأجله للأفعال السابقة، ولفظ التبصرة مجاز للفهم والتدبر لما يتبصر به، وكذلك لفظ الذكرى مجاز لما يتذكر به.

قوله (لكل عبد منيب) اللام للعلة، وتنكير لفظ العبد للعموم، ووصفه بالمنيب أي الراجع إلى ربه بالتوبة مرة بعد مرة، وخص كل عبد منيب بالتبصرة والذكرى لأنه الأجدر بذلك.

قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ ﴾

قوله (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي: ونزل الله مطرا كثيرا من السحاب، وفعل التنزيل بالتضعيف دال على الكثرة، و(من) ابتدائية، ولفظ السماء تقال لجهة العلو، ويراد به السحاب، والماء المبارك المطر الكثير، وسماه مباركا باعتبار ما يعود على الأرض وساكنيها من خيرات.

قوله (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) الفاء للتفريع، والإنبات إخراج النبات، والباء في (به) للسبب، والهاء راجع إلى الماء، والجنات البساتين المكتظة الأشجار، وتنكيرها للكثرة، وحب الحصيد: الحب المحصود من إضافة الموصوف إلى صفته، وهو الزرع الذي يحصد حبه كالبر والشعير، وخص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات.

قوله تعالى ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ ﴾

قوله (والنخل باسقات) الواو للعطف على (جنات)، ولفظ النخل اسم جمع، وخص بالذكر مع أنه من جملة الجنات لفضله على سائر الأشجار، والباسقات الطويلات الشامخات، والنصب على الحال.

قوله (لها طلع نضيد) الجملة محلها الحال، والطلع أول ما يطلع من ثمر النخل، ووصفها بالنضيد أي المنضود المرتب المتراكم بعضه فوق بعض.

قوله تعالى ﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ ﴾

قوله (رزقا للعباد) النصب لأنه مفعول له للفعل (فأنبتنا)، أي: ليكون رزقا للعباد، ومجيئه علة بعد تعليل (وأنبتنا) بالتبصير والتذكير لإفادة أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك للتذكر والاستبصار أهم من تمتعه به من حيث الرزق. ذكره أبو السعود. اه.

واللام في (للعباد) للعلة، أي: لأجل العباد، ولفظ العباد للإشعار بولايتهم التسخيرية لله، وأن من شأن المولى تدبير شؤون عبيده.

قوله (وأحيينا به بلدة ميتا) الكلام دليل آخر على إمكان البعث رد على إنكار المشركين، أي: وبعثنا الحياة بالماء النازل من السماء في أرض جدباء لا حياة فيها ولا نماء فجعلناها تهتز وتنبت أنواع النبات والأزهار بعدما كانت جامدة هامدة تشبه الميت في انعدام الحياة والحركة.

والإتيان بالتذكير بلفظ (ميتا) مع أن لفظ البلدة مؤنثة باعتبار ما تتضمن من مكان أو بلد.

قوله (كذلك الخروج) أي: كذلك الإحياء للبلدة الميتة بإخراج النبات من أرضها يكون خروجكم أيها المشركون من الأرض بعد موتكم، وكأن ما سبق من ذكر الحجج في الآية تمهيد لهذه النتيجة.

وتقديم (كذلك) لقصد القصر في الكلام، ولفظ الإشارة لبعد المنال وتفخيمه، ولفظ الخروج دال على ظهور الشيء بعد استتاره، واستعماله للموتى دون أن يقال: كذلك الإحياء، لإفادة تهوين بعثة الموتى من قبورهم، وتعظيم شأن الإنبات، وتحقيق أمر المماثلة بين الإحياء والإخراج لتقريبه إلى أفهام السامعين.

قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (كذبت قبلهم قوم نوح) بعد أن أقامت الآيات السابقة الحجج والبراهين في الرد على إنكار مشركي مكة للمعاد شرعت هذه الآيات في وعيدهم وتهديدهم، فذكرتهم بسوء عاقبة إنكار الأمم السابقة عليهم وتكذيبهم للمعاد، وبدأت بقوم نوح لأنها أول الأقوام الكافرة التي أفناها الله تعالى.

قوله (وأصحاب الرس وثمود) العطف لإفادة أن المعطوف داخل في التكذيب، وأصحاب الرس هم قوم شعيب، وذكر خبرهم في سورة الفرقان،

وقيل: إن الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين، وقيل غير ذلك، وأما ثمود فهم الذين كذبوا نبيهم صالحا عليه السلام.

قوله تعالى ﴿ وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ ﴾

أي: وكذب قوم عاد بالمعاد، ونبيهم هود عليه السلام، وذكر فرعون مشعر بأنه هو وقومه، حملا على معنى السياق في ذكر ما تنتسب إليه الأقوام، وقيل معنى (إخوان لوط) أصهاره عليه السلام وأنسباؤه.

قوله تعالى ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (وأصحاب الأيكة) وهم ممن بعث إليهم النبي شعيب غير أهل مدين، وذكر تفصيل خبرهم في سور (الشعراء) و(الحجر) و(ص).

قوله (وقوم تبع) وهم قوم تبع الحميري، وجاء تفصيل خبرهم في سورة الدخان.

قوله (كل كذب الرسل) تنوين (كل) لأنه مقطوع عن الإضافة، أي: كل قوم من الذين ذكروا كذب الرسل المبعوثة إليهم.

قوله (فحق وعيد) الفاء لتفريع التهديد والوعيد على التكذيب، والفعل (حق) بمعنى: وجب وثبت، وحذف ياء الجلالة من (وعيد) وتعويضها بالكسرة للتخفيف، ووعيد الله وعيده سبحانه بإدخال الكافرين نار جهنم يوم القيامة.

والكلام واضح الدلالة في تهديد قريش بأن سلوكهم مسالك الأمم السابقة في تكذيب الرسول موجب عليهم الإهلاك والخسران.

قوله تعالى ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥ ﴾

قوله (أفعيينا بالخلق الأول) استفهام إنكاري متفرع على معنى ما تقدم من الخلق والتدبير، أي: لم نعجز بالخلق الأول حتى نعجز بالخلق الجديد، والقادر على إحداث الأول قادر بالبديهة على الثاني.

والعي أريد به العجز، والباء المقترن بلفظ الخلق لتعدية فعله، فعي بالأمر عجز عنه، والخلق الأول النشأة الأولى وهي النشأة الطبيعية التي أوجدها الله من العدم، بما تضم من مملكة الله الواسعة ومن ضمنها الإنسان.

قوله (بل هم في لبس من خلق جديد) بل: للإضراب عما تقدم لتأكيد ما بعده، وهو أن المشركين في التباس من فهم الخلق الجديد، وهو عالم النشأة الثانية التي يبعث الله فيها الإنسان إلى عالم آخر لا يشبه الخلق الأول، لأنه خالد أما في عالم السعادة، وأما في عالم الشقاء، وإنما هم في لبس لأنهم أوقعوا أنفسهم في شبهة الإنكار من دون إعمال المقايسة، لأنهم يقرون بأن الله خالق الخلق الأول، ولا يقيسون عليه إمكان الإعادة، مع أنها أسهل في القياس من الابتداء.

والضمير (هم) راجع إلى المشركين، وجيء بـ (في) لإفادة استقرارهم في اللبس والجهل، و(من) ابتدائية، والخلق الإيجاد والتدبير، وتنكير اللفظ للنوعية والتفخيم، وكذل لفظ الجديد أي المحدث.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) العطف على ما قبله، و(لقد) قسم وتحقيق، وخلق الإنسان إيجاده بعد أن لم يكن، وفيه إشارة إلى المشركين، وإن كان اللفظ عاما، وجملة (ونعلم) محلها الحال من نون (خلقنا)، وفائدة المضارع لفعل العلم التجدد كلما حدث الإنسان نفسه، وهو ما عبر عنه بالوسوسة، ولفظ الوسوسة أصله الحديث الهمس، ومنه وسواس الحلي، ويراد به الخطرات السيئة التي تعن للنفس، والباء في (به) للسبب أو للآلة، وضمير الهاء راجع إلى الضمير في (ما) الموصولة، والكلام كناية عن إحاطة علم الله بكل شيء ومنه خفاء ما يضمر الإنسان، ولذا استعمل له حبل الوريد الذي لا يشعر بقربه الإنسان.

قوله (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) جملة تقرير لما تقدم، كناية ثانية عن شدة علم الله تعالى بما يسر الإنسان في نفسه، ولفظ القرب مجازية لشدة العلم، وتقريب المعنى إلى الأفهام، و(من) ابتدائية، وحبل الوريد شريانه الممتد من أبهر القلب إلى أعلى رقبته، ولذا شبه بالحبل، والإضافة في (حبل الوريد) بيانية.

قوله تعالى ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (إذ يتلقى المتلقيان) يجوز أن يكون العامل في (إذ) قوله (أقرب)، ويجوز أن يكون فعلا محذوفا بتقدير: واذكر، وفعل التلقي بمعنى الأخذ استعارة للتسجيل والإحصاء، ومضارعه دال على التجدد، والمتلقيان كناية عن الملكين الكاتبين الموكلين على العبد، يسجلان عليه كل فعل ولفظ.

والكلام إشارة إلى علمه تعالى بوسائطه بعد علمه بذاته، وهو ما ذكر في قوله (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)، وإنما ذكر ذلك للطفه تعالى بعباده، حتى يكون رادعا لهم عن ارتكاب المعاصي.

قوله (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد آخر، وهما بدل عن الملكين المتلقيين، وإنما تقدم الظرف للاهتمام بالمتقدم، ولفظ القعيد بمعنى المقاعد، كما قيل للجليس المجالس، وهو بمعنى الملازم الذي لا ينفك عن صاحبه، وقيل إن الملك الذي عن اليمين هو كاتب الحسنات، والذي عن الشمال هو كاتب السيئات، والمراد بالجهتين المتقابلتين الإحاطة بجانبي الإنسان، وعدم فوات شيء مما يفعل أو يقول.

قوله تعالى ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨ ﴾

الجملة صيغت بالنفي والاستثناء لإفادة قصر المعنى وتحقيقه، وهي من الإطناب بذكر الخاص بعد العام في قوله (المتلقيان).

وفعل اللفظ أصله الرمي، واستعير للتكلم، ومضارعه للتجدد، وضمير الفاعل فيه راجع إلى الإنسان، و(من) زائدة لتأكيد عموم القول، والقول هو الكلام

الذي يتلفظ به، والظرف (لديه) دال على قوة الحضور، والهاء فيه راجعة إلى ضمير الإنسان في (يلفظ)، أو إلى لفظ القول، والرقيب الحافظ المراقب، وهو صيغة مبالغة دالة على الكثرة، ولفظ العتيد، أي المعد المهيأ للزوم الأمر، وتنكير اللفظين للنوعية والتفخيم.

وفي المجمع: وعن أبي إمامة عن النبي ﷺ قال: إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها، ألقاها، ولا كتب واحدة. انتهى. وفيه: وفي رواية أخرى قال: صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة. انتهى. وفيه: وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه، فإذا مات قالا: يا رب قد قبضت عبدك فلانا فإلى أين؟ قال: سمائي مملؤة بملائكتي يعبدونني، وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني، اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني، وكبراني، وهلّلاني، فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) فعل المجيء هنا مجاز في قبض الروح ساعة الاحتضار، والمضي فيه لتحتم وقوعه، والسكرة مصدر كالسكر،

وليس هنا بمعنى اسم المرة، وإضافته إلى الموت من باب إضافة المشبه إلى المشبه به، لأن من ينزل به الموت يبدو كالسكران الذي أذهب السكر عقله فلا يعي شيئا، وشبه الجملة (بالحق) محلها الحال، والباء للملابسة، أي متلبسا بحال الحق، وهو القضاء الإلهي بانقضاء مدة الحياة الدنيا وقبض الروح، وسمي حقا لأن الموت له غاية حقة وليس كما يدعي أهل الشرك البطلان والعدم، فالموت انتقال من عالم التكليف إلى عالم الانتظار ليوم الجزاء الذي هو الغاية الأسمى في تحقيق عدل الله يوم القيامة.

قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) اسم الإشارة لتهويل أمر نزول الموت، و(ما) اسم موصول، وجملة (كنت) دالة على الثبات، لأن من شأن الإنسان كراهة الموت لشدة تعلقه بأسباب الدنيا، والخطاب فيها لعموم المخاطبين، ومنه المنكر للمعاد، وتقديم (منه) للعناية، والحيد الميل والفرار، ومضارع فعله الاستمرار.

قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ ﴾

قوله (ونفخ في الصور) النفخ دفع الهواء من الفم، والصور البوق، إيذانا بأن ثمة أمر عظيم سيحدث، كما ينفخ الجند في البوق استعدادا للحرب، ويراد بالكلام الإعلان عن يوم القيامة، وهي النفخة الثانية التي تعقب النفخة الأولى التي يموت فيها كل حي، وقيل إن النافخ هو إسرافيل الملك الموكل بذلك.

قوله (ذلك يوم الوعيد) جملة تبيين للنفخ، ولفظ الإشارة للتعظيم، ويوم الوعيد يوم القيامة الذي أنذر فيه أهل الكفر من تحقيقه، واختير لفظ الوعيد لمناسبته لسياق التحذير في الكلام.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ ﴾

قوله (وجاءت كل نفس) إسناد فعل المجيء إلى النفس على سبيل المجاز العقلي لأنها في الحقيقة مقهورة على ذلك مزعوجة للحشر، ولفظ الكل دال على شمول الناس كلهم البررة والفجرة.

قوله (معها سائق وشهيد) الجملة محلها الحال من ضمير (جاءت)، والمعية بمعنى اللزوم والاصطحاب، والسائق الملك الذي يزجرها من خلفها للحشر إلى الحساب بين يدي ربها، كما يسوق الراعي ماشيته من الخلف، والشهيد الملك الشاهد على الأعمال، وتنكير اللفظين للنوعية.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الآية: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد): سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها. نقل في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ ﴾

قوله (لقد كنت في غفلة من هذا) الخطاب من الله تعالى لمنكري المعاد، وهو من جملة الخطابات يوم القيامة.

ودلالة المضي في (كنت) والملابسة الظرفية لـ (في) أن المنكرين في الدنيا كان شأنهم الغفلة عن الإيمان بمثل هذا اليوم، وهو يوم القيامة، يوم انكشاف الحقائق، ويقين بطلان ما اعتقدوا في دنياهم.

والغفلة النسيان، ويراد به الترك، و(من) بيانية، واسم الإشارة إلى يوم القيامة الذي يرى فيه بعين اليقين رجوع كل أمر إلى الله.

قوله (فكشفنا عنك غطاءك) الفاء للتفريع، وفعل الكشف دال على الإزالة لذلك عدي بحرف التجاوز (عن)، والغطاء مجاز للحجاب الذي يمنع من رؤية الحقائق اليقينية رية عيان، بسبب تعلق الإنسان بأسباب الدنيا وكونه في دار التكليف، أما في ذلك اليوم فسوف يقهر كل إنسان على العلم بها ومشاهدتها، قال تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [المؤمن: ١٦].

قوله (فبصرك اليوم حديد) الفاء للتعقيب، والبصر لليقين القلبي لا لمجرد العيان، وتعريف اليوم للعهد، وهو يوم القيامة، وتشبيهه بالحديد على سبيل التشبيه البليغ، مبالغة في اختراقه الحجب التي لم يكن ليراها في دار التكليف.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

القرين المصاحب الملازم، وهو الملك الموكل بالإنسان، الذي أحصى عليه أعماله وأقواله، ولفظ الإشارة للتمييز، و(ما) نكرة موصوفة بالظرف والعتيد،

أي: هذا شيء ثابت لدي عتيد، والظرف (لدي) تأكيد للتوثيق وقطع المعذرة من النكران، ووصفه بالعتيد أي المهيأ للحساب والجزاء، والمعنى: هذا حسابه حاضر لدي في هذا الكتاب.

وقيل: إن القرين هو شيطانه الذي قيض له في عالم الدنيا، وأغواه فيها، أي: هذا الذي أغويته مهيأ لجهنم بإضلالي له.

قوله تعالى ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

الخطاب من الله تعالى للملكين الموكلين بالإنسان وهما السائق والشهيد، والإلقاء الطرح والنبذ، و(في) للملابسة الظرفية، وجهنم: أشد النار وقعرها، ولفظ الكل لجميع من ذكروا بالصفات المذمومة من دون استثناء.

ولفظ الكفار مبالغة في شدة الكفر بالله، ولفظ العنيد مبالغة في العناد على إنكار دلائل الحق، بالإصرار على الباطل.

وفي مستدرك الحاكم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال: حدثنا أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة، يقول الله تعالى لي ولعلي: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا الجنة من أحبكما، وذلك قوله (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد). انتهى.

قوله تعالى ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

صيغة (مناع) صيغة مبالغة في المنع، أي منع إيصال مطلق الخير إلى مستحقيه، وإذا كان تعريف الخير معهودا فبمعنى: منع الناس من الإيمان بدعوة التوحيد، وصدهم عنها، ولفظ المعتدي بمعنى المتجاوز للحد، الباغي الظالم، والمريب الشاك في حقيقة الدين والبعث.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (الذي جعل مع الله إلها آخر) جملة بدل من (كل كفار)، وجاء باسم الموصول وصلته ولم يقل: مشرك، لتعظيم جرم الشرك بالله، وأنها الأساس لما عدت من صفات الكفر والعناد والمنع والاعتداء والإرابة.

ولفظ المعية إشارة إلى الشرك، والإتيان بلفظ (إلها) باعتبار جعلهم، ويراد به أوثانهم وأصنامهم.

قوله (فألقياه في العذاب الشديد) الفاء لقوة اسم الموصول وإنزاله منزلة الشرط، وإعادة أمر فعل الإلقاء لتأكيد تهويل جرم الشرك بالله، وخطاب التثنية فيه للملكين السائق والشهيد، وقيل لملكين خازنين للنار، والأول أوفق.

و(في) للملابسة الظرفية، والعذاب الشديد عذاب النار الذي يشتد ألمه ويعظم، والتصريح به لسياق التشدد في عقاب المشركين.

قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (قال قرينه ربنا ما أطغيته) الكلام إخبار عن تبرؤ الشيطان من الكافرين يوم القيامة، فالمراد بـ (قرينه) شيطانه المقيض له، يلازمه ويغويه في دار الدنيا، قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون، حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) [الزخرف: ٣٦-٣٧-٣٨].

وقول الشيطان بصيغة (ربنا) تخضّع منه وإقرار بالربوبية، أضافه إلى نفسه والإنسان لأنه في مقام الاختصام، والنفي في (ما أطغيته) تبرؤ من حمله وزر طغيان الطاغي وظلم الظالم، يريد أنه لم يجبره على فعل الطغيان والاستكبار، وإنما وسوس له وأغواه.

تقوله (ولكن كان في ضلال بعيد) استدراك على النفي، وتأكيد لكون الطاغي المشرك مستعدا أصلا لقبول الطغيان والظلم من دون قسر وإلجاء، والكلام في معنى قوله تعالى (وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي) [إبراهيم: ٢٢].

ومضي فعل الكون للدلالة على رسوخ الضلال، و(في) للظرفية المجازية دالة على انغماسه في الضلالة واستقرارها فيها، والصفة بلفظ البعيد أي: الذي لا يرجى منه العود إلى الرشد.

قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (قال لا تختصموا لدي) النهي عن الاختصام من خطاب الله تعالى للمشركين الطاغين ولقرنائهم باعتبار مجموعهم، دال على أن مخاصمتهم لبعضهم بعضا لا نفع منها ولن تعفيهم من الجزاء، لأن الداعي إلى الكفر ومتلقيه أسوياء في العقوبة.

والظرف (لدي) تأكيد لكون مخاصمتهم في موقف الحساب.

قوله (وقد قدمت إليكم بالوعيد) الجملة موقعها الحال، وفي معناها التعليل للنهي، و(قد) حرف تحقيق، والتقديم السبق، وتعديته بالباء باعتبار أن الفعل بمعنى (تقدمت)، أي: سبقت جزاءكم بإنذاركم في دار التكليف من عاقبة الشرك على ألسنة المرسلين والكتب المنزلة عليهم.

ولفظ الوعيد إشارة إلى وعيده تعالى فيما مضى لإبليس وبني آدم (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) [ص: ٨٥].

قوله تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (ما يبدل القول لدي) استئناف الخطاب من الله تعالى لتقرير ما تقدم من نفي تغيير حكمه تعالى في إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، ومنه أنه لا عفو عن كافر.

وعلى هذا التفسير فإن الأوفق أن يكون تعريف لفظ القول للجنس، يراد به مطلق القول، وفيه ما أوعد الله من عقاب المشركين على ألسنة رسله، وأما اعتبارها للعهد فهو تضييق للمعنى. والله العالم.

والأوفق على هذا المعنى أن يكون الكلام مستأنفا لا صلة له بما تقدم من وجوه الإعراب، وفعل التبديل بمعنى التغيير، ولفظ القول مجاز في أحكامه تعالى وقضائه الثابت.

قوله (وما أنا بظلام للعبيد) الجملة تقرير لمعنى ما سبق ومتمة له، والنفي مشدد للظلم عن حكم الله في الجزاء والعقاب كثيره وقليله.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣٠ ﴾

قوله (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) نصب (يوم) على الظرفية أي يوم القيامة، والقول من الله تعالى على سبيل التهويل لزجر المشركين والرجوع عن كفرهم.

والاستفهام في (هل امتلأت) للتقرير، لأن الله عالم بكل شيء غني عن كل سؤال، والسؤال لا ينافي قوله (لأملأن جهنم) لأنه يراد به أن طبقاتها امتلأت بسكنى جهنم.

قوله (وتقول هل من مزيد) العطف دال على سرعة الإجابة في تلهفها لتلقي المجرمين، فتسأل الزيادة منهم تغيظا، لأنها مخلوقة لذلك، فعلى هذا يكون السؤال منها دال على التقرير، لتصوير شدة إحاطة النار بالكافرين، ويجوز أن يكون الاستفهام على سبيل الإنكار، للإشارة إلى امتلائها تحقيقا لقوله تعالى (لأملأن جهنم).

وحرف الجر (من) مزيد للتأكيد، ولفظ (مزيد) مصدر ميمي بمعنى الزيادة.

واختلف في المحاورة بين الله تعالى وجهنم بين التمثيل والتحقيق، ولا مانع من حقيقة إنطاقها وقد أنطق الله في ذلك اليوم الأيدي والأرجل.

قوله تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (وأزلفت الجنة للمتقين) لما انتهى من تفصيل الكلام في أحوال الكافرين، شرعت الآية بذكر جزاء المؤمنين، والإزلاف التقريب، وتعريف الجنة للعهد، أي: الجنة التي وعدهم بها الله في دار الكسب على ألسنة رسله.

واللام في (للمتقين) بمعنى العلة، أي لأجل المتقين، وخص اللفظ بالذكر من دون غيره للإشارة إلى أنهم مؤمنون عاملون بالإيمان مستحقون للجنة، لم يتكلوا على التنظير من دون عمل به.

قوله (غير بعيد) نصب حرف النفي على الحال، والتذكير في (بعيد) مع أن الجنة مؤنثة لأنها صفة لموصوف محذوف، والمعنى: وأزلفت الجنة للمتقين حال كونها في مكان غير بعيد، يصلون إليه من غير تكلف ومشقة.

قوله تعالى ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

اسم الإشارة لمعنى ما تقدم، أي: هذا الثواب بالجنة، وجملة (هذا ما توعدون) معترضة بين البدل (للمتقين) والمبدل منه (لكل أواب حفيظ).

والأواب مبالغة في كثرة الأوب، والأوب الرجوع إلى الله بالتوبة مرة بعد مرة، أي كلما تاب من ذنبه تاب الله عليه، ولفظ الحفيظ صيغة مبالغة من كثرة مراعاته لطاعته تعالى والتزام أوامره ونواهيه.

قوله تعالى ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ﴾

قوله (من خشي الرحمن بالغيب) الجملة بدل بعد بدل، والخشية خوف ظاهر على الجوارح بفعل الاعتقاد القلبي، لذلك هي محمودة في آيات الكتاب العزيز، وصف بها المؤمنون، وخص الرحمن بالذكر من صفاته تعالى لأنها خشية برجاء، وشبه الجملة (بالغيب) حال مقيدة من فاعل (خشي)، أي متلبسا بالغيب، وهو غائب عن الأعين غير مشاهد.

قوله (وجاء بقلب منيب) الجملة حال بعد حال، أي: في حال مجيئه تائبا، وتعدية (جاء) بالباء لتضمنه معنى الإحضار، والإنابة التوبة، وإسنادها إلى القلب على عادة لغة العرب في تسمية الإدراكات الباطنية به.

قوله تعالى ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ ﴾

قوله (أدخلوها بسلام) الخطاب في أمر الدخول غير معين في الآية، يحتمل من الله أو من الملائكة، والمخاطبون هم المتقون أو باعتبار المعنى الجمعي في (من) في قوله (من خشي الرحمن)، وضمير النصب راجع إلى الجنة.

وشبه الجملة (بسلام) محلها الحال، أي متلبسين بالسلامة من العذاب والآفات.

قوله (ذلك يوم الخلود) أي: ذلك اليوم يوم الخلود في الجنة للمتقين.

قوله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (لهم ما يشاؤن فيها) اللام في (لهم) للاختصاص، وضمير الجمع للمتقين الداخلين في الجنة، والإبهام في اسم الموصول وصلته دال على السعة والإطلاق فيما رغب أهل الجنة، وجملة (فيها) محلها الحال متعلقة بـ (يشاؤون)، لأن ما في الجنة أكبر من أن يوصف بصفة، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

قوله (ولدينا مزيد) النون في الظرف للعظمة، و(مزيد) أي زيادة في نعم الله مما لا يندرج تحت مشيئتهم، ولا يخطر ببالهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقيل: إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم بما يشتهون.

قوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) انتقال بالكلام إلى تهديد قريش بطريق الإخبار بذكر إفناء الله للأمم الكافرة قبلهم.

و(كم) خبرية تفيد التكثير، وإهلاك الله تسليطه سبحانه عذاب الاستئصال على الأمم الكافرة بعد إلقاء الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال المعجزات،

والضمير في (قبلهم) راجع إلى مشركي مكة، و(من) زائدة للتأكيد، والقرن أصله المدة من الزمن محددة بمائة عام، يقرن بها الناس ويراد بها الأمة المجتمعة.

قوله (هم أشد منهم بطشا) الجملة موقعها الحال من الضمير في (قبلهم)، وجيء بها بالصيغة الإسمية لثبات كون الأمم الهالكة كعاد أقوى من قريش، وأفناها الله.

وضمير الجمع (هم) راجع إلى الأمم الهالكة، للاحتراز من تداخل ضمائر جمع الغائبين، وضمير الجمع الثاني في (منهم) راجع إلى قريش، ونصب (بطشا) على التمييز، ونظم الضمائر في الآية في غاية البلاغة.

قوله (فنقبوا في البلاد هل من محيص) الفاء تفيد السبب، أي: شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب، والتنقيب الثقب والحفر في الأرض، والفعل استعارة بالكناية عن بناء الحصون والقلاع، و(في) للتلبس الظرفي، وتعريف البلاد للعهد أي بلادهم التي استوطنوها.

وجملة الاستفهام الإنكاري (هل من محيص) استئناف لإفادة نفي النجاة من الهلاك، إذ لم تنفعهم حصونهم ولا مبانيهم منه، و(هل) حرف استفهام بمعنى النفي، و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، والمحيص الملجأ والمنجى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (إن في ذلك لذكرى) الاستئناف المؤكد لأهمية الإخبار، واسم الإشارة لتعظيم خبر إهلاك الأمم السابقة، واللام الداخلة على خبر (إن) للتأكيد، والذكرى يراد بها التذكرة والعظة مما أصابهم.

قوله (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) اللام للعلة، وذكر القلب يراد به العقل، وأكده الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم.

و(أو) للترديد، وإلقاء السمع استعارة بالكناية عن شدة الاهتمام بتدبر ما يسمع من الوحي النازل في القرآن، فإن في ذلك مزيد تحذير من عاقبة الإصرار على الكفر.

وجملة (وهو شهيد) موقعها الحال المقيدة من ضمير (ألقى)، أي: وهو حاضر الذهن، والمعنى: إن من ينتفع بقصص الأمم الهالكة ويتعظ بها أحد رجلين: أما عاقل يميز بين الحق والباطل، أو رجل ليست له ملكة التمييز بين الحق والباطل فعليه حسن استماع القول ليتبعه، وأما من تجرد قلبه عما ذكر من الصفات فلا قلب له أصلا.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) القسم والتحقيق في (لقد) لأهمية الكلام، وفعل الخلق بمعنى الإيجاد والتدبير كما تقدم غير مرة، والسماوات والأرض مملكة الله الواسعة، وجملة الموصول (وما بينهما)

أي: وخلق ما بين السماوات والأرض من مخلوقات، والصلة الظرفية (في ستة أيام) لأنها خلقت بتدرج.

قوله (وما مسنا من لغوب) الجملة موقعها الحال، والمس أدنى الإصابة، و(من) مزيدة لتقوية عموم النفي، واللغوب التعب من الجري، والكلام رد على زعم اليهود أن الله بدأ خلق العالم في خمسة أيام واستراح في اليوم السادس، والعرب المشركون أعادوا ما زعم المشركون، والقرآن وإن ذكر خلق العالم في ستة أيام لكنه لم يذكر كونها من أيام الأسبوع كما قيلت في التوراة.

قوله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ ﴾

قوله (فاصبر على ما يقولون) الفاء للتفريع، والأمر للنبي ﷺ بالصبر على طعن المشركين بما رموه من أشكال الافتراءات كالشعر والجنون والسحر، وإنكارهم للبعث، ولا يخلو الأمر من دلالة التهديد لهم.

ولفظ الصبر معناه الحبس، ويراد به حمل النفس على تحمل ما تكره، و(على) للمجاز الاستعلائي.

قوله (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) في مضمون الأمر: لا تبال بما يقول المشركون واشتغل بتسبيح ربك دائما.

والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق بساحة قدسه من تشبيه ونقص وتشريك، وجملة (بحمد ربك) محلها الحال، والباء في (بحمد) للملابسة، والحمد بالغ الثناء على مننه تعالى، والخطاب في لفظ الرب لإفادة الامتنان، وخصوصية ظرف التسبيح (قبل طلوع الشمس) أي الفجر أول النهار كناية عن صلاة الصبح، و(قبل الغروب) أي: التسبيح آخر النهار بعد صلاة الظهر والعصر.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠ ﴾

قوله (ومن الليل فسبحه) تقديم الظرف للاهتمام، وفيه قوة الشرط لذلك وقعت الفاء في فعل التسبيح، والتقسيم الزمني في الآية يعزز كون المراد به الكناية عن صلاتي المغرب والعشاء.

وقد يراد بالتسبيح مطلقه كما جاء في المجمع مرويا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قوله: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) فقال: تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. انتهى.

قوله (وأدبار السجود) أي: وسبحه عقب كل صلاة، وقيل المراد به عموم النوافل بعد الفرائض، وقيل هي الركعتان أو ركعات بعد صلاة المغرب.

والأدبار جمع دبر وهي نهاية كل شيء، ونظيره قوله تعالى (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) [الطور: ٤٩]، وذكر السيوطي وغيره بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إدبار النجوم والسجود

فقال: أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم الركعتان قبل الغداة. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

قوله تعالى﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (واستمع يوم يناد المناد) الخطاب للنبي ﷺ، أي: استمع بعناية لما يوحى إليك من أحوال يوم القيامة وأهوالها يوم ينفخ إسرافيل وينادي جبريل بالحشر.

والكناية عن التصريح بيوم القيامة لتهويلها وتعظيمها، وحذف الياء من فعل النداء واسم فاعله للتخفيف عوضت عنه الكسرة.

قوله (من مكان قريب) شبه الجملة موقعها الحال من ضمير المنادي، والكلام كناية عن وصول نداء الحشر إلى كل أحد وإحاطته بأسماعهم.

قوله تعالى﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (يوم يسمعون الصيحة بالحق) الكلام بدل من (يوم ينادي)، وفاعل (يسمعون) الموتى في قبورهم، والصيحة النداء بالبعث والقيامة، وتقييدها (بالحق) لأنها من قضاء الله تعالى الذي يحقق به غاية خلقه، كما أن الموت حق، قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق) [ق: ١٩].

قوله (ذلك يوم الخروج) اسم الإشارة لتعظيم ذلك اليوم، ويوم الخروج يوم خروج الموتى من قبورهم محشورين للحساب والوقوف بين يدي ربهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝٤٣ ﴾

قوله (إنا نحن نحيي ونميت) الكلام لبيان سعة القدرة الإلهية، ولا يخلو من تعليل لما تقدم، وأورد الكلام بالقصر والتأكيد لإنكار المشركين بعثهم من القبور.

وإحياء الله إفاضته الحياة أول نشأة المخلوق، وإماتته بقبض روحه بعد انقضاء مدة وجوده في الحياة الدنيا.

قوله (وإلينا المصير) أي وإلى الله وحده مآلهم بعد بعثهم من قبورهم للحساب يوم القيامة، وهو ما ينكره الوثنيون.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤ ﴾

قوله (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) الكلام كناية عن بعث المشركين من قبورهم أحياء، خصوا بالذكر لأنهم ينكرون المعاد إلى الله.

و(تشقق) مخففة التاء لتيسير النطق، وأصلها: تتشقق، والتشقق يقتضي إظهار المخبوء فيه، وإسناده إلى الأرض لازمه كشف المقبورين فيها، وتعدية الفعل بحرف التجاوز دال على تضمنه معنى الكشف.

ونصب (سراعا) على الحال من ضمير (عنهم)، وهو جمع سريع، دال على سرعة تلبيتهم نداء ربهم للحشر والحساب.

قوله (ذلك حشر علينا يسير) اسم الإشارة لاختصار ما تقدم من معنى تشقق الأرض عنهم وخروجهم منها سراعا، والحشر الجمع على سبيل الإزعاج والقهر، وتقديم (علينا) لقصر اليسر فيه تعالى، و(يسير) أي: سهل هين، والكلام لبيان كمال القدرة الإلهية، لأن المشركين يستبعدون إمكان جمع أشلاء الموتى وإعادتها للحياة.

قوله تعالى ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥ ﴾

قوله (نحن أعلم بما يقولون) الكلام تعليل للأمر في قوله تعالى (فاصبر على ما يقولون)، وضمير الفصل للقصر، واسم التفضيل لمطلق العلم، وفيه دلالة التسلية للرسول ﷺ، والتهديد للمشركين لأن قولهم كان بإنكار البعث والرسالة والآيات الناطقة بها.

قوله (وما أنت عليهم بجبار) نفي مؤكد عن تحمل الرسول ﷺ مسؤولية كفر المشركين وعدم هدايتهم، ولازمه الأمر له بعدم الاكتراث بكفرهم، لأنه تعالى لم يبعثه قهارا لهم يجبرهم على الإيمان، بل الإيمان خيار منهم.

قوله (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) الفاء لتفريع السبب على النفي، وهو المبالغة في تذكير النبي ﷺ لقومه بآيات القرآن الداعية إلى توحيده تعالى والزاجرة عن الكفر به، وخص التذكير بمن يخاف وعيده تعالى لأنهم الأقدر

على الانتفاع به، ووعيد الله العقاب بالنار على الكفر به، ودلالة مضارع فعل الخوف أن ذلك من عاداتهم مستمرين عليه.

سورة الذاريات

مكية، وهي ستون آية

غرض السورة إثبات التوحيد، فعرضت أدلته، من طريق إثبات الجزاء والوعد عليه، والإنذار به، فافتتحت بما يرتبط به وهو المعاد واختتمت به، باعتباره أصلا موصلا إلى التوحيد، فاحتجت عليه بذكر آيات خلق الأرض والسماء والأنفس، وأنكرت السورة على المشركين إنكارهم للمعاد، وتوعدتهم بعاقبة الأمم السابقة عليهم، لأنهم اجتهدوا في بطلانه وإقامة الشبهات حوله، والاستهزاء به، وهم إنما يفعلون ذلك ليكون طريقا لنفي الوحدانية والنبوة.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ ﴾

افتتحت السورة بقسم بعد قسم لبيان تدبير الله تعالى لما خلق تحقيقا لجوابه وهو إثبات المعاد والدين الحق، والأقسام مختلفة في آيات الكتاب العزيز، كلها تشير إلى أهمية المقسم به، توصلا إلى عظمة تدبيره تعالى، ودلائل وحدانيته، لأن هذه الأمور المقسم بها بمنزلة الشهادة على تحقق مضمون الجملة المقسم عليها، من حيث أنها أمور بديعة من الخالق، فمن قدر عليها من الأولى أن يقدر على ما سواها من أمور البعث والجزاء.

والكلام في الآية قسم بالرياح تذرو التراب ذروا، فالذاريات صفة لموصوف محذوف سميت بذلك لأنها تفرق ذرات التراب وهشيم النبت، وتطيرها إلى الأعلى لشدة هبوبها، ولذا جيء بالمفعول المطلق (ذروا) لبيان نوعيته، قال في المجمع: ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا طيرته، وأذرته تذريه بمعناه. انتهى.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام وقد أخذ المعنى بعيدا: يذري الروايات إذراء الريح الهشيم. انتهى.

أقول: وفي بعض الروايات: ذرو الهشيم، وهو الأفصح، نحو قوله تعالى (فأصبح هشيما تذروه الرياح) [الكهف: ٤٥]، ولفظ الهشيم ما يبس من النبت وتفتت، والمعنى: كما إن الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل بالروايات ما تفعل الريح بالهشيم.

قوله تعالى ﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ ﴾

الفاءات في الآيات للعطف الترتيبي تشير إلى كمال قدرة الله في التدبير، فقد جرى ترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من تفاوت في الدلالة على كمال القدرة الإلهية.

ولفظ الحاملات صفة للسحب، ولفظ الوقر معناه الثقل، استعارة للماء في السحاب ويراد به المطر، ونصبه لأنه مفعول اسم الفاعل، وهو نظير قوله تعالى (وينشئ السحاب الثقال) [الرعد: ١٢].

قوله تعالى ﴿ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ ﴾

القسم بالسفن الجارية في البحر جريا يسيرا آمنا، لما في ذلك من إعجاز فقد جعل الله في خواص الماء ما يمكنه من حمل السفن الكبيرة رغم أثقالها، وجعل دفعها على الماء سهلا بفعل الرياح الهابة عليها.

والجري أصله المشي بسرعة، ونصب المصدر (يسرا) لأنه صفة لموصوف محذوف تقديره: جريا يسيرا.

قوله تعالى ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ ﴾

المقسم به كناية عن الملائكة، فهي وسائط الله تعالى في تقسيم الأمور من الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد، وتدبير شؤونهم، على ما يؤمرون به، فهي مُقسِّمات لأمر الله لأنها مراتب ومقامات، قال في الميزان: فإن أمر ذي العرش بالخلق والتدبير واحد، فإذا حمله طائفة من الملائكة على اختلاف أعمالهم انشعب الامر وتقسم بتقسمهم، ثم إذا حمله طائفة هي دون الطائفة الأولى، تقسم ثانيا بتقسمهم، وهكذا حتى ينتهي إلى الملائكة المباشرين للحوادث الكونية الجزئية، فينقسم بانقسامها ويتكثر بتكثرها. انتهى.

وتفسير الكنايات الواردة في الآيات نقلته أغلب كتب التفسير عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أوفق نظر.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ ﴾

الجملة جواب القسم، والخطاب للمشركين لأنهم المنكرون للبعث والوحدانية، فأوعدهم الله بتحقيق عقابه على لسان نبيه ﷺ، والله لا يخلف وعده.

و(إنما) مكونة من (إن) و(ما) الموصولة، وليست للقصر بدليل دخول لام التأكيد على خبرها، ونسبة الصدق إلى ما وعدوا نسبة مجازية عقلية والمراد لذو صدق.

قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾

مقسم عليه ثان، تبيين للوعد، وهو حتمية حصول الجزاء يوم القيامة، ولفظ الدين معناه الجزاء، كقوله تعالى (مالك يوم الدين)، والواقع الكائن الحاصل.

قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾

قسم آخر بالسماء، والسماء ما علا الأرض، ويراد بها الكواكب السيارة التي تسبح في الفضاء بدقة وانتظام، ولفظ الحبك جمع حباك أو حبيكة، وأصله الإحكام، ووصف السماء بأنها (ذات الحبك) يحمل ثلاث دلالات: الأولى: بمعنى أنها ذات زينة وحسن، تزينها نجومها في السماء ليلا لأهل الأرض، نحو قوله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) [الصافات: ٦]، والثانية: أنها ذات الخلق المستوي المتقن البنيان، نحو قوله تعالى من السورة نفسها (والسماء بنيناها بأيد)، والثالثة: أنها ذات الطرائق المحسوسة التي هي مسير النجوم، أو المعقولة التي يسلكها النظار، نحو قوله تعالى (ولقد خلقنا

فوقكم سبع طرائق) [المؤمنون: ١٧]، والرأي الأخير رجحه على ما يبدو الراغب في شرحه للفظ الحبك.

قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ ﴾

الجملة جواب القسم، والخطاب لمشركي مكة لتوبيخهم لأنهم مضطربون شاكون في إيمانهم بالقرآن، و(في) للظرفية المجازية، دال على انغماسهم في القول المختلف، أي القول المتناقض بشأن القرآن والنبي ﷺ، فقد وسموه بالسحر وأن الذي جاء به ساحر، وبالشعر وأنه شاعر، وهكذا بالكهانة، وبأنه من الأساطير، وأنه من تعليم البشر.

قوله تعالى ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ ﴾

الإفك الصرف والتحويل، وأكثر استعماله فيما يحسن، والضمير في (عنه) راجع إلى القرآن باعتبار اختلاف قول المشركين فيه، أي: يصرف عن القرآن كل مشرك مصروف عن التصديق، وحذف فاعل (يؤفك) ومفعول الفعل (أفك) للاستيعاب والإيجاز، ورعاية الفاصلة.

ويحتمل أن تكون الجملة متصلة بما قبلها صفة ثانية لـ (قول)، وعندها يكون الضمير في (عنه) عائد إلى القول، وحرف التجاوز بمعنى العلة، نظير قوله تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) [التوبة: ١١٤]، والمعنى حينئذ: يصرف المشركون بسبب قولهم المختلف، وما ذكر أحسن الوجوه، وما عداهما غير جدير بالوقوف.

قوله تعالى ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ﴾

جملة دعاء بالهلكة على المشركين، كما يقال: قاتله الله، ولازمه الطرد من رحمة الله، لذا فسر القتل بمعنى اللعن لأنه هنا بمنزلته، والخرص القول بالظن والتخمين من دون علم، وإن كان مطابقا للخبر، ومن هنا أطلق على الكاذب، لأنه ادعاء غير مبتنٍ على سماع أو دليل، ووصف المشركون بالخراصين مبالغة في خوضهم فيما لا علم لهم به، كقولهم بإنكار البعث والجزاء.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ ﴾

جملة محلها الصفة لـ (الخراصون)، وصفوا بانغماسهم في مطلق الجهل المحيط بهم، وضمير الفصل (هم) للقصر، و(في) للظرفية المجازية، والغمرة استعارة من معظم الماء بجامع الإحاطة والاشتمال، وتقديم الظرف للاهتمام، والسهو الغفلة عن حقيقة ما حذروا منه من عاقبة إنكار الدين والبعث.

قوله تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ ﴾

ضمير الجمع عائد على المشركين الخراصين، وفعل المضارع دال على تكرار الأمر منهم، وسؤالهم عن يوم الدين سؤال استعجال واستهزاء، لا سؤال استفادة واستعلام، نظير قوله تعالى (متى هذا اليوم إن كنتم صادقين)

[يس: ٤٨]، ويوم الدين هو يوم القيامة لأنّ فيه الجزاء على الأعمال، واسم الاستفهام (أيان) يسأل به عن الزمان، باعتبار أن يوم القيامة معدود في الزمانيات، كما يقال: أيان يوم العيد.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

الإجابة من الله تعالى بما يسوء المشركين من الحق النازل بهم بسبب استهزائهم في سؤالهم، أي: يقع يوم الدين يوم يعذبون في النار، وعدل في الإجابة عن تعيين توقيت يوم الدين إلى بيان صفته، لأن ذلك من الغيوب التي اختص الله تعالى بها وحده، قال تعالى (إن الله عنده علم الساعة) [لقمان: ٣٤].

ونصب الظرف (يوم) لأنه متعلق بفعل محذوف تقديره: يكون، أو يقع، وتقديم شبه الجملة للاهتمام، والفتن أصله عرض معدن الذهب على النار لتعرف جودته، واتسع استعماله في معاني الإحراق والاختبار.

قوله تعالى ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (ذوقوا فتنتكم) الأمر من الله للخراصين وهم يعذبون على سبيل إهانتهم واستهزائهم بيوم الدين، والفتنة كما تقدم الحرق بالنار.

قوله (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي: هذا العذاب الذي كنتم في حياتكم الدنيا تسألون تعجيله مستهزئين.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾

انتقال بالكلام من الترهيب بذكر أحوال الخراصين يوم القيامة إلى الترغيب بذكر أحوال المتقين واتباع طريقهم.

والابتداء بحرف النسخ لأهمية الإخبار، والمتقون المؤمنون العاملون بتقوى الله، الملتزمون بأوامره ونواهيه، و(في) للملابسة الظرفية، دالة على الاستقرار، ولفظ الجنات جمع جنة، جائزة الله تعالى للمتقين سميت بذلك لاكتظاظ أشجارها، ولازمه جريان مائها، لذا يقترن بذكرها ذكر الماء من العيون والأنهار دائما، والتنكير في الكلام لعظم قدرها وأنها مما لا يدرك كنهها.

قوله تعالى ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (آخذين ما آتاهم ربهم) نصب (آخذين) على الحال من لفظ المتقين، كناية عن رضاهم وقبولهم لما أعطاهم ربهم من نعم، والإتيان بـ (ما) الموصولة لإفادة الإبهام لأن عطايا الله لا تحد بحد، وإضافة لفظ الرب إلى ضميرهم لبيان حجة الأخذ والإيتاء.

قوله (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) قطع الكلام ولم يصله، لأنه تعليل للإتيان، أي: لأن شأنهم في الدنيا الاتصاف بعمل الإحسان.

قوله تعالى ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

الجملة تفسير لوصف المتقين بالإحسان، بقلة نومهم في الليل بسبب كثرة عبادتهم لربهم، لأنهم يحيونه بالصلاة والتسبيح.

ونصب (قليلا) على الظرفية، أو على أنه صفة لمصدر محذوف تقديره: هجوعا قليلا، و(من) للتبعيض، وشبه الجملة (من الليل) في موقع الصفة لـ (قليلا)، و(ما) مزيدة للتأكيد، والهجوع الغرار من النوم.

قوله تعالى ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾

الواو للعطف، والباء للظرفية بمعنى (في)، ولفظ الأسحار جمع سحر وهو وسط الليل وجوفه، وقدمت شبه الجملة للاهتمام، وضمير الفصل (هم) للإشعار باستدامتهم على الاستغفار حتى كأنهم الأحقاء به.

والاستغفار دعاء الله بطلب المغفرة من الذنب، أو هو مطلق العبادة، والمضارع في فعله للمداومة، ومحصل المعنى: وهم ـ أي المتقون المحسنون ـ مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على طلب المغفرة من ربهم في الأسحار، حيث تنام العيون وتنقطع الأرجل، وعن فضل التهجد أثر عن الرسول ﷺ قوله: إن آخر الليل في التهجد أحب إليّ من أوله، لأن الله يقول: (وبالأسحار هم يستغفرون). ذكر في الدر المنثور. انتهى.

وفي نهج البلاغة وصف للمتقين أخذ الإمام عليه السلام جل معانيه من القرآن، ومنها: أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾

لما بينت الآيات صلة المتقين بجنب ربهم، شرعت بذكر صلتهم بالناس، وجيء بتخصيص الحق في خاصة أموالهم مع أن حق السائل والمحروم ـ لو صح ـ صح في كل مال، لأنهم لنقاء فطرتهم أوجبوه على أنفسهم تقربا إلى الله وإشفاقا على الناس.

وتقديم الجار والمجرور للاهتمام، ولفظ الحق بمعنى الفرض الواجب استخراج إنفاقه، وتنكيره للتعظيم، واللام في (للسائل) بمعنى الغاية، والسائل من الناس هو المستجدي الذي يسأل العطية، وأما المحروم فهو الذي حرم الرزق فلا يسأل في طلبه تعففا.

قوله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ ﴾

انتقال بالكلام إلى ذكر دلائل الوحدانية في الألوهية والربوبية، بذكر خلق الأرض وآياتها من البر والبحر والسهول والجبال والنبات والحيوان وغيرها.

وتقديم شبه الجملة للاهتمام، ولفظ الآيات العلامات الدالة على تفرد الله تعالى في خلقها، وأنها من صنعه وحده، وتنكيرها للتعظيم، وخصها بالموقنين أي الثابتين على الإيمان بالله لأنهم الأجدر بتدبرها والانتفاع بمضامينها.

قوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾

قوله (وفي أنفسكم) العطف بمعنى: وفي أنفسكم آيات ظاهرة، والمراد هذا الخلق العجيب للإنسان المركب من الروح والبدن، وفي تعلق الجوارح بها، وعمل كل منها بمعزل عن الآخر، مع عودتها إلى آمر واحد هو النفس الباطنية، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يسعها الشرح المبسط لإيجاز الآية العظيمة، وحق للشاعر قوله:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وقد يراد بمعنى (وفي أنفسكم) ما تشتمل عليه من مشاعر مضطربة قد لا يجد لها صاحبها سببا، من الغضب والرضى، والغفلة أو النسيان، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: عرفت الله سبحانه بنقض العزائم وحل العقود. انتهى.

أقول: والمعنى أن فوق قدرة الإنسان قوة قاهرة، لأنه لولاها لأمضى ما عزم عليه من أمر ونواه، لكنه قد يعزم والله يفسخ.

قوله (أفلا تبصرون) الفاء لتفريع الاستفهام المفيد للإنكار والتوبيخ، ونفي البصر بمعنى ما يترتب عليه من تدبر وفهم لحقيقة أن وراء ذلك الخلق صانعا مدبرا هو الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (وفي السماء رزقكم) تقديم الجار والمجرور للأهمية، ولفظ السماء يقال لكل ما علا الأرض، ويراد به السحاب لأن فيها المطر الذي ينزل منها فيحيي

الأرض والنبات فيتغذى به الإنسان والحيوان، ومنه ملبسه، وأنواع ما ينتفع به.

والخطاب في (رزقكم) لعموم المخاطبين بداعي التذكير بالامتنان، والتعبير مجاز باعتبار ما يؤول المطر إلى رزق يقتاته الإنسان، أو باعتبار أن المطر سبب بالرزق، نظير قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها) [الجاثية: ٥].

ويمكن أن يراد بلفظ السماء المجاز من مقام العلو الغيبي الذي ينزل الله منه كل شيء، ومنه أرزاق العباد، قال تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) [الحجر: ٢١]، وقيل في تفسيرها مما هو قريب من ذلك.

قوله (وما توعدون) العطف على (رزقكم)، ويبدو الذي يوعدونه الثواب من الجنة، فقد جاء في الكتاب العزيز تسمية الجنة بالرزق نظير قوله تعالى (لهم مغفرة ورزق كريم) [الأنفال: ٤٧].

قوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ ﴾

قوله (فورب السماء والأرض) الفاء للتفريع، والقسم لأهمية المقسم به والمقسم عليه، ورب السماء والأرض خالقها ومدبرها.

قوله (إنه لحق) جواب القسم، والهاء في (إنه) عائد إلى كون الرزق وما يوعدون من السماء، وتأكيد خبر (إن) بأنه حق أي الثابت الكائن في القضاء الإلهي.

قوله (مثل ما أنكم تنطقون) التشبيه بمعنى: لا شبهة في تحقق ما توعدون مثل تحقق كلامكم الذي لا تشكون فيه.

قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الكلام في بيان دلائل القدرة الإلهية، والسؤال لتفخيم شأن الحديث الماضي كما يقال: هل سمعت بخبر كذا، ولفظ الضيف مصدر يقال للمفرد والجمع، وإبراهيم هو أبو الأنبياء، ووصفهم بالمكرمين لمنزلتهم العالية عند الله، نظير قوله تعالى (بل عباد مكرمون) [الأنبياء: ٢٦]، وهم الملائكة المرسلون من الله لتبشير إبراهيم بالولد بعد اليأس منه، وسموا بالضيف لأنهم دخلوا إليه بصورة الضيف أو لأنهم كانوا كذلك في حسبانه، وكان إبراهيم معروفا بإكرام الضيفان، فهي عادة نقلها من بلاد الرافدين التي ولد فيها، بعكس ما سيلاقي الضيفان من قرية سدوم قوم لوط.

قوله تعالى ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) العامل في (أذ) الظرفية (حديث)، أو لمعنى الفعل في لفظ الضيف، وضمير الجمع في فعل الدخول لأنهم ثلاثة وقيل أكثر، دخلوا عليه بهيأة الأعراب.

والفاء في (قالوا) لتفريع تحية السلام على إبراهيم، ونصبه على المفعولية المطلقة بتقدير: نسلم عليك سلاما.

قوله (قال سلام) وإبراهيم رد عليهم تحية السلام بأحسن منها، فقال: سلام، أي: سلامي سلام، أو عليكم سلام، فأورد تحيته بالجملة الإسمية لإفادة الدوام والثبوت.

قوله (قوم منكرون) مقول قول في النفس حكاه الله عنه علام الغيوب، وسماهم قوما لما يبدو عليهم من سمت واحد من اللباس العربي، ووصفهم بأنهم منكرون لأنه لا يعرفهم، قال السيد الطباطبائي: ولا ينافي ذلك ما وقع في قوله تعالى: (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم) [هود: ٧٠]، حيث ذكر نكره بعد تقريب العجل الحنيذ إليهم، فإن ما في هذه السورة حديث نفسه به، وما في سورة هود ظهوره في وجهه بحيث يشاهد منه ذلك. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (فراغ إلى أهله) الفاء للتفريع، والروغ والروغان ميل في المشي عن الاستواء إلى الجانب مع إخفاء إرادته ذلك، ويراد به الذهاب على خفية من ضيفه لمبادرتهم بالقرى خشية أن يكفوه عن ذلك أو يعذروه، وذلك من أدب الضيافة.

ولفظ الأهل خاصة المرء، من الزوج والأولاد، والهاء فيه راجع إلى إبراهيم، والرجوع إلى الأهل في مثل هذه الحالة لأن المرأة أدرى بما يمكن إعداده من طعام ونحوه.

قوله (فجاء بعجل سمين) الفاء فصيحة دالة على جمل محذوفة، بتقدير: فسألها عما يمكن إعداده من قرى، فأجابت طلبه وأعدت قراهم فجاء بعجل سمين، وهي والتي بعدها دالة على سرعة المجيء بالطعام، وتعدية فعل المجيء بالباء لتضمنه معنى الإحضار، والعجل ولد البقرة، ووصفه بانه سمين لأن ذلك من كمال أدب الضيافة، وفي سورة هود وصف بأنه حنيذ، أي مشوي على طريقة أهل البادية، حيث الشواء أسرع طبخهم.

قوله تعالى ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ ﴾

قوله (فقربه إليهم) أي: قرب إبراهيم الشواء إلى الضيفان، وذلك بأن جلبه بين أيديهم ولم يكلفهم الانتقال إليه، وهو من كمال أدب الضيافة.

قوله (قال ألا تأكلون) الكلام عرض من إبراهيم للملائكة بالأكل لما رأى أنهم لا يأكلون.

قوله تعالى ﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ ﴾

قوله (فأوجس منهم خيفة) الفاء دالة على أنها فصيحة بتقدير: فلما رأى أنهم لا يأكلون أوجس منهم خيفة، والإيجاس إضمار الحذر في النفس، ولفظ الخيفة

بمعنى الخوف ونصبه على الحال، وإنما أوجس الخيفة لأنه أدرك أنهم ملائكة جاؤوا بالإنذار الشديد.

قوله (قالوا لا تخف) أي: الملائكة لما رأوا ما بدا عليه من الخوف أمنوه وعرفوه بأنفسهم.

قوله (وبشروه بغلام عليم) أي: أسمعوه ما يسره من البشارة بالولد، وتنكير لفظ الغلام للتعظيم والنوعية ووصفه بأنه عليم متضمن معنى البشارة بامتداد النبوة في ولده، والمبشر به هو إسماعيل وقيل إسحاق.

قوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (فأقبلت امرأته في صرة) الفاء للتفريع، والجملة دالة على أن امرأة إبراهيم سمعت البشارة من دون قصد، والصرة الضجة، مأخوذ من صرير الباب، وشبه الجملة محلها الحال أي: أقبلت في ضجة وصياح.

قوله (فصكت وجهها) الفاء للعطف الترتيبي، أي جمعت أصابعها وضربت جبينها متعجبة، والصك كما قال في المجمع: ضرب الشيء بالشيء العريض. انتهى.

قوله (وقالت عجوز عقيم) أي: وقالت مستنكرة أنا عجوز عقيم، فكيف ألد؟

قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (قالوا كذلك قال ربك) أي: أجابها المرسلون بتأكيد البشارة بأنه قضاء إلهي، واسم الإشارة بمعنى: كما أخبرناك، ومعنى فعل القول حكمه تعالى وقضاؤه الذي لا يتغير، وإسناد الرب إلى كاف امرأة إبراهيم لبيان الحجة.

قوله (إنه هو الحكيم العليم) تعليل لما تقدم، أي لأنه هو وحده تعالى الذي يعلم وجه الحكمة فيما يعطي عجوزا عقيما وشيخا كبيرا من بشارة الغلام.

قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ٣١ ﴾

التفات في الكلام من إبراهيم عليه السلام إلى المرسلين لما تفرس أن وراءهم أمرا آخر غير البشارة، والسؤال في قوله (فما خطبكم) دال على أنهم يضمرون أمرا عظيما، لأن الخطب يسأل به عن ذلك.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٢ ﴾

أجاب المرسلون إبراهيم بأنهم أرسلوا قاصدين قوما بعينهم موصوفين بالإجرام، وهو قوم لوط، أهل سدوم، وسموا بذلك لأنهم قطعوا الإيمان بالكفر، والجرم أصله القطع.

قوله تعالى ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ٣٣ ﴾

جملة الغرض من الإرسال، وبين (أرسلنا) و(نرسل) جناس اشتقاقي بديعي، والإرسال الإطلاق، وحرف الجر في (عليهم) مجاز للتمكن والاستعلاء،

وتنكير لفظ الحجارة للنوعية، و(من) للتبيين، والطين التراب المبلول، والتركيب بمعنى: طين متحجر، وهو السجيل في آيات أخرى.

قوله تعالى ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤ ﴾

قوله (مسومة عند ربك) أي: هذه الحجارة معلمة مسماة باسم كل شخص من أهل سدوم تصيبه ولا تخطئه، ودلالة الظرف أنها مخلوقة لأجلهم، مختصة بهم.

قوله (للمسرفين) واللام بمعنى الأجل، وتعريف المسرفين للعهد أريد بهم قوم لوط، والمسرف المتجاوز للحد، مأخوذ من الإسراف في إنفاق المال على نحو الاتساع في الاستعمال، وأهل سدوم أفرطوا في العصيان وشيوع الفاحشة.

قوله تعالى ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ ﴾

الفاء فصيحة مفصحة عن حذف جمل كثيرة تتعلق بذهاب الملائكة إلى لوط وإخباره بخبر العذاب وأمره بالخروج، والهاء في (فيها) راجعة إلى لفظ القرية المفهوم من السياق وإن لم يذكر، و(من) بيانية.

قوله تعالى ﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦ ﴾

الفاء للعطف الترتيبي في الكلام، والكلام بمنزلة التعليل لإنزال العذاب فيهم، والهاء في (فيها) لقرى سدوم، و(غير) اسم استثناء ملغى بـ (ما) النافية،

والكلام يفيد القصر، ولفظ البيت أريد به بيت لوط ﵇، يعني لوطا وبنتيه، و(من) بيانية، وقد وصفهم الله بالإيمان والإسلام جميعا.

قوله تعالى ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (وتركنا فيها آية) الترك يراد به الإبقاء، أي: أبقينا في قرى قوم لوط علامة ظاهرة دالة على ربوبية الله، فجعلها عبرة لمن يعتبر، لأن الله تعالى قلب عاليها سافلها.

قوله (للذين يخافون العذاب الأليم) اللام المقترن باسم الموصول بمعنى العلة، والضمير في اسم الموصول راجع إلى عموم الناس، وخصهم بالخوف من العذاب الأليم لأن ذلك أجدر بتدبر آية إهلاك قرية قوم لوط وأخذ العبرة منها.

قوله تعالى ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (وفي موسى) العطف بمعنى: وفي إرسال موسى آيات ظاهرة، وفي الكلام انتقال بعطف قصة على قصة، وخص قصة موسى ﵇ بالذكر لأن في ظهوره على فرعون وقومه دليلا على كمال القدرة الإلهية.

قوله (إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أي: حين أرسلناه إلى فرعون بحجة قاهرة، وهي قلب العصا حية.

والباء في (بسلطان) للملابسة، والسلطان الدليل القوي الذي لا يرد، وشبه الجملة محلها الحال من نون أرسلنا، ووصفه بالمبين لأن حقيقته ظاهرة لا يشك فيه.

قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

قوله (فتولى بركنه) الفاء للتفريع، والتولي هنا بمعنى الإعراض والتجاهل وفاعله فرعون، والباء للتعدية، والركن ما يتقوى به البنيان، ويراد به عسكره وجنوده، والمعنى: فأعرض فرعون عن الإيمان بحجج موسى متقويا بعسكره وجنده.

قوله (وقال ساحر أو مجنون) أي: هو ساحر، وكانت غاية افتراء فرعون على موسى بالسحر أو الجنون للتشويش على عامة قومه القبط حتى لا يؤمنوا به وبمعجزاته، فنسب ما ظهر على يديه من الخوارق إلى السحر أو إلى الجن استبعادا منه أن يكون مرسلا من الله، وقد حكى القرآن القولين عن فرعون وافترائه على موسى، كقوله تعالى (إن هذا لساحر عليم) [الشعراء: ٣٤]، وقوله (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) [الشعراء: ٢٧].

قوله تعالى ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (فأخذناه وجنوده) الفاء للتفريع، وفعل الأخذ مستعمل لمعنى الإهلاك، والنون للعظمة لبيان القدرة الإلهية وهوان طغيان فرعون وعسكره أمامها.

قوله (فنبذناهم في اليم) الفاء للتعقيب، والنبذ الطرح بكراهة، و(في) للملابسة الظرفية، واليم البحر وتعريفه للعهد، والمراد إغراقهم في بحر القلزم، الذي يسمى اليوم البحر الأحمر.

قوله (وهو مليم) جملة محلها الحال من ضمير النص في (فأخذناه)، و(مليم) بمعنى: أتى بما يلام عليه من الكفر والجحود، وخص بالذكر لأنه إمام قومه الكفرة.

قوله تعالى ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (وفي عاد) العطف بمعنى: وتركنا في قوم عاد آيات واضحة على دليل القدرة في الإهلاك بعد الإنذار، وإرسال الرسل، ونبي قوم عاد هود عليه السلام.

قوله (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي: وقت إهلاك الله لهم بالريح الصفراء التي قطعت دابرهم فلم يعد لهم ذكر بعد ذلك.

وتعدية فعل الإرسال بحرف الاستعلاء (على) متضمن معنى: الإطلاق للإهلاك، بينما تعديته بحرف الانتهاء (إلى): أرسل إليه، متضمن معنى الإطلاق للإيصال والتبليغ، وتوصيف الريح بالعقم لانتفاء النفع مما يتوقع منها كإنشاء مطر أو إلقاح شجر.

قوله تعالى ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾

محل الجملة الصفة الثانية للريح أو الحال منها، وهي تفصيل لمعنى عقمها، أي: لا تترك شيئا مرت عليه إلا أهلكته وجعلته مسحوقا كالعظام البالية.

و(ما) نافية، و(تذر) بمعنى: تترك، و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، ولفظ (شيء) للعموم مبالغة في الإفناء، و(إلا) أداة استثناء ملغاة لإفادة القصر، وجملة (أتت عليه) بمعنى: جرت أو مرت عليه، ومحلها الحال، وفعل الجعل بمعنى التصيير، التشبيه بالرميم تمثيل لإهلاك الريح لكل شيء في أمة عاد، والرميم العظم البالي السحيق.

قوله تعالى ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (وفي ثمود إذ قيل لهم) أي: وتركنا في قوم ثمود آية ظاهرة حين قيل لهم تمتعوا إلى حين. وأمة ثمود هو قوم النبي صالح ﵇، وفي الكلام إيجاز غير خاف لأن المقام مقام عظة وتذكير لا مقام سرد وتفصيل، وكذا فيما تقدم من ذكر الاتعاظ بالأمم البائدة وما سيجيء.

قوله (تمتعوا حتى حين) الأمر مضمونه التهديد والوعيد، والتمتيع الاستلذاذ باللذات المؤقتة كناية عن زوال المقام في الحياة الدنيا، ولذا جيء بالصلة (حتى حين) أي: إلى وقت مقدور لهم، وهو انقضاء مدة بقائهم بنزول عذاب الإفناء فيهم، وذلك لأنهم لما عقروا الناقة أمهلهم النبي صالح للعودة والتوبة من كفرهم، ولكن أصروا على فعلهم فأهلكهم الله بالصاعقة، قال تعالى في

الحكاية عن نبيه صالح لقومه (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) [هود: ٦٥].

قوله تعالى ﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ ﴾

قوله (فعتوا عن أمر ربهم) أي: فخرجوا عن الامتثال لأمر ربهم في المهلة المعطاة لهم ترفعا واستكبار منهم.

والعتو أصله النبو والارتفاع، وتعديته بحرف التجاوز لتضمنه معنى الخروج والعصيان، وإضافة لفظ الرب إلى هاء جمعهم لتشنيع عصيانهم على مولاهم.

قوله (فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) الفاء دالة على ترتيب الأثر على العتو، وفعل الأخذ من الاستعارات القرآنية للعذاب كأنه يمسك بهم فلا يفلتوا منه حتى يهلكهم، ولفظ الصاعقة بمعنى النار النازلة من السماء، وفي موضع آخر سماها القرآن الصيحة والرجفة فقال (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) [هود: ٦٧]، وقال (فأخذتهم الرجفة) [الأعراف: ٧٨]، ولا تنافي بينها، لإمكان تحقق الصفات فيها جميعا.

وجملة (وهم ينظرون) جملة حالية، أي في حال من المعاينة للصاعقة، لا يقدرون على دفعها عنهم.

قوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥ ﴾

قوله (فما استطاعوا من قيام) أي: لم تمهلهم الصاعقة مقدار القيام من مجلسهم، فأهلكت كل واحد في مكانه، نظير قوله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) [الأعراف: ٧٨]، ونفي الاستطاعة نفي القدرة والتمكين، و(من) زائدة لنفي عموم القيام والنهوض.

قوله (وما كانوا منتصرين) أي: ولم ينتصر لهم أحد بدفع الهلاك عنهم، والمراد أن أسباب النجاة منتفية عنهم، فلا يدفعونه بأنفسهم ولا يدفعه غيرهم عنهم.

قوله تعالى ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (وقوم نوح من قبل) العطف على ما سبق من ذكر إهلاك الأمم، ونصب (قوم) بتقدير: وأهلكنا قوم نوح، وكان إهلاك الله لهم بالإغراق بالطوفان العظيم، والظرف (من قبل) أي: من قبل إهلاك قوم عاد وثمود وقوم فرعون.

قوله (إنهم كانوا قوما فاسقين) جملة تعليل للإهلاك، لأنهم كانوا قوما موصوفين بالفسق، أي: الخروج عن زي العبودية لله.

قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (والسماء بنيناها بأيد) العطف على قوله (وفي الأرض آيات للموقنين)، لأنه رجوع بالكلام إلى ذكر آيات القدرة في الخلق والتكوين بعد ذكر آيات القدرة على الإفناء.

ونصب السماء على تقدير: بنينا السماء بنيناها، والبناء اسم لما يبنى بناء، والابن سمي بذلك لكونه بناء للأب، والبنيان اسم لا جمع له، ويعبر به عن ثبات الشيء وارتفاعه، واستعمل للسماء على نحو المجاز لثباتها وحسن نظامها، وجملة (بأيد) محلها الحال، والباء للملابسة والأيد القوة.

قوله (وإنا لموسعون) أي: وإنا لذو سعة قادرون لا يعجزنا شيء، أو من القدرة على الإعطاء، أو من التوسعة في خلق السماء.

قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (والأرض فرشناها) القول في نصب لفظ الأرض كالقول في نصب لفظ السماء، وفرشها كناية عن بسطها بحيث تصلح لإقامة البناء فيها، والاستقرار عليها.

قوله (فنعم الماهدون) الفاء لتفريع الثناء على صنيع الله وتدبيره في خلق الأرض، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: نحن، عائد إلى الله تعالى، والماهد الممهد المهيء لما يصلح الاستقرار عليه.

قوله تعالى ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (ومن كل شيء خلقنا زوجين) يعني به خلق المتقابلات من كل نوعين متضادين، يكمل أحدهما بالآخر كالذكر والأنثى، وقيل مطلق المتقابلات كالصفات نحو الأسود والأبيض، والظروف مثل الليل والنهار، والخلق

كالذكر والأنثى، والجن والإنس، والكواكب كالشمس والقمر، والبر والبحر وغيرها.

وتقديم شبه الجملة في الكلام للاهتمام، والخلق الإيجاد والتدبير، والزوجان النوعان المقترنان.

قوله (لعلكم تذكرون) جملة تعليل، والخطاب لكل مخاطب، أي: لعلكم تتذكرون أن الله تعالى الخالق للمتضادات هو الفرد الأحد المستحق للعبادة، لا تنطبق عليه الشركة، لأنه لو كان له شريك لأصبح محتاجا، غير قابل لخلق المتقابلات، ولذلك قال أمير المؤمنين ﵇: كلّ مسمى بالوحدة غيره قليل. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وفيه: بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل، والحرور بالصرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾

قوله (ففروا إلى الله) الكلام متفرع على ما تقدم من ذكر الحجج على الوحدانية في الخلق والإثابة والعقاب، والخطاب قول مقدر من النبي ﷺ لقومه.

والمراد بالفرار الإسراع إلى الإيمان بالله وطاعته، والتصريح بلفظ الله لبيان الحجة في الفرار، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: فاتقوا الله عباد الله وفروا من الله إلى الله. انتهى.

قوله (إني لكم منه نذير مبين) جملة تعليل للأمر، أي: لأني لكم منه نذير مبين، والتكلم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتأكيدات لإنكار قومه لنبوته، واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، والهاء في (منه) راجعة إلى الله بمعنى: من عقابه، والنذير المخوف من عاقبة عصيان الله، وتوصيفه بالمبين لظهور حجة إرساله وإنذاره.

وفي مضمون أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر قومه بالفرار إليه تعالى وتعليله وعد كريم بنجاتهم من المهروب، وفوز بالمطلوب، إن التزموا بأمره وإنذاره.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾

قوله (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) جملة النهي في الجعل بمنزلة التفسير لجملة الأمر بالفرار، وهي خلوص عبادته من كل شركة، فالألوهية خالصة له وحده سبحانه.

قوله (إني لكم منه نذير مبين) أي: لأني لكم نذير من هذا الجعل، فهو تعليل للنهي، لا تكرير للإنذار.

قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ ﴾

رجوع بالكلام إلى ما افتتحت به السورة من إنكار النبوة ولوازمها من المعاد والدعوة إلى التوحيد، فذكرت الآية أن ذلك الإنكار سنة جرت عليها الأمم البائدة قبل مشركي مكة، وأن قولهم في الافتراء على الرسول ورميه بالسحر والجنون واحد.

والتشبيه في (كذلك) أي: الأمر مثل ما ذكر من تكذيبهم للرسول وطعنهم له بأنه ساحر أو مجنون، والنفي والاستثناء لتحقيق المعنى في الكلام، وجملة (ما أتى الذين من قبلهم) للتشبيه، وضمير جمع الغائبين في (قبلهم، وقالوا) راجع إلى مشركي مكة، وشبه الجملة (من رسول) محلها الرفع فاعل (أتى)، و(من) زائدة لتأكيد العموم، والرسول المبعث برسالة الله، و(قالوا ساحر) أي: قالوا في حقه ساحر أو مجنون.

قوله تعالى ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ ﴾

قوله (أتواصوا به) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والمراد بالتواصي وصية أولهم لآخرهم بالتكذيب، وواو الجماعة راجعة إلى الأمم المنكرة، والهاء في (به) عائدة إلى قولهم عن الرسول (ساحر أو مجنون).

قوله (بل هم قوم طاغون) بل: للإضراب الانتقالي، وتأكيد كون الداعي إلى قولهم بالافتراء على الرسل هو رسوخ طغيانهم في نفوسهم واستكبارهم على الحق.

قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤ ﴾

قوله (فتول عنهم) الفاء للتفريع، والخطاب للنبي ﷺ، أي: إذا استمر عنادهم على الكفر مع تقديم الحجج فأعرض عنهم وتجاهلهم ولا تجادلهم على الحق.

قوله (فما أنت بملوم) الفاء للتفريع على التفريع، وهو النفي المؤكد عن تحمل النبي ﷺ مسؤولية كفرهم، لأنه بلغهم الرسالة وأراهم السبيل ووضح لهم البرهان، فلا لوم عليه ولا تقصير.

قوله تعالى ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ ﴾

قوله (وذكر) العطف على التفريع السابق، أي واستمر بالتذكير والعظة والدعوة إلى التوحيد.

قوله (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الفاء لتفريع العلة على الأمر، وهو أن التذكير يزيد المؤمنين إيمانا بدينهم، بخلاف الطاغين، لا يزيدهم إلا نفورا.

وفي المجمع: وروي بالإسناد عن مجاهد قال: خرج علي بن أبي طالب عليه السلام مغتما مشتملا في قميصه فقال: لما نزلت (فتول عنهم فما أنت بملوم) لم يبق أحد منا إلا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي: (فتول عنهم)، فلما نزل (وذكر فإن

الذكرى تنفع المؤمنين) طابت نفوسنا، ومعناه: عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

في الكلام عدول من الغيبة إلى التكلم، لاقتضاء المقام ذلك، فضمير التكلم الإفرادي في (خلقت) مراعاة لغرض الخلقة، وهو عبادة المخلوق لربه، وإن قصر خلق عموم الجن والإنس في عبادة الله، وتعليل الخلق بها دليل على أن كمالهم في عبادة ربهم، وتحقيق سعادتهم بها، ومن هنا لم يقل: لأعبد، أو لأكون لهم معبودا، بل أسند فعل العبادة إلى ضمير أنفسهم، لأنه تعالى غني غير محتاج لسد نقص بهم، بخلاف خلقه الفقراء إليه، ويستفاد من القصر أيضا ألا عناية لله بمن لا يعبده، وأنه خلقهم مستعدين لعبادته متمكنين منها، ولا تنافي في ذلك بالاحتجاج في عدم صدور العبادة من بعض العباد، فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية، مع تعاضد المبادئ وتآخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية، كما في قوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) [إبراهيم: ١]، وسئل أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اعملوا فكل ميسر لما خلق له؟ فقال: إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه، ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عز وجل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، فيسر كلا لما خلق له، فويل لمن استحب العمى على الهدى. ذكر في التوحيد. انتهى.

وتقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود، وفعل العبادة بمعنى انقطاع العبد عن نفسه وعن كل شيء ويذكر ربه، لأن عود نفع الانقطاع على نفسه أولا وآخرا، وأن يكون عمله خالصا لوجهه تعالى لا يشرك به غيره.

وقد تفسر العبادة بالمعرفة، على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب، للتنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى، وفي ذلك عن الصادق عليه السلام قوله: خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: إن الله عز وجل ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواء. ذكر في العلل. انتهى.

وفي تفسير العياشي: عن يعقوب بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال: خلقهم للعبادة، قال: قلت: قوله: (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فقال: نزلت هذه بعد ذلك. انتهى. أقول: والمراد من قول الإمام عليه السلام أنها توضحت بما بعدها.

قوله تعالى ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ ﴾

قوله (ما أريد منهم من رزق) الكلام تفسير لمعنى العبودية، وهو أن شأنه تعالى متعال عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم، فيملكونهم ليستعملوهم

في الخدمة والمعايش، بل الله لتفضله عليهم هو الذي يرزقهم ويطعمهم، ولا يريد منهم غير الاشتغال بما خلقوا لأجله وهو عبادة ربهم وحده.

و(من) في (منهم) لتعدية فعل الإرادة، و(من) الثانية مزيدة لتقوية عموم نفي الرزق، وفسر الرزق بعموم النفع والفائدة.

قوله (وما أريد أن يطعمون) الكلام من باب نفي الخاص بعد نفي العام، والإطعام التغذي، ونفي الإرادة أشد في نفي كل رغبة، وقيل: في تفسير الرزق والإطعام رزق العباد وإطعامهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨ ﴾

قوله (إن الله هو الرزاق) الكلام تعليل للنفي، وأورد بأشد التأكيدات لتحقيق معناه، كحرف النسخ، والتصريح بلفظ الله، وضمير الفصل، وتعريف الرزاق وصيغة المبالغة في كثرته.

قوله (ذو القوة المتين) أي: صاحب القوة العظيم القوي، وفي الكلام ثلاثة من أسمائه العلى، دالة على قصر الرزق فيه تعالى لعباده، على كثرتهم، وتكفله بذلك، للطفه بهم، وفي التهذيب بإسناده إلى سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء على الرجل في طلب الرزق؟ فقال: إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) الكلام متفرع على ما سبقه، والتصريح بتسمية الذين لا يعبدون الله بصفة الظالمين لتشنيع جرمهم ولبيان حجة الوعيد المتضمن في النهي (فلا يستعجلون).

والذنوب ـ بفتح الذال ـ الحظ والنصيب، والتشبيه بذنوب أصحابهم بمعنى: أمثالهم من الأمم الكافرة التي شابهوها في العناد والكفر.

قوله (فلا يستعجلون) الفاء للتفريع، و(لا) للنهي، والاستعجال الحث على تعجيل قوع الشيء، وحذف صلة الفعل تعويلا على السياق فقد تكرر منهم سؤال نبيهم في تعجيل العذاب استهزاء واستكبار نحو قوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) [يونس: ٤٨].

وفي الكلام عدول من الغيبة إلى ضمير التكلم، لأن إنزال العذاب من اختصاصه سبحانه وحده لا وسائط فيه، وهو كذلك رجوع إلى سياق التكلم في (خلقت).

قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

الكلام متفرع على قوله (فإن للذين ظلموا ذنوبا)، ولفظ الويل دعاء عليهم بالهلاك، والدعاء منه تعالى مجاز لتحقيق العذاب فيهم، والإتيان باسم

الموصول وصلته لبيان علة ما يوعدون من عذاب، وأن تسميتهم بالظلم والكفر دليل على أن أشنع الظلم الكفر بالله.

و(من) تفيد السبب، وإضافة لفظ اليوم إلى ضمير أنفسهم للمبالغة والتهويل، حتى كأن يوم عذابهم الذي يوعدون به يوم القيامة مخصوص بهم وحدهم.

سورة الطور

مكية، وهي تسع وأربعون آية

دارت موضوعات السورة على غرض تهديد المكذبين للقرآن والنبوة، فأنذرتهم من العذاب الإلهي الذي افتتحت السورة بالأقسام المتتابعة على وقوعه، وفصلت الكلام في أهواله، وقابلت بين أهل العذاب وأهل النعيم وإكرام الله للمتقين، وعرضت بعض أحوالهم في الجنة وترف أنسهم ودعتهم مرغبة باتباعهم، ثم قطعت السورة أعذار المكذبين باستدلالات متتابعة على صحة النبوة وإثبات الوحدانية، تضمنها التوبيخ الشديد لهم، وافتتحت السورة بإنذار المشركين، وختمت بأمر النبي ﷺ بالصبر على أذاهم ومشقة الدعوة، وبالتسبيح لربه، في دلالة مؤيدة على كون السورة مكية.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ ﴾

افتتحت السورة بالقسم بالطور في دلالة على أهمية المقسم به، وهو الطور، ولفظ الطور يطلق على مطلق الجبل، غير أن تعريفه دال على أنه يراد به جبل بعينه، وهو الذي كلمه الله فيه، وباركه وقدسه، وورد ذكره في مواضع كثيرة في الكتاب العزيز، فأقسم به في قوله تعالى (وطور سينين) [التين: ٢]، وقدسه في قوله (فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) [طه: ١٢]، وجعله محل التعيين في التكليم، نحو قوله تعالى (وناديناه من جانب الطور

الأيمن) [مريم: ٥٢]، وقال (نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) [القصص: ٣٠].

قوله تعالى ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ ﴾

قسم ثان، وبحسب ما قبله فمن الأنسب أن يراد بلفظ الكتاب التوراة النازلة على موسى عليه السلام، وتنكيره للتعظيم، والقسم بها باعتبار أصل ما نزل عليه، لا بما حرف منها وبدل بعد ذلك.

ووصفه للكتاب بأنه مسطور أي: مكتوب في صفوف منتظمة طويلة، قال الراغب: والسطر الصف من الكتابة، ومن الشجر المغروس، ومن القوم الوقوف. انتهى.

وقيل إن الكتاب هو اللوح المحفوظ أو القرآن، أو صحائف الأعمال، وكلها يبعدها سياق ما قبلها وما بعدها.

قوله تعالى ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ ﴾

الظرف متعلق بلفظ (مسطور)، والتنكير للنوعية، و(في) للملابسة الظرفية، أي: المكتوب الثابت المستقر، والرق مطلق ما يكتب فيه من الصحائف، وأصله جلد أبيض مرقق، ووصفه بأنه منشور، لأن موسى كتب ما بلغه به ربه بعد نزول الألواح في هذه الصحائف، وكان إذا أريد قراءتها بسطت وفرقت.

قوله تعالى ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾

قسم ثالث بالبيت المعمور، وتعريفه للعهد، وهي الكعبة المشرفة، بيت الله الحرام في مكة، وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض، قال تعالى (إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة) [آل عمران: ٩٦].

ولفظ البيت يقال لكل سكن مرتفع مبني من الآجر ونحوه، ووصفه بالمعمور أي: المعمور بكثرة الطائفين به، قال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) [التوبة: ١٨].

ويروى في كتب التفسير كالطبري والمجمع وغيرهما أن البيت المعمور بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة، تزوره الملائكة، والله أعلم.

قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾

قسم رابع، والسقف المرفوع استعارة تصريحية عن السماء العالية، فقد شبهت بالسقف باعتبار تماسكها وارتفاعها بالنسبة لأهل الأرض، نظير قوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) [الأنبياء: ٣٢]، وقوله (والسماء رفعها) [الرحمن: ٧].

قوله تعالى ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ ﴾

قسم رابع، والبحر المسجور هو البحر المملوء، والتعريف للجنس، وقيل: الموقد المُحمى كالتنور، فقد ذكر أن البحار يوم القيامة تتفجر نيرانا، قال تعالى (وإذا البحار سجرت) [التكوير: ٦].

قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ٧ ﴾

الجملة جواب لما أقسم الله به من عظيم ما ذكر مما أنزل وخلق، دال على أن القادر على ذلك قادر على إيقاع العذاب بالكافرين يوم القيامة، وجيء بالأقسام المذكورة للتوصل إلى المقسم عليه، ولازمه إثبات المعاد الذي ينكره المشركون وبعثهم وإنزال العذاب بهم يوم الحساب، ولذا جيء بالكلام مؤكدا بحرف النسخ ولام تأكيد خبره، لتنزيل المشركين منزلة المنكرين للخطاب، ولازم خطاب النبي ﷺ في (ربك) الإشارة بالتعذيب إلى قومه المشركين، فإن السورة مكية، فكأن الصلة المحذوفة تقديرها: لواقع بهم.

والمراد بلفظ العذاب عذاب يوم القيامة، ووصفه بالواقع، أي: المحتم الثابت، الحاصل لا محالة، وأصل الوقوع السقوط من علو، وفيه دلالة الثبوت، وأكثر استعماله في القرآن للعذاب والشدائد، ومنه تسمية القيامة بالواقعة، وقوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) [المعارج: ١]، ووقوع القول وجوب عذابه، نظير قوله (ووقع القول عليهم بما ظلموا) [النمل: ٨٥].

قوله تعالى ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾

جملة النفي محلها الصفة للعذاب، أي: غير مدفوع عن المكذبين بالمعاد، فلا يقدرون على دفعه عن أنفسهم يوم القيامة، ولا يدفعه غيرهم عنهم.

و(ما) نافية، و(من) مزيدة لتأكيد عموم النفي لجنس الدافع، ولفظ الدفع يراد به المنع، والنفي لمطلقه، أي: لا يمنع من قوع العذاب عليهم يوم القيامة أي مانع، من أنفسهم أو من غيرهم، وذلك لأن الله تعالى قوي غالب على أمره، ولهذا يصح تقدير الصلة المحذوفة بعد لفظ (دافع) بـ : ما له من دافع منهم، وذلك لأن فعل الوقوع يتعدى بحرف الابتداء (من) فيعطي معنى المنع كقوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع، ليس له دافع، من الله ذي المعارج) [المعارج:١-٢-٣]، وقد يتعدى بحرف الانتهاء (إلى) فيفيد معنى الإنالة والإعطاء نحو قوله تعالى (فادفعوا إليهم أموالهم) [النساء: ٦]، ويتعدى بحرف التجاوز(عن) فيفيد معنى الحماية نظير قوله (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) [الحج: ٣٨].

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ ﴾

الظرف متعلق بما قبله، والعدول بالصفات في الجملة عن التصريح بيوم القيامة لإفادة تهويلها بذكر تفاصيل مقدماتها.

والمور الحركة السريعة المضطربة ذهابا وإيابا، والفعل المضارع لاستحضار الحال، ويراد بالسماء أجرامها ونظام أفلاكها، حيث يختل سير،

وتنحرف مداراتها، واشتقاق (مورا) من الفعل ونصبها على المفعولية المطلقة، لإفادة تعظيمها ونوعيتها، وفي دلالته انطواء لعالم السماء المنظور، نظير قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) [الأنبياء: ١٠٤].

قوله تعالى ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ ﴾

الواو للعطف، وسير الجبال استعارة لشدة زلزالها، الذي ينتج عنه سرعة دكها وذهاب أثرها، نظير قوله تعالى (وسيرت الجبال فكانت سرابا) [النبأ: ٢٠]، ونصب (سيرا) مشعر بالتهويل والغرابة، وكذا ما سبق من نصب (مورا).

قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾

الكلام متفرع على معنى ما تقدم من ذكر حتمية نزول العذاب، ولفظ الويل دال على الوعيد بالهلكة فيه، والظرف المركب (يومئذ) تأكيد لظرف العذاب وهو يوم القيامة، واللام المقترن بلفظ المكذبين لتعدية لفظ الويل، والتعريف للعهد دال على أن المراد بالمعذبين المكذبون بدلالة ما يفهم في قوله (عذاب ربك)، وحذف صلة (المكذبين) لدلالة الكلام عليه، وتقديره: ليوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ ﴾

جملة بدل من المكذبين، وضمير الفصل (هم) لقصر وجودهم في الباطل، و(في) للملابسة الظرفية دال على الإحاطة والانغماس، وأصل الخوض

الدخول في الماء والمرور فيه، وأكثر استعماله في القرآن فيما يذم من باطل القول، وتنكير اللفظ دال على الكثرة والتعجيب، وجملة (يلعبون) محلها الحال، ومضارع الفعل دال على الاستمرار، واللعب قضاء الوقت فيما لا ينفع.

وإنما وصف المشركون بالخوض واللعب لأنهم منكرون للمعاد، مجادلون فيه بباطل الشبهات، التي لا يريد بها الخائض سوى ضياع القصد وانتفاء الانتفاع.

قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ ﴾

الظرف (يوم) بدل من (يومئذ)، يراد به التوعد بيوم القيامة، والدع الدفع الشديد باليد على سبيل إهانة السوق إلى نار جهنم، وواو الجمع في الفعل راجع إلى المكذبين، ونصب (دعا) على المفعولية المطلقة لإفادة التهويل.

قوله تعالى ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ ﴾

أي: يقال لهم وهم يدعون إلى نار جهنم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون، واسم الإشارة دال على إشراف المكذبين على النار، وقربهم منها، وتعريف النار لأنها معهودة في الأذهان حذرهم منها الأنبياء في الحياة الدنيا، وكانوا يكذبونهم، وجملة الموصول محلها الصفة للنار، والإتيان بها لإفادة تشنيع تكذيبهم وتوبيخهم.

قوله تعالى ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

الفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري على ما أقر من حقيقة العذاب في يوم القيامة، والإتيان بلفظ السحر لتوبيخهم، لأنهم كانوا يفترون على القرآن الذي كان ينذرهم من يوم القيامة بالسحر، وتقديم الخبر (سحر) لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ، واسم الإشارة بمعنى: هذا الذي ترون، و(أم) متصلة، والمخاطبون في (أنتم) عائد إلى المكذبين، ونفي الإبصار بمعنى فقدهم آلة التمييز بين الحقيقة والوهم.

قوله تعالى ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (اصلوها) أي: اصلوا النار، والخطاب للمكذبين على سبيل توبيخهم، والصلي مقاساة شدة النار وآلامها.

قوله (فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) الفاء للتفريع، والأمر بالصبر والنهي عنه لبيان التساوي في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه، سواء بالصبر عليه أو الجزع منه، وقطع جملة (سواء عليكم) لأنه تعليل الأمر والنهي، والسواء التساوي، ورفع (سواء) لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هما سواء.

قوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للتعليل، وهو أن جزاءهم مقابل ما عملوا في حياتهم الدنيا في إنكار البعث وتكذيب الرسول.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ۝١٧ ﴾

انتقال بالكلام لبيان جزاء المتقين، لبيان الترغيب بعد الإنذار، والابتداء بحرف النسخ لتحقيق الإخبار، والمتقون هم العاملون بتقوى الله، وهي ترجمان الإيمان وتمثيل الاعتقاد، و(في) للملابسة الظرفية، والجنات البساتين التي تجن ما تحتها وتستره لكثرة اكتظاظ أشجارها، والنعيم النعم الكثيرة، وتنكيرهما للتفخيم والتعجيب.

قوله تعالى ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٨ ﴾

قوله (فاكهين بما آتاهم ربهم) نصب (فاكهين) على الحال من لفظ (المتقين)، والفاكه المسرور بحديث الفكاهة، دال على أنس اجتماعهم، ورضاهم بما أعطاهم ربهم، نظير قوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) [آل عمران: ١٧٠]، وقوله (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) [يس: ٥٥]، أما القول بأنه من تناول الفاكهة فهو تضييق لمعنى الحال.

والباء في (بما) للسبب، أي: بسبب عطاء ربهم لهم وإكرامه إياهم، و(ما) مصدرية أو اسم موصول، كلاهما يصحان.

قوله (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) العطف على (فاكهين)، والجملة موقعها الحال، والوقاية التجنيب، وإعادة اللفظ (ربهم) لمزيد العناية بالمتقين، ولتعليل الإتيان والوقاية.

ويمكن أن تكون الواو عاطفة على (آتاهم) وتفيد السبب الثاني لكون المتقين فاكهين في الجنة، وهو أن جنبهم الله عذاب الجحيم.

قوله تعالى ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ ﴾

قوله (كلوا واشربوا هنيئا) أي يقال للمتقين في الجنات كلوا واشربوا، والأمر بالكل الشرب للإباحة، ونصب (هنيئا) لأنه صفة لما تقدر من الأكل والشرب، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي: كلوا واشربوا أكلا وشرابا لا تنغيص فيه، فأطعمة الجنة وشرابها هنيئة بذاتها لا تشبه ما في الدنيا، وإنما القول من الملائكة زيادة لطف بأهل الجنة،

قوله (بما كنتم تعملون) الباء للسبب، أو للعوض، ومضي الكون دال على الجزاء على أعمالهم في حياتهم الدنيا.

قوله تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ ﴾

قوله (متكئين على سرر مصفوفة) نصب (متكئين) حال من (المتقين)، و(على) للاستعلاء والتمكين، والسرر جمع سرير، يقال للمقعد العريض،

وفيه حذف تقديره: متكئين على نمارق موضوعة على سرر، وحذف لأن الاتكاء جلسة راحة ودعة لا يكون بغير الوسائد.

و(مصفوفة) وصف لشكل السرر، أي: مصطفة قريبة من بعض، والكلام دال على ترف أهل الجنة وانبساطهم في جلوسهم، وأنسهم بأحاديث بعض، نظير قوله تعالى (على سرر متقابلين) [الحجر: ٤٧] و [الصافات: ٤٤] وقوله (على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين) [الواقعة: ١٥-١٦].

قوله (وزوجناهم بحور عين) أي: وقَرنّاهم بنساء موصوفات بأنهن حور عين، زيادة في التمتيع لهم والتنعيم.

ولفظ الحور جمع حوراء صفة لموصوف محذوف، يراد بها النساء البيض، ولفظ العين صفة ثانية جمع عيناء وهي الواسعة العين، وتنكير اللفظين للنوعية والتعظيم، وذكر أن فعل التزويج إذا تعدى بالباء أفاد القرن، وإذا تعدى بنفسه أفاد النكاح نظير قوله تعالى (زوجناكها) [الأحزاب: ٣٧].

وبهذا فقد جمع الله لأهل الجنة اللذائذ كلها، فبدأ باللذة المعنوية وأولها إشعارهم برضاه تعالى، وثانيها بالاستئناس بصحبة المؤمنين، ثم ذكر اللذائذ المادية كالأكل والشرب والاقتران بالحور العين.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ ﴾

قوله (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) الاستئناف في الكلام من جملة مواهب الله لطائفة من المؤمنين في الجنة، وهو أن يلحق بهم ذريتهم من أبنائهم البالغين، فتقر أعينهم وتطيب نفوسهم في الجنة كما كانت تطيب باجتماعهم بذريتهم في الدنيا، وذلك يكون بأن يتجاوز الله سبحانه عن سيئاتهم إكراما لآبائهم.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، ثم قرأ هذه الآية. ذكر في المجمع. انتهى. وفيه: وروي عن الصادق عليه السلام قال: أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة. انتهى.

وعن الصادق عليه السلام أيضا قوله: إذا مات الطفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض: ألا إن فلان بن فلان قد مات، فإن كان قد مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، وإلا دفع إلى فاطمة تغذوه، حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين، فيدفعه إليه. نقل في التوحيد. انتهى.

وجملة (واتبعتهم ذريتهم بإيمان) العطف على جملة الموصول، والاتباع اقتفاء الأثر ويراد به شدة طاعة الأبناء للآباء في الإيمان بالله، وشبه الجملة (بإيمان) محلها الحال من (ذريتهم) والتنكير أي بنوع من الإيمان لا يصل في كماله إلى الآباء.

وجملة (ألحقنا) خبر الابتداء لاسم الموصول، والإلحاق الإدراك، وفرقه عن الاتباع أن في الاتباع اشتراكا بالصفة بين التابع والمتبوع، وأما الإلحاق فلا يشارك اللاحق الملحوق في الدرجة والصفة.

ووضع لفظ (ذريتهم) في موضع الظاهر، لفائدة أمن اللبس من عود ضمائر جمع الغائبين، فلو قيل: ألحقناهم بهم، لم يتبين اللاحق من الملحوق، لأنه سيكون إخبارا عن الابتداء.

قوله (وما ألتناهم من عملهم من شيء) الجملة موقعها الحال، وضمائر جمع الغائبين عائدة إلى الآباء المؤمنين المفهوم من الضمير في (الذين آمنوا)، وجملة النفي امتنان ثان لدفع توهم أن إلحاق الأبناء سينقص من ثواب الآباء، والمعنى: وما نقصنا من ثواب آبائهم أي شيء، بل رفعنا ذريتهم إلى درجة إيمانهم ورتبتهم في الجنة.

والفعل لات وألات بمعنى نقص، وجاء في قوله تعالى (لا يلتكم) أي: لا ينقصكم من أعمالكم، و(من) تبعيضية، و(من) الثانية مزيدة لتقوية عموم النفي.

قوله (كل امرئ بما كسب رهين) الفصل لتعليل النفي، وهو أن كل امرئ موقوف جزاؤه على ما عمل من خير أو شر في دار التكليف، فلو نقص شيئا من أجر ما عمل انتفى عنه الرهن، وأصبح رهين بعض العمل.

والباء في (بما) للتعدية، والكسب يقال لمطلق الأعمال، وإن كان ظاهره فيما ينفع، وشبه الجملة متعلقة بـ (رهين)، تقدم للعناية، ولفظ الرهين صفة بمعنى المرهون.

ولفظ الرهن مستعار مما يوضع وثيقة للدين، فلو أخل به الدائن ولم يوف ما عليه حبس لأجل ذلك وعوقب.

قوله تعالى ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (وأمددناهم بفاكهة) العطف على ما تقدم من ذكر ما أنعم الله على المؤمنين في الجنة، وفعل الإمداد دال على الاستمرار في زيادة الخير حالا بعد حال، وعامة استعماله في القرآن فيما يحمد ويستحب، كقوله تعالى (وأمددناكم بأموال وبنين) [الإسراء: ٦]، بخلاف فعل المد المستعمل فيما يذم، كقوله تعالى (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) [البقرة: ١٥]، وقوله (ونمد لهم من العذاب مدا) [مريم: ٧٩].

والباء في لفظ الفاكهة للتعدية، لأن في فعل الإمداد معنى الزيادة، والفاكهة مطلق الثمار، وتقدمت على اللحم لأفضليتها عليه، وتنكير اللفظ للنوعية والتفخيم لأنها لا ينقصها التناول ولا يغير طعمها الوقت شأن فاكهة الدنيا وطعومها.

قوله (ولحم مما يشتهون) العطف على (فاكهة)، وتنكير (لحم) لنوعية خاصة منه، و(من) في (مما) بيانية، وفعل الاشتهاء دال على أنهم مخيرون في

اختيار أطعمتهم أحرار فيما يطلبون، والفعل المضارع دال على التجدد، كلما اشتهوا شيئا كان معدا لهم، على أن الفاكهة واللحم خصا بالذكر على سبيل المصداق لأنهما أهم الأطعمة، ولا يعني انحصارها بنوعيهما.

قوله تعالى ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ﴾

قوله (يتنازعون فيها كأسا) أصل النزع الجذب، والمنازعة المجاذبة والمداولة على سبيل الرغبة والاشتياق، والهاء في (فيها) للجنة، ولفظ الكأس تقال لخصوص شراب الخمر، ومن دونه فهو قدح، وتنكيره للنوعية باعتبار صفته، والمعنى: أن المؤمنين في الجنة وجلساءهم يناول بعضهم بعضا أكؤس الخمرة، أو يصب بعضهم لبعض.

قوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) الجملة موقعها الصفة للكأس، واللغو سقط الكلام مما يصدر من شاربي الخمر، ومعنى (فيها) أي: بسبب شراب الكأس، والتأثيم ما يقع فيه الآثم وهو من آثار الخمر في الدنيا أي تجعله ذا إثم، ومحصل النفي: أن شراب خمر الجنة يقع عليه الاسم فقط، فلا ذهاب فيه للعقل ولا فساد في الكلام ولا إثم، بل هو شراب طهور يزيد الجلساء حكمة ونشاطا.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ ﴾

قوله (ويطوف عليهم غلمان لهم) فعل الطواف بمعنى الدوران، والمضارع دال على الاستمرار، لأنهم يجلسون متقابلين كأنهم دائرة يأنس بعضهم برؤية

بعض، وحرف الاستعلاء في (عليهم) للتمكن من الخدمة، والغلمان الصبيان خصوا بالذكر للإشارة إلى خفة حركتهم في الخدمة ورفع مشقة التكليف، وتنكير اللفظ مع صلة اللام بضمير المؤمنين في (لهم) دال على أنهم مخصوصون بالخدمة، مخلوقون لأجل المؤمنين كما خلقت الحور العين.

قوله (كأنهم لؤلؤ مكنون) تمثيل لهيأة الغلمان، وصباحة وجوههم، ونقائهم، واللؤلؤ المكنون الدر المحفوظ في الصدف المحتفظ ببريقه ولمعانه وجدته.

والكلام في تصوير خدمة المؤمنين في الجنة زيادة إكرام لهم من ربهم، مع أن ما يشتهون ويدعون حاضر بين أيديهم من دون خدم.

وفي المجمع: ذكر عن الحسن أنه قال: قيل يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ، فكيف المخدوم؟ فقال: والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

أي: المؤمنون يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه الدنيا وعما هم عليه من نعيم في الجنة، وهو من حديث الأنس بين المؤمنين فيه طمأنينة ويقين، وجملة (يتساءلون) جملة حالية، أي: في حال من سؤال بعضهم لبعض.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

الجملة حكاية التساؤل، تأكيد من أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا في حال من الخوف على أهليهم وخاصتهم من الضلال ومن آفات الدنيا وأسقامها وآلامها وغوائلها.

وجملة كان ومتعلقاتها محلها الخبر لـ (إن)، وبناء الظرف (قبل) لأنه مقطوع عن الإضافة، و(في أهلنا) متعلق بـ (مشفقين)، والأهل خاصة الرجل، وتقدم الظرفان للأهمية، ونصب (مشفقين) لأنه خبر (كان)، والإشفاق كما قال الراغب في المفردات: عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه قال تعالى: (وهم من الساعة مشفقون) فإذا عدي بـ (من) فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بـ (في) فمعنى العناية فيه أظهر قال تعالى: (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين). انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ ﴾

قوله (فمن الله علينا) الفاء للتفريع، وامتنان الله إنعامه سبحانه النعم الكثيرة على المؤمنين وأولها إدخالهم الجنة، وحرف الاستعلاء (على) لاستقرار النعم في المؤمنين.

قوله (ووقانا عذاب السموم) الواو للعطف لأن تجنيبه تعالى للمؤمنين عذاب سموم النار منة كبرى عليهم، ولفظ السموم معناه الريح الحارة الجافة، تقريب لما يهب من ريح جهنم، سميت بذلك لأنها نافذة في مسام البدن.

والإضافة في (عذاب السموم) من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: العذاب الموصوف بالسموم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾

الفصل لتعليل من الله تعالى، وهو أنهم كانوا في الدنيا مسلمين لربهم عابدين له، موقنين باختصاصه وحده بالبر لعباده وكثرة الرحمة بهم.

والفصل في جملة (إن) لتضمن فعل الدعوة والعبادة القول، وضمير الشأن في (إنه) راجع إلى الله تعالى للتعظيم، وضمير الفصل للقصر، وتعريف البر قصر ثان، والبر فعل الإحسان، مجاز في إثابته تعالى، ولفظ الرحيم مبالغة في الرحمة، وحقه أن يعطف، ولكن تركه في هذا المورد كثير ومثله (وزوجناهم بحور عين).

قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ ﴾

قوله (فذكر) الفاء للتفريع على ما تقدم من وقوع العذاب الإلهي وإنذار المكذبين، وإثابة المتقين، والخطاب للنبي ﷺ، والأمر للنبي ﷺ بالمضي بالتذكير بدعوته التوحيدية، وألا يكترث بما يطعنه المشركون من أباطيل.

قوله (فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) الفاء لتفريع سبب الأمر بالتذكير، وهو صدق نبوته ورجاحة عقله.

وشبه الجملة أعني قوله (بنعمة ربك) اعتراضية محلها الحال المعلل للنفي المانعة لما أطلق على النبي ﷺ من صفات الكهانة والجنون، ويمكن أن تكون قسما.

وأريد بالنعمة البعث بالنبوة فليس بعدها نعمة، والإضافة في (ربك) تشريف وعناية، والباء في (بكاهن) مزيدة لتأكيد نفي جنس عموم الكهانة عن النبي ﷺ، والكاهن الذي يدعي أن الجن تحدثه عن الغيب، وقد كانوا معروفين في الجاهلية، كسطيح وأضرابه، وأما المجنون فهو الذي ذهب عقله، وكلا الافتراءين من قريش متناقضان دالان على اضطرابهما، لأن الكاهن ذكي استعمل ذكاءه في خداع الناس، وهو لا ينسجم مع إطلاق الجنون.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (أم يقولون شاعر) (أم) في الآيات هنا منقطعة بمعنى: بل، وتقدر بعدها همزة استفهام تفيد الإنكار، وفيها معنى التوبيخ الشديد لقريش، وعرضت الآيات بهذه الصيغة ستة عشر استدلالا قطعت به أعذار المشركين، منها ما يخص النبي ﷺ بحيث لو صح منها شيء لكان مانعا من قبول قوله، ومنها ما يخص المكذبين المشركين.

واتهام المشركين للنبي ﷺ بالشعر، لصرف الناس عن الإيمان بآيات الكتاب، وأنها من عنده، ليست من الله، وإنما قالوا عنه شاعر لقوة تأثير ما

يقرأ على الناس من آيات، وقد كان للشعر سحره في مسامعهم، لأنه خير من يعبر عن الشعور.

قوله (نتربص به ريب المنون) أي: ننتظر به الموت وخمود ذكره، ونسيان أمره، كما مضى من تقدمه من الشعراء.

وفعل التربص بالشيء معناه انتظار حصوله أو زواله، والريب الشك، والمنون الموت من المن وهو القطع، ومعنى إضافة الريب إلى المنون، لأن المنون يشك في وقوع وقته ولا يقطع به، ويمكن أن يكون التركيب كناية عن حوادث الدهر التي تقلب الإنسان من حال إلى حال.

قوله تعالى ﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ٣١ ﴾

قوله (قل تربصوا) رد من الله على قريش، والأمر فيه التهديد والوعيد.

قوله (فإني معكم من المتربصين) الفاء لتفريع الإخبار على الأمر، وفي مضمونه الوعيد الشديد، لأن تربص النبي ﷺ يقين بانتظار وقوع العذاب الإلهي في مشركي قريش، بخلاف تربصهم بانتظار أمنيات يتصورونها في نزول موته.

قوله تعالى ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٢ ﴾

قوله (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) توبيخ من الله للمشركين لافترائهم على النبي ﷺ بالكهانة والشعر، والكلام مضمونه نفي أن يكون لهم عقل، لأن

افتراءاتهم بعد أن كانوا يصفون محمدا ﷺ قبل النبوة بالصادق الأمين تناقض قولهم بعد بعثته، أو لأن إطلاق صفات متناقضة كالكهانة والجنون والشعر على واحد مخالف لأدنى مُسكة من عقل.

والأحلام جمع حلم ويراد به العقل، قال الراغب: الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام، قال الله تعالى: (أم تأمرهم أحلامهم) قيل: معناه عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، لكن فسروه بذلك، لكونه من مسببات العقل. انتهى.

وربما أريد بالحلم معنى ما يراه النائم من منامات، وهو ما يتناسب وتخيلاتهم الباطلة، واسم الإشارة بمعنى: هذا القول أو هذا الافتراء.

قوله (أم هم قوم طاغون) أم: منقطعة بمعنى الإضراب الانتقالي بالكلام إلى تأكيد أن الداعي لافترائهم ذاك ليس خفة عقولهم، بل ما رسخ في نفوسهم من صفة الاستعلاء والطغيان والعناد على الكفر.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ ﴾

قوله (أم يقولون تقوله) الآيات في عد افتراءات المشركين على الرسول ﷺ لتسجيل التشنيع عليهم، وفعل التقول مبالغة في تكلف القول، والهاء فيه راجعة إلى القرآن وإن لم يذكر، لأنه معلوم من السياق، والمراد: بل أيقولون اختلق القرآن على الله من تلقاء نفسه.

قوله (بل لا يؤمنون) أي: بل السبب في قول قريش ذاك لا علاقة له بصحة القرآن وصدق النبوة، لأنهم يعلمون بصحتها، وإنما هو اعتياد نفوسهم على الكفر الذي يدفعهم إلى عدم تقبل فكرة الإيمان من أساسها.

قوله تعالى ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (فليأتوا بحديث مثله) الفاء لتفريع تحدي المشركين على افترائهم بأن القرآن من تقول محمد ﷺ، لا من عند الله، وهو تحد عقلي، لأن الكتاب نزل بلغتهم فكان حجة عليهم بقبوله والإيمان به في حال عجزهم عن الإتيان بمثل آية من آياته.

وسميت آيات الكتاب حديثا، لأنه قول من رب العزة نازل بالوحي إلى نبيه ﷺ، والتقييد بالتشبيه (مثله) أي مثله في المعاني والتراكيب، وبما أخبر من غيوب الأمم الماضية، وقصص الأنبياء، وبدء الخليقة ونهايتها، وبما جاء من شريعة جامعة، ونظم أخلاقية، وغيرها مما لا يحصيه محص.

قوله (إن كانوا صادقين) الشرط لتعليق صدق ادعائهم بالاختلاق على قبول التحدي بالإتيان بمثله، وتأكيد لكذبهم بادعاء بشرية القرآن.

قوله تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (أم خلقوا من غير شيء) الكلام نفي لأصل افتراءات المشركين وعنادهم، بطريق الاستدلال بصيغة الاستفهام الإنكاري، والمعنى: أيعتقد

المشركون أنهم خلقوا عبثا من دون غرض، فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون.

قوله (أم هم الخالقون) بل أهم الخالقون أنفسهم، حتى يستقلوا بها عن عبودية الله ومربوبيته.

قوله تعالى ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (أم خلقوا السماوات والأرض) أم هم أحدثوا هذا الكون من السماوات والأرض ودبروه فحق لهم أن يستعلوا على عبادة الله وأوامره ونواهيه، والكلام مضمونه النفي والتوبيخ الشديد.

قوله (بل لا يوقنون) أي: بل هم قوم لا يوقنون بوحدانية الله ورسالة نبيه.

قوله تعالى ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (أم عندهم خزائن ربك) أي: بل أيملكون مقدورات ربك فيرسلوا بالنبوة من أحبوا ويمنعوها ممن شاؤوا فيمنعوك الرسالة والنبوة.

والظرف (عندهم) بمعنى نفي الملك، والخزائن جمع خزينة وهي ما يختزن فيها الخازن أشياءه الثمينة من الذهب والجواهر، واللفظ بمراعاة ما بعده استعارة لرحمته تعالى ورزقه، والخطاب في (ربك) للعناية بنبيه لأنه المقصود لكفر قومه بنبوته، وما جاء به من كتاب.

قوله (أم هم المصيطرون) أي: بل أهم الأرباب القاهرون على الأمور فيدبروها كيفما رغبوا مستقلين بمشيئتهم، عن مشيئة خالقهم.

والسيطرة أصلها من السطر وهي صف الكتابة، ويراد بها التسلط على الشيء والتمكن منه، كما يسيطر الكاتب على سطر كتابته، قال الراغب: يقال تسيطر فلان على كذا، وسيطر عليه إذا أقام عليه قيام سطر. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ ﴾

قوله (أم لهم سلم يستمعون فيه) أي: بل ألهم سلم يترقون به إلى السماء، فيستمعون من الملائكة ما غاب عنهم من أسرار الوحي.

وتنكير (سلم) للتفخيم والنوعية، والاستماع مبالغة في تكلف السمع، ويراد به العلم، والظرف (في) في (فيه) للسبب.

قوله (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) الفاء للتفريع، أي: إذا أجابوا بأن لهم سلم، أي: معرفة بأسرار السماء فليثبتوا ذلك، بأن يحضر مستمعهم المزعوم دليلا واضحا على صحة الادعاء، وإلا فهو مجرد كلام باطل، وادعاء فارغ بلا دليل.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ ﴾

الاستفهام الإنكاري يراد به التسفيه لعقول المشركين بادعائهم لله ما نفوه عن أنفسهم، فالآية تعرض مفسدة باطلة من الاعتقادات الشركية لهم، وهي افتراؤهم أن الملائكة بنات الله، في الوقت الذي يأنفون من نسبة الإناث إلى أنفسهم، فيئدونها لشعورهم بعارها.

ولا ريب في أن المراد التركيك لعقولهم، وليس بيان التفاضل بين الابن والبنت، فالقيمة الإنسانية واحدة بينهما، وإنما المراد بيان سفاهة عقولهم، وأن من كان بهذه الجهالة أبعد من أن يصل إلى أخبار السماء، والالتفات في الكلام إلى خطابهم لتشديد التوبيخ والإنكار عليهم.

قوله تعالى ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ ﴾

قوله (أم تسئلهم أجرا) رجوع بالكلام إلى خطاب النبي ﷺ والإعراض عنهم، والكلام لبيان سوء توفيق المشركين في رفض دعوة الرسول ﷺ من دون سبب يذكر، والمعنى: بل أتطلب منهم أجرا على رسالتك، فهم يشعرون بغرم الأداء وثقله عليهم.

وفعل السؤال بمعنى الطلب، والأجر العوض على أداء الرسالة بالمال ونحوه، وتنكيره للتعظيم والتكثير، والجملة لإسقاط الذرائع الداعية إلى رفض خير الرسالة لهم.

قوله (فهم من مغرم مثقلون) الفاء للتفريع، و(من) تفيد السبب، والمغرم مصدر ميمي كالغرم وهو ما يصيب الإنسان من خسارة في المال أو في

ضرره، وتقديم شبه الجملة للعناية، ولفظ الإثقال الإحساس بمشقة حمل ثقل الخسارة.

قوله تعالى ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (أم عندهم الغيب) أي: بل أعندهم الغيب، والجملة لنفي أن يملكوا أي علم بالغيب، فيدعوا التربص بموت النبي ﷺ وكأنهم يعلمون أنهم يبقون أحياء بعده، أو يعلمون أخبار الوحي فيقدروا صحة غيب القرآن من عدمه، وقيل: إن المراد بالغيب اللوح المحفوظ، وعندئذ يكون تعريفه للعهد.

قوله (فهم يكتبون) الفاء للتفريع، أي فهم يثبتون من علم الغيب ما أخبروا به الناس من افتراءات.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (أم يريدون كيدا) أم للانتقال بالكلام عما تقدم، بمعنى: بل أيريدون كيدا بالنبي ﷺ، ولفظ الكيد مغناه الاحتيال بالتآمر على اغتيال النبي ﷺ.

قوله (فالذين كفروا هم المكيدون) الفاء للتفريع، والإتيان بالظاهر في قوله (فالذين كفروا) في موضع الإضمار لبيان علة كونهم رد الكيد عليهم، لأنهم أوقعوا على أنفسهم الهلاك من حيث خططوا إيقاعه بالنبي ﷺ، وفي الكلام إخبار من غيوبه تعالى بسلامة نبيه ﷺ من الكيد وهلاك أعدائه.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣ ﴾

قوله (أم لهم إله غير الله) أي: بل أيملكون إلها غير الله، خلقهم ودبر شؤونهم، وفي الكلام نفي لأي شريك مع الله ورد لوثنيتهم، أقامه من دون دليل، بخلاف الاستدلالات السابقة للإشعار بأن واحديته تعالى جلية واضحة، وأن شركتهم معه سبحانه مخالفة للعقل.

قوله (سبحان الله عما يشركون) الجملة تنزيه منه تعالى لنفسه عن كل شريك، لأن ذلك لا يليق بساحة قدسه، وإظهار اسم الله في موضع إضماره، لإفادة إنشاء صيغة التنزيه، و(ما) في (عما) مصدرية بمعنى: سبحان الله عن إشراكهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤ ﴾

قوله (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا) الكلام لتمثيل شدة عناد المشركين وإنكارهم للحقائق، بحيث لو عاينوا قطعا كالحجارة نازلة من السماء عليهم لتهلكهم لقالوا هذا سحاب متراكم وليست من آية العذاب في شيء.

والكسف جمع كسفة وهي القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس، و(من) ابتدائية، والسماء تقال لما علا الأرض، والساقط النازل من علو، نصب اللفظ على الحال، وحذف صلته للإيجاز أي ساقطا عليهم لتعذيبهم، نظير قوله تعالى (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) [الشعراء: ١٨٧]، و(من) للتبعيض، والسماء ما علا الأرض.

قوله (يقولوا سحاب مركوم) جزم (يقولوا) لأنه جواب (إن) الشرطية، والسحاب المركوم السحاب المتراكم بعضه فوق بعض، كأنهم يمنون أنفسهم بأنه خير لهم، ينزل منه المطر لا العذاب، والكلام نظير قوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) [الحجر: ١٥].

قوله تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

الفاء في (فذرهم) للتفريع على ما يفهم من إصرار المشركين على عنادهم، أمر للنبي ﷺ بعد اليأس من إيمان عتاة قريش، بالإعراض عنهم وتجاهلهم لما هو أهم من أمر الدعوة.

ومعنى (حتى): إلى أن، وملاقاة يومهم مجاز عقلي لانقضاء مدة حياتهم وهلاكهم، وتقييده لفظ اليوم بضمير أنفسهم لأنه مخصوص بهم وهو نزول سبب الموت فيهم، وانتقالهم إلى البرزخ الذي يكون فيه شمولهم بالعذاب الإلهي.

والصعق كناية عن الإهلاك، وليس بالضرورة أن يكون المراد به يوم النفخ في الصور كما قال به بعض أهل التفسير.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) تفصيل لبيان ذلك اليوم سواء في عالم البرزخ أو يوم القيامة، وهو انكشاف الحقيقة الإلهية التي تسقط معها الأسباب كلها، فلا مانع من عذابه للمكذبين ولا غناء.

قوله (ولا هم ينصرون) أي: ولا هم ينصرون من جهة غير أنفسهم في دفع العذاب عنهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) أي: وإن لهؤلاء الكافرين الظالمين عذابا آخر سيلقونه في حياتهم وهو عذاب القتل والقحط والذل، والإخبار من الغيوب التي أفصح عنها القرآن، فقد قتل عتاة المشركين في بدر، وأسر بعضهم الآخر.

ووضع الموصول موضع ضمير الكافرين لإفادة علة الحكم، وتسميتهم بصفة الظلم لأن الكفر بالله أبشع الظلم وأشنعه، وتقديمه للعناية به، والظرف (دون ذلك) محله الصفة لـ (عذابا) أي: غير ذلك اليوم الذي يصعقون فيه.

قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) استدراك لتأكيد جهالة أكثر المشركين بحقيقة هذا الإخبار الغيبي، لأنهم لو كان لهم أدنى مسكة من عقل لآبوا إلى ربهم نادمين.

قوله تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (واصبر لحكم ربك) العطف على (فذرهم)، واللام في (لحكم ربك) يجوز أن تأتي بثلاثة معان:

أولها بمعنى (على) نظير قوله تعالى (واصبر على ما يقولون) [المزمل: ١٠].

وثانيها: بمعنى (إلى) أي: اصبر إلى أن يحكم الله، في معنى قوله تعالى (واصبر حتى يحكم الله) [يونس: ١٠٩].

وثالثها: بمعنى العلة، أي: اصبر لأنك تقوم بما وجب عليك. نقل بتصرف عن ابن عاشور. أه.

وحكم الله قضاؤه تعالى في المشركين بإمهالهم، وفي النبي ﷺ بالمضي بالحق في جنب أذاهم، وإضافة الرب إلى كاف النبي ﷺ، لما تؤذن الربوبية في العناية بالمربوب.

قوله (فإنك بأعيننا) الفاء لتفريع العلة للأمر بالصبر، وفيه تأكيد للنبي ﷺ بحفظه وحمايته من المشركين وطمأنة له، والباء للإلصاق المجازي، ولفظ الأعين مجاز من الحفظ، والجمع للمبالغة باعتبار تعدد المتعلقات بالحفظ

نظير قوله (واصنع الفلك بأعيننا) [هود: ٣٧]، أما قوله في موسى (ولتصنع على عيني) بالإفراد فلتعلقه بمشي أخته إلى فرعون.

قوله (وسبح بحمد ربك حين تقوم) العطف على (واصبر)، والتسبيح تنزيهه تعالى عما لا يليق بساحة قدسه من نواقص، وهو القول: سبحان الله، والباء في (بحمد) للمصاحبة، والحمد مطلق الثناء على الله، وشبه الجملة (بحمد ربك) تعليل للأمر، والظرف (حين تقوم) تقييد للتسبيح، وفي حذف صلة فعل القيام إشعار بإطلاق الأمر في كل قيام من نوم أو مجلس أو إلى فريضة.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

أي: ومن الليل فسبح ربك، فسر فعل التسبيح هنا بمعنى الصلاة باعتبار الملازمة بينهما، فقيل: المراد به صلاة الليل، وقيل بمعنى: صل المغرب والعشاء.

وفي المجمع: عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، في هذه الآية قالا: إن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرات، فينظر في آفاق السماء، ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها (إنك لا تخلف الميعاد)، ثم يفتتح صلاة الليل. انتهى.

و(إدبار النجوم) كناية عن وقت اختفائها، وهو وقت دخول صلاة الفجر، وقيل: هي ركعتان قبيل صلاة الصبح، ويجوز أن يكون المراد الأمر بدوام التسبيح صباح مساء، وألا يغفل عنه في جميع الأحوال.

سورة النجم

مكية، وهي اثنتان وستون آية

افتتحت السورة بالقسم لتقرير صحة النبوة والرسالة وصدق ما يوحى إلى الرسول ﷺ، وأنه لا ينطق عن هوى، وعرضت دلائل وحدانيته تعالى في الربوبية وانتهاء الخلق إليه وتدبيره في الإحياء والإماتة والإضحاك والإبكاء والإغناء والإقناء، وإهلاك الأمم الكافرة، واختتمت بالإشارة إلى المعاد والأمر بالسجود إليه وحده وعبادته.

وغرض السورة من مجمل معانيها تقرير أصول إلهيته تعالى في ربوبيته ورجوع الخلق إليه، وإتقان تدبيره، وإرسال رسله.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾

القسم دال على أهمية المقسم به توصلا إلى تحقيق معنى المقسم عليه، وأصل النجم الكوكب الطالع، واتسع في استعماله للرأي وللشجر مما لا نبات له، وللتفريق، والتنجم النظر في النجوم.

ولفظ النجم يقال للمفرد والجمع، وتعريفه للجنس يراد به مطلق الكواكب، والقسم به لبديع خلقها في نظام متقن تجري أفلاكه في الفضاء الفسيح بحسبان، وتبدو لأهل الأرض مضيئة ليلا كأنها قناديل معلقة في السماء،

والقسم به نظير القسم بالشمس والقمر، وقال الباقر عليه السلام: إن لله عز وجل أن يقسم من خلقه بما شاء، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به. ذكر في الكافي. انتهى.

والأداة (إذا) أداة شرط ظرف لما يستقبل من الزمان، وفعل الهوي بمعنى السقوط والزوال، ومنه سميت القيامة بالهاوية، لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها، وإسناد الفعل إلى النجم يعطي معنى الأفول.

وتقييد القسم بالشرط دال على الغرابة والإبداع، لأن الهوي يقصد به غروب النجم واختفائه باعتبار أن اسم النجم دال الطلوع، فالمراد به هذه الحركة المستمرة للأجرام السماوية في الطلوع والأفول التي تدل على أن وراءها صانعا بديعا في إتقان ما يخلق هو الله الواحد الأحد.

وقيلت في تفسير النجم معان أخر، تبعدها التقييدات في السياق في الآية وما بعدها.

قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾

جملة النفي جواب القسم، والضلال يراد به المعنى اللغوي، وهو إضاعة الصواب، والخطاب في (صاحبكم) لمشركي مكة لأنهم المقصودون في الكلام لكثرة طعنهم بصدق نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واللفظ كناية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، سماه بذلك لملازمته قومه في السكنى والمكان، وفيه معنى التعليل للنفي، لأنهم كانوا قبل النبوة يعظمون حكمته وصدقه وامانته.

وجملة النفي الثانية (وما غوى) بمعنى ما كان جاهلا في اعتقاده، لأن الغي خلاف الرشد، فيكون محصل معنى الآية: ما أضاع النبي ﷺ طريق الصواب والحق المرسوم له، ولا أخطأ في اعتقاده الموصل إلى السعادة الأبدية، وبتعبير ثان: ما أخطأ صاحبكم لا في الوسيلة ولا في الغاية.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾

أي: وما يقول ما يقول عن هوى في النفس، والفعل (ينطق) وإن دل على الإطلاق بسبب حذف صلته، وإن صح أن كل ما يقول النبي ﷺ لا يكون عن هوى، إلا أن دلالة الخطاب للمشركين تؤيد تقييد المراد بالنطق بما يقرأ من آيات القرآن، فإنهم كذبوه بسبب ذلك، ورموه بالتقول.

وشبه الجملة (عن الهوى) محلها الحال، أي ما ينطق في حال عن الهوى، وتعدية الفعل بحرف التجاوز لتضمنه معنى الصدور، ولفظ الهوى بمعنى الرغبات النفسية الباطلة التي لا تستند إلى دليل، وتعريفه للجنس.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام في النبي ﷺ: مقبول الشهادة ومرضي المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل. انتهى.

وبين ألفاظ الفواصل في الآيات جناس بديعي، فبين (هوى) و(غوى) جناس ناقص، وبين (هوى) و(الهوى) ما يشبه الجناس التام.

قوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾

أورد الكلام بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء باعتبار أن المخاطبين مكذبون للقرآن منكرون لغيبه، وضمير الفصل (هو) عائد إلى صلة (ينطق) المحذوفة وهي القرآن، المفهومة من السياق، بمنزلة التعريف له، وأخبر عنه بأنه (وحي يوحى) لأنه يجري بغيب لا يعلم به إلى الذي أوحي إليه، فالوحي أصله الحديث الخفي، وأطلق على الملك جبريل لأنه المبلغ برسالة ربه إلى النبي ﷺ بخفاء، وجملة (يوحى) محلها الصفة للوحي، والفعل المضارع دال على التجدد، والمعنى: يرسل بوحي وتبليغ من الله بما يشاء من التبليغ، فهو مأمور لا يعمل من تلقاء نفسه.

وتدل صيغة (وحي يوحى) المبنية للمجهول على نوع من الوحي للنبي ﷺ، يؤيد كونه وحي مشافهة من الله لنبيه في ليلة المعراج، فالآيات في هذا القسم من السورة متضمنة لقصة المعراج وظاهر الآيات يؤيد الروايات المستفادة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن أقوال بعض الصحابة كابن عباس وأنس وأبى سعيد الخدري وغيرهم على ما روي عنهم.

وأفعال الوحي في القرآن وردت بمعان متقاربة في الإعلام بخفاء كالإلهام، وإلقاء العلم في النفس، وكلها من مبتكرات الخطاب القرآني، وبين (وحي ويوحى) جناس اشتقاقي لافت.

قوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾

الجملة تفسير للوحي، والفعل (علم) يأخذ مفعولين، الأول ضمير الهاء فيه عائد إلى النبي ﷺ، والمفعول الثاني محذوف تقديره: القرآن، أو مطلق الوحي.

و(شديد القوى) صفة لمحذوف قيل بمعنى: ملك شديد القوى، هو جبريل، اتكالا على صفته في قوله تعالى (ذي قوة عند ذي العرش مكين) [التكوير: ٢٠]، وبعض الروايات التي ذكرت قوته عليه السلام في قلب قرى المؤتفكات، وصيحته التي كان فيها هلاك قوم ثمود.

واختلف في تفسير الآيات، فيرى أغلب المفسرين لهذه الآيات أن الكلام إخبار عن مكانة جبريل في قوته ومدى قربه من الرسول ﷺ، متغاضين عن الإرباك في عود الضمائر، ويرى آخرون وتؤيدهم روايات أهل البيت عليهم السلام، أن محور الكلام النبي ﷺ، وأن له صلة بعروجه إلى السماء، لذا كثير من معاني الآيات في السورة وردت في أول سورة الإسراء.

وعلى ذلك، يمكن أن يكون (شديد القوى) وصفا مناسبا لله تعالى، وهو أقرب إلى أن يكون تعالى هو معلم النبي ﷺ من جبريل.

وأصل الكلام: علم الله أو جبريل النبي ﷺ القرآن، والتعليم مضمونه إيصال آيات القرآن إلى النبي ﷺ بألفاظها ومعانيها، وتفهيمه إياها.

قوله تعالى ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾

قوله (ذو مرة) وصف آخر لجبريل، وأصل المرة كما جاء في التبيان: شدة الفتل، وهو ظاهر في الحبل الذي يستمر به الفتل حتى ينتهي إلى ما يصعب به الحل، ثم تجري المرة على القدرة، لأنه يتمكن بها من الفعل، كما يتمكن من الفعل بالآلة، فالمرة والقوة والشدة نظائر. انتهى.

و(ذو) بمعنى صاحب، وفسر لفظ المرة بثلاثة معان أي: ذو شدة في نفسه، أو ذو رأي سديد، أو ذو نوع خاص من المرور بالنبي ﷺ في الهواء نازلا وصاعدا منتقلا بين العوالم، وفي كتب التفسير قيل: ومن قوته، أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، فرفعها إلى السماء، ثم قلبها، ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا.

وقيل إن الوصف (ذو مرة) للنبي ﷺ، أي: ذو شدة في جنب الله، أو ذو حصافة ورأي، أو ذو مرور خاص في العروج إلى السماء.

قوله (فاستوى) الفاء عاطفة على (علمه) عطف تفسير، فالكلام وما بعده بيان لكيفية التعليم، وفعل الاستواء بمعنى الاستقامة والاعتدال، وقيل إن الفاعل عائد إلى جبريل، أي: فاستقام جبريل بصورته واعتدل بهيأته التي خلق عليها دون الصورة الآدمية التي كان يتمثل بها كلما هبط على النبي ﷺ بالوحي من ربه، ورووا على هذا التفسير أن النبي ﷺ سأل جبرائيل أن يريه نفسه

على صورته التي خلق عليها، فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء، لا أعلم كيف يستقيم هذا الكلام مع قصة العروج إلى السماء.

والأوفق أن يكون فاعل فعل الاستواء للنبي ﷺ فهو بمعنى: فاستقام واستقر، ويفسر ما بعده على ذلك، وإن كانت أغلب التفاسير لا تقول بذلك.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ﴾

الجملة محلها الحال من فاعل (استوى)، وضمير الفصل راجع إلى الملك جبريل أو النبي ﷺ، على اختلاف التفسيرين، وبعوده إلى الملك فسروا الأفق الأعلى جانب المشرق من السماء، وهو فوق جانب المغرب في صعيد الأرض، لا في الهواء.

وأما بعود الضمير إلى النبي ﷺ فيفسر (الأفق الأعلى) بما هو أبعد من تحديده بالأفق الشرقي، له علاقة بعروجه إلى السماء على نحو الإعجاز.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾

تفيد (ثم) الترتيب الذكري في الكلام، والدنو القرب، والفاء للتعقيب، والتدلي أصله التعلق بالشيء، كناية عن شدة القرب، والفاعل للفعلين الملك جبريل أو النبي ﷺ، فإن عاد الضميران على جبريل فالإخبار عن تدليه من الأفق الأعلى وشدة قربه من النبي للعروج به، وإن عادا إلى النبي ﷺ فالإخبار

عن شدة قربه ﷺ أكثر من الله سبحانه، وهو لا ريب قرب معنوي متعلق بمراتب الرؤية القلبية.

قوله تعالى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾

الفاء لتفريع مقدار شدة الدنو والقرب لجبريل من النبي ﷺ ، أو للنبي ﷺ من ربه على سبيل المجاز، وهو تفسير أئمة أهل البيت عليهم السلام، قال أبو عبد الله عليه السلام: وذلك أنه يعني النبي ﷺ أقرب الخلق إلى الله تعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء: تقدم يا محمد فقد وطأت موطئا لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولولا أن روحه ونفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، وكان من الله عز وجل كما قال الله عز وجل: (قاب قوسين أو أدنى) أي: بل أدنى. ذكر في تفسير القمي. انتهى. أقول: وذكر مثله في الدر المنثور.

وفي خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام: أنا ابن من علا، فاستعلى فجاز سدرة المنتهى، فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى. نقل في الاحتجاج. انتهى.

والتركيب (قاب قوسين) لقياس المقدار، كما يقال: القاد والقيد، بمعنى قدر قوسين أي: قدر ذراعين، لأن في لغة الحجاز ـ كما قيل ـ يطلق القوس على الذراع.

والعطف بـ (أو) بمعنى الواو أو بمعنى التنزل في الخطاب على لغة السامعين ومقدار فهمهم، فقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد.

قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠ ﴾

الفاء للتفريع، وفي عود فاعل (أوحى) على جبريل باعتبار رجوع الضمائر السابقة إليه يكون المعنى: فأوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى، أي: النبي ﷺ، لأن الهاء دالة على اسم الله وإن لم يذكر، والإرباك واضح في عود الضمائر.

وإذا رجعت الضمائر السابقة إلى النبي ﷺ، فيكون المعنى: فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وعندئذ تعود الضمائر الثلاثة إلى عائد واحد هو الله تعالى، وذلك أبلغ في استقامة الكلام الذي عرف به البيان القرآني.

قوله تعالى ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ ﴾

جملة النفي تأكيد لصدق رؤية النبي ﷺ لآيات ربه بعدما شهد قربه من ربه، ونفي الكذب عن الفؤاد فيما رآه دال على أن وراء الرؤية البصرية رؤية يقينية أخرى أكثر أثرا هي الرؤية القلبية التي بها يرى رب العزة ويعرف، سئل أمير المؤمنين عليه السلام: فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وقال في الميزان: ولا بدع في نسبة الرؤية وهي مشاهدة العيان إلى الفؤاد فإن للإنسان نوعا من الإدراك الشهودي وراء الإدراك بإحدى الحواس الظاهرة والتخيل والتفكر بالقوى الباطنة كما أننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى

وليست هذه المشاهدة العيانية إبصارا بالبصر ولا معلوما بفكر ، وكذا نرى من أنفسنا أننا نسمع ونشم ونذوق ونلمس ونشاهد أننا نتخيل ونتفكر، وليست هذه الرؤية ببصر أو بشيء من الحواس الظاهرة أو الباطنة، فإنا كما نشاهد مدركات كل واحدة من هذه القوى بنفس تلك القوة كذلك نشاهد إدراك كل منها لمدركها، وليس هذه المشاهدة بنفس تلك القوة بل بأنفسنا المعبر عنها بالفؤاد. انتهى.

إذن الأوفق نسبة الفؤاد إلى فؤاد النبي ﷺ، وأن يكون ضمير (رأى) عائد إلى الفؤاد، وأما فعل الكذب فقد يتعدى بـ (في) بتقدير: ما كذب الفؤاد فيما رآه، وقد يعدى بنفسه.

قوله تعالى ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾

الفاء للتفريع، وهمزة الاستفهام للإنكار والتوبيخ، تقدمت على الفاء، لأن لها الصدارة في الكلام، والخطاب لمشركي مكة، والمماراة مجادلة في شك، والهاء في فعله للنبي ﷺ، وكذا الضمير في (يرى)، والمعنى: أفتجادلون النبي ﷺ فيما علمه من آيات ربه ورآه، وتطلبون منه أن يذعن لكم.

قال في المجمع: وذلك أنهم جادلوه حين أسري به فقالوا له: صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن عيرنا في طريق الشام، وغير ذلك مما جادلوه به. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾

القسم والتحقيق في (لقد) باعتبار نكران المشركين، وفاعل الرؤية النبي ﷺ، أو جبريل على اختلاف التفسيرين، على تفسير ما تقدم، وضمير المفعول فيه راجع إلى جبريل أو لله تعالى، و(نزلة أخرى) أي: نزولا ثانيا غير النزول الأول الذي قصته الآيات السابقة، والنزول كناية عن العروج إلى السماء، وإذا أريد به جبريل فالنزلة على النبي ﷺ ليعرج به إلى السماوات، فيكون المراد برؤيته رؤيته بصورته الأصلية، وإذا أريد بالنزلة الأخرى نزلته في معراجه عند سدرة المنتهى فالمراد بالرؤية الرؤية القلبية.

قوله تعالى ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾

الظرف متعلق بالنزول، دال على صحة إرجاع الضمائر إلى النبي ﷺ، لأن جبريل كان مرافقه إليها، والسدرة مفرد شجرة النبق شجر معروف، لم تذكر إلا في هذه السورة، وذكر في الروايات أنها عن يمين العرش، فوق السماء السابعة، إليها تنتهي أعمال العباد، ولفظ المنتهى اسم مكان أي: منتهى ما يعرج إليه ويهبط، أو بمعنى منتهى السماوات، وقيل: غير ذلك.

والإضافة من إضافة الشيء إلى مكانه كما يقال: شجر البستان، أو من إضافة الملك إلى مالكه، على تقدير: سدرة المنتهى إليه وهو الله تعالى، نظير قوله تعالى (إلى ربك المنتهى).

قوله تعالى ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ ﴾

الضمير في الظرف راجع إلى السدرة، وجنة المأوى الجنة التي يأوي إليها المؤمنون، جنة الآخرة، قال تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) [السجدة: ١٩].

قوله تعالى ﴿ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ ﴾

العامل في (إذ) قوله (رآه)، والغشيان التغطية ويراد بها الإحاطة، والفعل المضارع لحكاية الحال وتجدده، وتعريف السدرة للعهد المذكور، و(ما) مصدرية تفيد الإبهام والتفخيم، فالآية سكتت عن نوع الغشيان وكيفيته.

قوله تعالى ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ ﴾

تأكيد لصدق رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عروجه، وأنه من الحقائق الثابتة، ونفي الزيغ يراد به نفي الانحراف عن حقيقة ما رأى ببصره، أي: أبصر ما أبصر على حقيقته، غير متجاوز إلى غيرها، والبصر يراد به بصر العلم اليقيني، وهو بصر القلب كما تقدم، نظير قوله الآنف (ولقد رآه نزلة أخرى)، وتعريف اللفظ للعهد يراد به بصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجملة (وما طغى) معطوفة على ما قبلها، والطغيان تجاوز الحد.

قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ ﴾

جملة تبيين بمعنى: وأقسم لقد رأى النبي ﷺ بعض الآيات الكبرى لربه، التي بها يشاهد الله بقلبه، لأن الله يرى بآثاره، لا بذاته كما تقدم غير مرة.

والرؤية يراد بها رؤية اليقين القلبية، و(من) للتبعيض، والضميران في (ربه) و(رأى) راجعان إلى النبي ﷺ، ولفظ الكبرى وصف لآيات، يصغر عند معنى صفتها مقدار غيرها.

قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ ﴾

الفاء للتفريع على ما قصت الآيات فيما تقدم من إثبات الوحي والنبوة والوحدانية، والخطاب في الاستفهام لتوبيخ المشركين، والمعنى: إذا كان الأمر على ما ذكر من أحقية النبوة والوحدانية فمن أين زعمتم اللات والعزى ومناة آلهة أصناما للملائكة وقلتم إنها بنات الله، هل تستحق مع ذلتها أن تدعوا لها الشركة، أو تنسبوا لها القدرة.

وهذه الأصنام الثلاثة زعمها عرب الجاهلية آلهة على الأرض، إناثا لصور الملائكة، لأنهم يرون أن الملائكة بنات الله، تشفع لهم عند الله في جلب الخير ودفع الشر.

ولفظ الثالثة والأخرى صفتان لمناة، تأكيد لذكرها لأنها وردت ثالثة في الترتيب.

قوله تعالى ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ ﴾

الاستفهام للإنكار والتوبيخ، مشوب بالاستهزاء بعقول المشركين، لأنهم اختاروا أحسن القسمين فنسبوا الإناث لله والذكور لأنفسهم، والغاية تسجيل التشنيع على مفاسدهم الأخلاقية وفساد اعتقادهم، إذ كانوا يرون الأنثى عارا يجب التخلص منه، فيئدونها حين تولد.

وليس الغرض من الكلام ذكر التفاضل بين الذكر والأنثى، إذ لا ينسب لله لا ذكر ولا أنثى، وإنما الأمر كما ذكر يراد به الاستهزاء بفساد اعتقادهم لإبطاله.

وتقديم شبه الجملة (لكم) لأنهم مدار الإنكار والتوبيخ، وتقديم (له) للأهمية وبمقابلة ما تقدم، والهاء فيه عائد إلى الله تعالى، وتعريف الذكر للجنس، وتعريف الأنثى للعهد، أو للجنس.

قوله تعالى ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ ﴾

أي: تلك القسمة في نسبة الذكور إلى المشركين ونسبة الإناث إلى الله قسمة غير عادلة، والكلام استهزاء بعد استهزاء بسخافة عقولهم، وزيادة في تسجيل التشنيع على كفرهم.

قوله تعالى ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (إن هي إلا أسماء سميتموها) الجملة تعرف بحقيقة ما يزعم الوثنيون من إلهية الأصنام، فهي مجرد أسماء خالية من مسمياتها ومصاديقها، فهم سموها آلهة ولا أثر لمعناها، ولا اختصاص لها بشؤون الربوبية كالنفع والضر، لأنها جامدة من دون حياة.

و(إن) بمعنى (ما) النافية، والضمير (هي) راجع إلى الأصنام الثلاثة (اللات والعزى ومناة)، والخطاب في (سميتموها) للمشركين، والجملة محلها الصفة لـ (أسماء)، والهاء في الفعل راجعة إليها لا إلى الأصنام.

قوله (أنتم وآباؤكم) ضمير الفصل للتأكيد، أي: أنتم سميتموها آلهة وعبدتموها تقليدا وتعصبا لآبائكم، لم تتدبروا أثرها ولم تفكروا في جدواها.

قوله (ما أنزل الله بها من سلطان) جملة تقرير لبطلان عبادة الأصنام، بمعنى: أن الله لم ينزل معها برهانا يثبت صحة ربوبيتها حتى تعبدوها، وإنما ذكر الله في الجملة لأن الوثنية تعترف بخالقية الله للخلق، وأنه رب الأرباب، فجاء النفي بمنزلة التنزل في خطابهم لقطع كل معذرة لعبادة غيره تعالى، فأثبت أولا بطلان ربوبية الأصنام بالعقل، بأنها أسماء من دون مصاديق، وأثبته بالدليل بنفي إثبات أن يكون الله قال بشركتها معه في كتاب سماوي أو بوحي.

و(ما) نافية، والباء في (بها) للسبب، والهاء راجعة إلى الأصنام، و(من) مزيدة لتقوية نفي العموم، ولفظ السلطان بمعنى الدليل القاهر.

قوله (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) جملة تعليل لمعنى ما تقدم وهو عبادة المشركين للأصنام، فهم يعبدونها ظنا من دون علم، ولأن نفوسهم الباطلة رغبت بذلك.

و(إن) بمعنى النفي، والاتباع الانقياد في عبادة الأصنام تقليدا للآباء، والفعل المضارع للاستمرار، و(إلا) أداة استثناء ملغاة، فأفاد الكلام قصر اتباعهم في عبادة غير الله بالظن وحده من دون علم أو دليل، و(ما) موصولة أو مصدرية، وهوى الأنفس ميلها لما تحب من الرغبات الفاسدة.

قوله (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة موقعها الحال من فاعل (يتبعون)، لتسجيل التبعة عليهم في الإصرار على الكفر، و(لقد) بمعنى: وأقسم، وفعل المجيء مجاز في التبليغ، و(من) ابتدائية، وإضافة لفظ الرب إلى ضمير المشركين للإشارة إلى بطلان ربوبية غيره تعالى، وأنها منحصرة به وحده، وتعريف الهدى للعهد يراد به القرآن أو النبي ﷺ فكلاهما الداعيان إلى هدى الله وتوحيده.

وفي الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة لإفادة تجاهلهم، وأنهم ليسوا بأهل للخطاب البرهاني، أو لحكاية مفاسدهم لغيرهم.

قوله تعالى ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

أي: ليس بمقدور الإنسان أن يملك كل ما يتمنى، فيدعي الألوهية للأصنام، والشفاعة لها، والتأنيث للملائكة.

و(أم) منقطعة بمعنى: بل، للإضراب الانتقالي في الكلام، وتقدر بعدها همزة استفهام للإنكار والنفي، واللام المقترن بلفظ الإنسان للملك، ولفظ الإنسان أطلق للعموم وأريد به خصوص المشركين، و(ما) موصولة أو مصدرية، وفي الكلام إشارة إلى أن عبادتهم غير الله مجرد أمنيات لا علاقة لها بعلم، كما أنها ظن لا يستند إلى دليل.

قوله تعالى ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾

الفاء لتفريع العلة على النفي، وذلك لأن لله وحده ملك الآخرة والأولى، ولا شريك له في ملكه.

وتقديم (لله) للقصر، ولفظ الآخرة أي الحياة الآخرة، ولفظ الأولى نقيضها أي: الحياة الأولى وهي الدنيا، وتأخيرها وحقها أن: يقال: فلله الأولى والآخرة، لمراعاة الفواصل المنتهية بالألف المقصورة على طول السورة.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا) الكلام لتأييس الكافرين من شفاعة الملائكة لهم توصلا لإبطال عبادة الأصنام بطريق الأولوية، لأنه إذا كانت الملائكة وهي أرباب أصنامهم بزعمهم لا يقبل الله لها شفاعة إلا بإذنه فكيف بشفاعة أصنامهم.

و(كم) خبرية تفيد التكثير، و(من) مزيدة لتأكيد العموم، والملك مفرد الملائكة، وتقييد مكانه بظرف السماوات لأنها محله، ونفي الغنى بمعنى نفي النفع لأي شيء إلا بإذن من الله، وضمير الجمع في اللفظ مع إفراد الملك باعتبار ما في (كم) من معنى التكثير، أي: وكثير من الملائكة.

قوله (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) الاستثناء متصل، دال على أن الإذن شرط لقبول الشفاعة، وأنها ليست مستقلة عن إرادته تعالى، وتعليق الإذن بالشفاعة بمشيئته تعالى ورضاه تقييد للإذن وإشعار للمشركين بالإقناط عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم، لأن شفاعته تعالى لا تكون إلا لأهل التوحيد والإيمان، ولا ينالها أهل الكفر.

قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ ﴾

الابتداء للتصريح بجملة الموصول، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة الخبر، وهو جرأتهم على الشرك بالله بتسمية الملائكة بنات له.

ومعنى نفي الإيمان بالآخرة إنكارها وإنكار ما فيها من عقاب وعذاب، والتسمية القول، والتشبيه البليغ في (تسمية الأنثى) لأنهم يزعمون كلا من الملائكة بنتا لله.

قوله تعالى ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ٢٨ ﴾

قوله (وما لهم به من علم) الجملة موقعها الحال من (يسمون)، ونفي (لهم) نفي للملك، والجار والمجرور (به) متعلق بـ (علم) تقدم للأهمية، والهاء فيه راجع إلى القول بأنوثية الملائكة، و(من) زائدة لتأكيد نفي عموم أي علم.

قوله (إن يتبعون إلا الظن) الجملة تقرير لما قبلها، واتباع الظن بمعنى اتباع التوهم، لأن الظن ترجيح أطلق على وهم التصور بأنوثية الملائكة حيث نفوسهم الباطلة زينته لهم وأثبتته في عقولهم، قال السيد في الميزان: وبهذا يظهر استقامة قول من قال: إن الظن في هذه الآية وفي قوله السابق: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) بمعنى التوهم دون الاعتقاد الراجح، وأيد بما يظهر من كلام الراغب: إن الظن ربما يطلق على التوهم. انتهى.

قوله (وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) جملة حالية، والتصريح بلفظ الظن لإفادة التعبير بجنسه، و(لا يغني) معناه: لا ينفع، و(من) للبيان، وتعريف الحق للجنس، والمعنى: إن الحق ـ وجوهره حقيقة الشيء ـ يدرك بالعلم، وأما

الظن فلا اعتداد به في المعارف الحقيقية وهو كما قيل: يعتد به في الأحكام العملية وما يؤدي إليها.

قوله تعالى ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ﴾

قوله (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) الفاء للتفريع على ما سبق، والأمر بالإعراض للنبي ﷺ، ووضع الموصول موضع الضمير فلم يقل: فأعرض عنهم، لتعليل الأمر. وذكر الله يراد به القرآن أو مطلق ذكره تعالى، فهما السبيلان الموصلان إلى الحق وتحقيق السعادة، وأما الإعراض عنهما فهو موجب لليأس من الهداية في الدعوة إلى التوحيد.

قوله (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أي ولم يجعل همته إلا في طلب الدنيا قاصرا نظره عليها، ولهذا كان ذلك سببا في الإصرار على رفض دعوة التوحيد.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠ ﴾

قوله (ذلك مبلغهم من العلم) الجملة مقررة لمضمون ما قبلها، ولفظ الإشارة بمعنى: ذلك التولي وقصر الإرادة على الدنيا للمشركين أقصى ما وصلت إليه أفهامهم.

والمبلغ والبلوغ واحد، وهو الوصول إلى منتهى الشيء، وأريد بالعلم هنا الإدراك الفاسد.

قوله (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الفصل لتعليل الأمر بالإعراض، وهو علمه تعالى أصلا بالذي شأنه الضلالة عن سبيل الله، فهؤلاء نفوسهم غير مستعدة لقبول الإيمان.

والخطاب للعناية والتشريف، وضمير الفصل (هو) للقصر، ومعنى (أعلم) في الآية المبالغة في مطلق العلم، وليس التفاضل فيه، مؤذن بالوعد للمؤمنين وبالوعيد للكافرين، وسبيل الله طريقه الموصل إلى السعادة، وهو التوحيد.

قوله (وهو أعلم بمن اهتدى) التكرار في قوله (وهو أعلم) لزيادة التقرير، والإيذان بكمال تباين المعلومين كما ذكر أبو السعود في تفسيره. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١ ﴾

قوله (ولله ما في السماوات وما في الأرض) الواو للحال، وجملة موقعها الحال من ضمير (أعلم)، وهو حال معللة لعلم الله بالفريقين: الضالين والمهتدين، وهو كونه سبحانه مالكا لهم.

ويجوز أن تكون الواو استئنافية للدلالة على أن الأمر بالإعراض لا لإهمالهم وعدم محاسبتهم، بل ليجزيهم على كفرهم، لأنه المالك لهم أقروا أو لم يقروا.

وتقديم (لله) للقصر، وإظهار الاسم في موضع إضماره لبيان كما العظمة، وذكر ملكه تعالى لما في السموات والأرض لبيان استقصاء ملكه، وفي اسم الموصول (ما) دخول ما يعقل وما لا يعقل في الملك.

قوله (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا) جملة غرض للملك أو لأمر الإعراض، وهو أنه تعالى يجزي كلا بما عمل في حياته الدنيا، وسمى ضلالهم إساءة على سبيل البيان لحال الضالين.

والجزاء المكافاة على العمل، والباء في (بما) للعوض أو للسبب، و(ما) موصولة أو مصدرية.

قوله (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) العطف بمعنى: وليجزي الذين أحسنوا بالمثوبة الحسنى، وإعادة فعل الجزاء للاعتناء به، وإظهار تباين الجزاءين.

واستعمل (أحسنوا) مقابلة لـ (أساؤوا) لبيان حال المهتدين، ولفظ الحسنى صفة تأنيث لموصوف تقديره: المثوبة الحسنى، وهي الجنة.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾

قوله (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) جملة بدل من (الذين أحسنوا)، تفسير لهم وتعليل لمثوبتهم بالحسنى.

وفعل الاجتناب معناه الابتعاد، ومضارعه دال على الاستمرار، وكبائر الإثم أي الآثام التي تكبر عقوبتها بارتكابها، وهي ما أوعد عليها النار، وذكر تفصيلها في سورة النساء الآية [٣١].

ولفظ الفواحش تطلق على قبائح المعاصي كالزنا واللواط، وتخصيصها بالذكر مع أنها داخلة في جملة الكبائر لشناعتها، والاستثناء منقطع، ولفظ اللمم يقال لصغائر الذنوب، وأصله كما قال في المجمع: أن يفعل الإنسان الشيء في الحين، ولا يكون له عادة، ومنه إلمام الخيال. انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: اللمم العبد الذي يلم بالذنب بعد الذنب ليس من سليقته أي من طبعه. ذكر في أصول الكافي. انتهى.

قوله (إن ربك واسع المغفرة) الفصل لتعليل استثناء اللمم، وهو لأنه واسع الرحمة، يستر الذنوب على عباده، وفي الكلام تطميع لأهل الإثم بالتوبة.

قوله (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) جملة استئناف لتقرير ما قبلها، وضمير الفصل (هو) لقصره تعالى في العلم بأحوال عباده، والظرفية (غذ) متعلقة بالضمير في (أعلم)، والإنشاء الخلق والتدبير، و(من) ابتدائية، ولفظ الأرض يراد به أصل الخلقة من تراب.

قوله (وإذ أنتم أجنة) العطف على (إذ)، أي وهو أعلم بكم وقت كونكم أجنة، ولفظ الأجنة جمع جنين، والجنين الولد ما دام في بطن أمه، وهي فعيل بمعنى المفعول أي المستور المحفوظ.

قوله (في بطون أمهاتكم) جملة الظرف زيادة في التقرير، للتذكير بضعف الإنسان المخاطب، وأن الله وحده العالم بأطواره في جوف أمه، وما يؤول إليه.

قوله (فلا تزكوا أنفسكم) الفاء لتفريع النهي على علم الله بأحوالهم أول إنشائهم وإذ هم أجنة، أي: فلا تنسبوا أنفسكم إلى الطهارة من الذنوب، فتثنوا عليها بل اشكروا الله على تفضله عليكم بالمغفرة.

قوله (هو أعلم بمن اتقى) الفصل لتعليل النهي، أي: لأنه هو تعالى وحده العالم بمن يجتنب معاصيه بأسرها كبائرها وصغائرها.

قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾

ينطبق سبب النزول على معنى الآيات [٣٢ـ ٣٩]، ويصدق عليها، فقد ذكر أن رجلا من المسلمين كان ينفق من ماله في سبيل الله، فلامه من خوفه الفقر بنفاد ماله، وضمن حمل ذنوبه عنه، فأمسك عن الإنفاق، واختلف في هوية هذا الرجل فقيل عثمان، وقيل العاص وقيل غيره، ولمن رغب بمزيد الاطلاع على الكشاف والمجمع وغيرها.

والفاء في (أفرأيت) للتفريع على معاني ما تقدم في الآيات السابقة، وصيغة (أرأيت) بمعنى: هل وصل لعلمك، وتعريف اسم الموصول للعهد، والتولي الإعراض، وصلته المحذوفة بتقدير: تولى عن الثبات على الحق.

قوله تعالى ﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤ ﴾

ضمير الفاعلين لـ (أعطى، وأكدى) عائد إلى ضمير فعل التولي، ونصب قليلا على الصفة لموصوف محذوف تقديره، إعطاء قليلا، وفعل الإكداء بمعنى القطع، أي قطع العطاء، قال الراغب: الكدية صلابة في الأرض، يقال: حفر فأكدى إذا وصل إلى كدية، واستعير ذلك للطالب المخفق والمعطي المقل، قال تعالى: (أعطى قليلا وأكدى). انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥ ﴾

الضمائر الثلاثة عائدة إلى فاعل التولي نفسه، والاستفهام الداخل على الظرف يفيد الإنكار، أي: ليس يملك، وعلم الغيب العلم بما غاب عن الحواس، يراد به في الكلام العلم بما يكون من مستقبل الأحوال، والفاء لتفريع النتيجة على السبب، وفعل مضارع الرؤية بمعنى العلم، والمعنى: لا يملك المكدي العلم بما يستقبل حياته، حتى يخاف الفقر إن استمر بالإنفاق، لأن ذلك من علمه تعالى.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾

أي: بل ألم ينبأ بما في أسفار موسى وصحف إبراهيم.

(أم) منقطعة بمعنى: بل، ويقدر بعدها الاستفهام بمعنى: بل ألم، ويفيد الإنكار، والإنباء الإعلام بخبر مهم، و(في) للظرفية المجازية، و(صحف موسى)

كناية عن التوراة، والجمع لأنها كثيرة، وتقديم موسى لأن صحفه أشهر وأكثر.

وجملة الموصول (الذي وفى) محلها الصفة لإبراهيم، والتوفية أداء الشيء كاملا، وحذف صلة الفعل إبقاء على ألف الفاصلة، ولإفادة المبالغة في تصور وفاء إبراهيم على ما عاهد عليه ربه من الصبر على كل ما امتحن به، كنار النمرود والأمر بذبح ولده.

قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

جملة بدل من (صحف موسى وإبراهيم) وتفسير لها، بمعنى: لا تحمل نفس يوم القيامة حمل غيرها، فكل نفس مسؤولة عما عملت وتحاسب عليه وحدها.

و(أن) في (ألا) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف تقديره: أنه، وجملة النفي بـ (لا) خبرها.

ومعنى(تزر) تحمل، ولفظ الوازرة صفة حلت محل الفاعل الموصوف بمعنى: نفس وازرة، أي حاملة للوزر، وهو الإثم، والوزر الثقل استعير للإثم لمشقة حمله يوم القيامة، ومعنى (وزر أخرى) أي: وزر نفس أخرى.

وفي الكلام جناس اشتقاقي لافت ورد في الفعل (تزر) واسم الفاعل (وازرة) والمصدر (وزر) لإفادة التنبيه إلى المعنى.

قوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

جملة (أن) المخففة معطوفة على التي سبقتها، بيان آخر لما في صحف موسى وإبراهيم، وهو أن الإنسان لا يملك إلا عمله.

وجيء بالكلام بصيغة القصر بالنفي والاستثناء لإنزال المخاطبين منزلة المنكرين، واللام المقترن بلفظ الإنسان للملك، ونفيه باعتبار أن العمل هو الملك الحقيقي الذي يلازم الإنسان، أما ما عداه فهو ملك تصرف وتخويل، لأنه سيغادره عند الموت مجبرا.

و(ما) موصولة أو مصدرية، وفعل السعي يقال لعمل الخير والشر، وإن كان أقرب لمعاني الخير، لأن السعي أصله الجري، يستعمل لما يهتم له من أمر.

ومحصل المعنى: إن آثار الأعمال تتبع الإنسان يوم القيامة، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولا ينتفع بعمل غيره، إلا من دخل في الإيمان، فإن له أن ينتفع باستغفار غيره، وبشفاعة الشافعين، قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل للملك الموكل بالمؤمن إذا مرض: اكتب له ما كنت تكتب له في صحته، فإني أنا الذي صيرته في حبالي. ذكر في الكافي. انتهى.

وصح ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

الكلام معطوف على ما قبله، والسعي مطلق العمل، والإحالة بأداة الاستقبال (سوف) دالة على أن رؤية الأعمال يراد بها يوم القيامة، في

صحيفة أعماله وميزانه، نظير قوله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) [آل عمران: ٣٠].

وفعل الرؤية يقصد به المشاهدة العيانية، وإيراده بصيغة الفعل المبني للمجهول دال على أن ثمة من يشاهد العمل غير صاحبه.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

تفيد (ثم) التراخي الرتبي، وضمير الهاء المقترن بفعل الجزاء نصب بنزع الخافض، وأصله: يجزى عليه، عائد على السعي، ونصب (الجزاء) على المفعولية المطلقة، لتفخيم الجزاء، وتوصيفه بالأوفى لكماله تاما غير منقوص.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

الواو لعطف جملة على جملة، وتقديم الجار والمجرور للقصر، والخطاب في (ربك) خطاب عناية وتشريف، ولفظ المنتهى بمعنى الآخر الذي تنتهي إليه الأشياء، وإطلاقه من دون تقييد دال على انتهاء تدبير كل مربوب إلى الله، من البدء إلى المعاد.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾

الكلام في بيان مصاديق انتهاء المربوبين وتدبيرهم إلى الله، دالة صياغاتها على قصر الربوبية والتدبير فيه تعالى وحده، إشعارا ببطلان زعم المشركين في إيكال التدبير في الأرض لشركائه.

والمعنى: أنه هو تعالى وحده من أوجد إرادة الضحك والبكاء في الإنسان، من غير انتفاء للاختيار، أي: إن نسبة الإضحاك والإبكاء إلى الله نسبة إيجاد، لا تلغي نسبة اختيار العبد في فعلهما.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾

قصر الإماتة والإحياء فيه تعالى لأنها من شؤون إلهيته وحده، دالة على تفرده في ذلك، والموت فصل الروح عن الجسد، والإحياء بث الروح والحياة فيما لا حياة له.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾

الخلق بمعنى الإحداث والتدبير، والزوج النوع المقترن بنقيضه، ولا يسمى كذلك إلا في حال الاقتران، ونصب (الذكر والأنثى) لأنه بدل تفسير من (الزوجين)، و(من) ابتدائية، والنطفة ماء الرجل والمرأة، يخلق الله منه الجنين، والشرط (إذا تمنى) أي إذا تصب النطفة وتدفق بقدر في الرحم.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾

الضمير في (عليه) راجع إلى الله تعالى، بمعنى الإيجاب، وتقديم شبه الجملة للقصر، والنشأة الإيجاد والاختراع، وتقييدها بلفظ الأخرى دال على أن المراد بها الدار الآخرة، فيكون المعنى: أنه تعالى حتم خلق الدار الآخرة وفاء بوعده تعالى في الجزاء على العمل في الدار الأولى.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾

أي: هو الله تعالى مصدر الإعطاء والإقناء، ومعنى أغنى: أعطى الغنى، ومعنى أقنى: أعطى القنية وهو ما يتأثل من الأموال ويبقى ببقاء نفسه كالدار والبستان، وأفرد بالذكر من باب ذكر الخاص بعد العام، لأنه أشرف الأموال.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

لفظ الرب يقال للمالك المدبر، ورب الشعرى خالقها ومخترعها، خصت بالذكر لبيان فساد الاعتقاد بعبادتها، فالشعرى على ما قيل في التبيان: النجم الذي خلف الجوزاء، وهو أحد كوكبي ذراع الأسد وفم المرزم، وكانوا يعبدونهما في الجاهلية. انتهى.

وذكر في المجمع أنه: كانت الخزاعة وحمير تعبد هذه الكوكبة، وممن كان يعبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من جهة أمه، وكان المشركون يسمونه

ﷺ ابن أبي كبشة لمخالفته إياهم في الدين كما خالف أبو كبشة قومه في عبادة الشعرى. انتهى.

والمقصود بالمخالفة التي ذكرت في الرواية، لأن قريشا عرفت بعبادة الأصنام الأرضية، وما كانت تعبد الكواكب.

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ ﴾

الواو للعطف، وفتح (أن) في المواضع كلها مع أن حقها الكسر، لأن جميعها في معطوفة على ما سبقها، لاشتمال صحف موسى وإبراهيم عليها، بتقدير: أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى بأنه إلا تزر وازرة وزر أخرى، وبأنه كذا وكذا.

وأفنى الله قوم عاد ببغيهم، ولأنهم لم يؤمنوا بنبيهم هود، وأصروا على الكفر، وتصريف عاد لأنه أريد به الاسم لا القبيلة فهو أصل قومهم، وهو عاد بن إرم، ووصفه بالأولى أي السابقة، وهم العرب البائدة، وقيل لأن هناك عادا ثانية من بعد الأولى.

قوله تعالى ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١ ﴾

نصب ثمود على العطف أي: وأهلك ثمودا، وهم قوم صالح، أرسله الله إليهم بمعجزة الناقة، والفاء في (فما) للتعقيب، وحذف صلة الفعل (أبقى) بمعنى:

ما أبقى من كفارهم أحدا، وذلك لأن الله نجى المؤمنين منهم قال تعالى (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) [فصلت: ١٨].

قوله تعالى ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢ ﴾

قوله (وقوم نوح من قبل) العطف بمعنى: وأهلك قوم نوح من قبل، وتأخر ذكر إهلاك قوم نوح، لأن المقام مقام تهديد ووعيد لقريش، وعاد وثمود من العرب البائدة أقرب إلى قريش في النسب والمكان.

وبناء الظرف في قوله (من قبل) لأنه مقطوع عن الإضافة بمعنى: من قبل إهلاك عاد وثمود، لأن قوم نوح أول الأمم التي أبادها الله بسبب كفرهم وإعراضهم مع طول دعوة نوح، ولذا هم أظلم وأطغى.

قوله (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) تعليل لإهلاك قوم نوح، لأنهم كانوا أشد ظلما وطغيانا من قوم عاد وثمود.

قوله تعالى ﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ ﴾

لفظ المؤتفكة من الإفك وهو التحويل والانقلاب، استعملت صفة لموصوف محذوف بتقدير: القرى المؤتفكة، قرى قوم لوط وهي سدوم، وعمورة، وآدمة، وصبوييم، وسميت بذلك لأن الله غضب على أهلها فأسقط قراهم إلى الأرض بقلبها وخسفها.

قوله تعالى ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

الفاء للتعقيب، والغشيان التغطية ويراد بها الإحاطة والاشتمال، والإبهام في اسم الموصول لتهويل العذاب، أي: ألبسهم العذاب ما جل عن الوصف، وذلك لأنهم رموا بحجارة النار من السماء، وخسفت بهم الأرض وقلبت قراهم حتى ابتلعتها الأرض.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾

الفاء للتفريع على ما تقدم من تعداد النعم والنقم، والاستفهام يفيد الإنكار، وتقديم شبه الجملة لأنه مدار الإنكار، والآلاء النعم، مفردها إلى، والمعنى: فبأي نعم ربك فيما ذكر تتشكك.

وإضافة الآلاء إلى لفظ الرب دون استعمال اسم الله، لإفادة جمع الربوبية إلى ألوهيته تعالى، وأن ما ذكر من حكمة تدبيره في الأرض حفظ به نظامه الجاري، ولأن فيها نصرا لرسله والمؤمنين لذلك سماها نعما، والخطاب فيه لكل مخاطب، أو للنبي ﷺ لإفادة خطاب غيره على عادة التعبير القرآني.

قوله تعالى ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾

اسم الإشارة (هذا) للقريب، للنبي ﷺ، أو للقرآن كلاهما واحد، بمعنى: هذا الذي تشاهدونه نذير من جنس النذر الأولى، ولفظ النذير المخوف من عاقبة

عمل الشيء، وتعريفه للتفخيم، وسماه نذيرا دون بشير لأن المقام مقام تخويف ووعيد للمشركين.

وحرف الجر (من) يفيد الجنس، أي: من جنس النذر، والنذر جمع نذير، ووصفها بالأولى أي السابقة، فإن كان يراد باسم الإشارة القرآن فالمعنى: إن هذا القرآن من جنس ما أنزل الله في الصحف الأولى صحف موسى وإبراهيم، وإن أريد به النبي ﷺ فالمعنى: إن هذا الرسول من جنس الرسل المنذرين الأولين قبله، ومضمون الإخبار يريد أن إرسال الرسل أو تنزيل الكتب سنة إلهية جارية، مضت قبلكم وأنتم أيها المشركون لستم بدعا من الأمم حتى تكذبوه.

قوله تعالى ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ ﴾

أي: اقترب وقت القيامة، نظير قوله تعالى (اقتربت الساعة) [القمر: ١]، ولفظ الآزفة صفة للفظ القيامة المحذوف، سميت بذلك لأنها دانية قريبة الوقوع حتمية الحدوث، لأن كل ما هو آت قريب وقوعه، والكلام ظاهره إخبار ومضمونه الوعيد بعذاب المشركين، وبين اللفظين محسن بديعي هو الجناس الاشتقاقي.

قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

جملة النفي محلها الصفة ثانية لـ (الآزفة)، والهاء في (لها) عائد إلى الآزفة، و(من دون الله) أي: من غير الله، وتقدم الظرفان للقصر، ولفظ (كاشفة)

بمعنى زائلة صفة لموصوف محذوف تقديره: نفس كاشفة، فيكون أصل الكلام: ليس نفس كاشفة للآزفة من دون الله، أي: لا تقدر نفس على إزالة شدائد القيامة وأهوالها إلا أن يكشفها هو سبحانه.

قوله تعالى ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

الفاء للتفريع على ما سبق من ذكر الانتهاء إليه وخلق النشأة الأخرى وقرب القيامة، والاستفهام لإنكار إنكار عجب السامعين المشركين من حديث القرآن، وتقديم شبه الجملة للقصر، أي: هذا الحديث ليس أهلا لأن تقابلوه بالضحك والاستهزاء والتكذيب، بل ينبغي عليكم أن تعجبوا وتبكوا وتصدقوا.

وتقدم الاستفهام على الفاء لن له الصدارة، واستعمال لفظ الإشارة للحديث كأنه قول مشاهد لفرط بيانه وبلاغته في عرض ما تقدم من معاني الوعيد وأخباره.

وجملة (وتضحكون) معطوفة على (تعجبون) بمعنى: وتضحكون استهزاء بعدما علمتم من قرب القيامة، ولا تبكون على ما فرطتم في جنب الله.

وجملة (وأنتم سامدون) محلها الحال من (لا تبكون) أي: في حال أنتم لاهون مستكبرون، ولفظ السمود أصله من سمد البعير إذا رفع رأسه في سيره.

قوله تعالى ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾

الفاء لتفريع النتيجة على السبب، نتيجة الأمر بالسجود لله تعالى على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء، ووجوب الخضوع لمنزله وعبادته وحده.

وفي الأمر بالسجود إليه تعالى توبيخ للمشركين، وإظهار اسم الله للقصر، أي: فاسجدوا لله وحده، وأصل السجود الخرور بالوجه على الأرض، ويكون بوضع الجبهة عليها، وهو أظهر مظاهر الخضوع لله وخشيته.

والأمر بعبادته تعالى بمعنى: واعبدوه حق عبادته من دون أن تشركوا به شيئا، وقال الشيخ الطوسي: وفي الآية دلالة على أن السجود ههنا واجب، على ما ذهب إليه أصحابنا، لأن ظاهر الأمر يقتضي الوجوب. انتهى.

سورة القمر

مكية، وهي خمس وخمسون آية

غرض السورة التخويف من يوم القيامة، فتفتتح بما اقترح المشركون على النبي ﷺ من آية شق القمر فتدمج معه التحذير من اقتراب الساعة، وتذكّر الآيات بهلاك الأمم الكافرة، وتفصّل الكلام في سيء أحوالهم يوم القيامة، منذرة مشركي مكة، بأنهم ليسوا أعز مقاما ممن قبلهم من الكافرين وأشد سلطانا، وأن سنة عقابه فيهم جارية، كما جرت فيمن قبلهم، ولإتمام المقارنة بالعاقبة ختمت السورة بذكر البشارة المتقين.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾

قوله (اقتربت الساعة) الاقتراب مبالغة في شدة القرب، فزيادة التاء في المبنى تزيده في المعنى، ولفظ الساعة البرهة من الزمان، وهي ظرف قيام القيامة، سميت بذلك لأنها تحدث بظرف مدة قصيرة من الزمان، وتعريفها للعهد، والتركيب: كناية عن شدة قرب قيام القيامة، وإسناد الفعل إلى الساعة من باب المجاز العقلي، للمبالغة، لأن الله يقربها حقيقة ويحدثها.

قوله (وانشق القمر) الواو لعطف جملة على جملة، والانشقاق للأعيان، ويعني تفريق الشيء الواحد إلى نصفين، والقمر الكوكب المعروف، وانشقاق القمر من المعجزات المادية التي تأيد بها النبي ﷺ في مكة، فقد ذكر أنه:

اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ينادي: يا فلان، يا فلان، اشهدوا. نقل في المجمع وغيره. انتهى.

وذكر انشقاق القمر مع اقتراب الساعة، إدماج للمعجزة بالتحذير، فهي من شرائط الساعة ودلائل النبوة.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢ ﴾

قوله (وإن يروا آية يعرضوا) ضمائر الجمع للمشركين وإن لم يذكروا، والرؤية المشاهدة عيانا، والآية العلامة ويراد بها المعجزة، وتنكيرها للعموم، دال على أن المراد بانشقاق القمر تحققه فعلا، وليس كما قيل بتقدير: سينشق، وجزم (يعرضوا) لأنه جواب (إن) الشرطية، والإعراض كناية عن الكفر بها مسبقا وعدم تدبرها وتأملها.

قوله (ويقولوا سحر مستمر) أي: وزيادة على إعراضهم يقولون تعلة لأنفسهم هذا سحر مطرد، ولفظ الاستمرار مبالغة في المرور، أي سحر بعد سحر.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣ ﴾

قوله (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أي: وكذبوا بالنبي ﷺ، وانقادوا لرغباتهم الباطلة.

قوله (وكل أمر مستقر) جملة تذييل لما سبق، أي: وكل أمر مستقر في مستقره فالخير يستقر في أهل الخير، والشر يستقر في أهل الشر، فيعلم أنه حق أو باطل وصدق أو كذب، وفي الكلام دلالة ظهور النبي ﷺ على مكذبيه، نظير قوله تعالى (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) [الأنعام: ٦٧]، وقوله (ولتعلمن نبأه بعد حين) [ص: ٨٨].

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) القسم والتحقيق لأهمية الإخبار في قطع الحجة على المشركين، و(من) للتبيين، والأنباء الأخبار المهمة، وشبه الجملة (من الأنباء) بيان لقوله (مزدجر)، والازدجار مبالغة في الزجر والمنع من ارتكاب المعاصي، وهي الأنباء التي يتعظ بها كأنباء الأمم البائدة، وأنباء القيامة.

قوله تعالى ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾

قوله (حكمة بالغة) ارتفع اللفظ بتقدير: هذا القرآن حكمة بالغة، ولفظ الحكمة القول المتقن المعبر عن الحق، والحكمة البالغة أي الواصلة إلى تمامها وكمالها، والإسناد على سبيل المجاز العقلي يراد به الحكيم.

قوله (فما تغن النذر) الفاء فصيحة تفصح عن جمل محذوفة بتقدير: هذا القرآن حكمة بالغة فكذبوا به واتبعوا أهواءهم فما تغني النذر.

وحذف ياء (تغني) لتعويضها بالكسر من أجل تخفيفها في القراءة، والغنى النفع، والنذر جمع إنذار أو نذير، وهو المخوف من عاقبة الفعل.

قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (فتول عنهم) الفاء للتفريع، والأمر بالتولي للنبي ﷺ على سبيل عدم الاكتراث بإعراضهم، لأن الله سيتولاهم، أي: تجاهلهم، ولا تعبأ بهم.

وفعل التولي قد يتعدى بنفسه فيفيد الاتباع والتصرف، وقد يتعدى بحرف التجاوز (عن) فيفيد معنى الإعراض.

قوله (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) نصب (يوم) بمعنى: واذكر، أو متعلق بـ (يخرجون)، وهو يوم القيامة، الذي يدعو فيه الملك إسرافيل بالبوق الموتى، إيذانا بقيام القيامة، والوقوف بين يدي الله للحساب.

ودعاء الداعي أصله رفع الصوت، وحذف ياء (الداعي) للتخفيف، ويراد به إسرافيل، وتعديته بحرف الانتهاء (إلى) لتضمنه معنى الحضور، والشيء النكر الشيء المنكر الفظيع، تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثيله، ويراد به أهوال القيامة.

قوله تعالى ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾

قوله (خشعا أبصارهم) النصب لأنه حال من (يخرجون)، والخشع جمع خاشع، واستعارته للأبصار كناية عن ذلتهم لشدة هول ما ينتظرهم، لأن الذليل يخفض بصره أبدا، فتبدو عليه أمارات الانكسار والذلة.

قوله (يخرجون من الأجداث) فعل الخروج دال على الظهور من استتار، ويراد به ظهور الموتى من قبورهم، و(من) ابتدائية، والأجداث جمع جدث وهو القبر.

قوله (كأنهم جراد منتشر) تصوير لحال خروجهم من القبور بالجراد المنتشر الذي يتداخل بعضه ببعض في سرعة واضطراب.

قوله تعالى ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾

قوله (مهطعين إلى الداع) النصب لأنه حال من ضمير (يخرجون)، أي: حال كونهم مسرعين إلى الداعي مستجيبين دعوته.

قوله (يقول الكافرون هذا يوم عسر) يجوز أن يكون محل الجملة حالا، أي: قائلين، ويجوز أن يكون استئنافا بمنزلة الجواب عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال، كأنه قيل: فماذا يكون في ذلك اليوم، فيجاب: يقول الكافرون هذا يوم عسر.

وإظهار لفظ الكافرين لبيان علة ما وصفوا به من وصف ذميم، ولتفسير الضمائر السابقة، ولبيان أن المؤمنين بمعزل عما ذكر من خبرهم.

والمشار باسم الإشارة يوم القيامة، لأنهم شاهدوه بعد نكرانهم له، والعسر الصعب الشاق، ونسبة العسر إليه للمبالغة على سبيل المجاز العقلي.

قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾

قوله (كذبت قبلهم قوم نوح) انتقال بالكلام إلى ذكر تفصيل الزواجر من الأنباء، لبيان تقرير قوله (فما تغن النذر)، ومع كل قصة ستورد الآية السؤال التقريعي (كيف كان عذابي ونكر)، معللة ومخوفة بعده بقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

وفي الكلام تسلية للنبي ﷺ، بأن تكذيب قومه له سنة دأبت عليها الأمم الكافرة السابقة، فقد كذبت قبلهم قوم نوح.

قوله (فكذبوا عبدنا) الفاء لتفريع تفسير التكذيب، وهو إنكارهم نبوة نوح، الذي كني عنه بلفظ (عبدنا) تعظيما لشأنه، وتشنيعا على تكذيب قومه له.

وقيل إن التكذيب الأول لإطلاق تكذيب المرسلين، والثاني خاص بتكذيب نوح، لأن تكذيبه تكذيبهم نظير قوله تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) [الشعراء: ١٠٥].

قوله (وقالوا مجنون وازدجر) أي: ولم يكتفوا بتكذيبه، بل زادوا عليه بأن نسبوه إلى الجنون، وأن الجن ازدجره، فلا يتكلم إلا عن زجر، وما هو من الوحي في شيء.

ويجوز أن يكون الازدجار إلى قومه بمعنى: ومنعه قومه من التبليغ.

قوله تعالى ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ ﴾

قوله (فدعا ربه) الفاء للتفريع، والدعاء طلب الحاجة من الله، والضميران عائدان إلى نوح.

قوله (أني مغلوب فانتصر) تفسير للدعاء، أي: إني مقهور بالقوة من قومي لا بالحجة، فلا أقدر على التبليغ، فانتقم لي منهم.

والإخبار من نوح تلخيص لدعوة دامت ألف عام إلا خمسين في قومه لم تؤثر فيهم شيئا يذكر، والفاء في (فانتصر) لتفريع الأمر الدعائي على الإخبار.

قوله تعالى ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ ﴾

فعل الفتح استعارة لشدة انصباب المطر، تشبيها لأجواء السماء بأبواب مغلقة حاجزة للماء، ثم فتحت، ووصف الماء بالمنهمر، أي: المصبوب الكثير.

قوله تعالى ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ ﴾

قوله (وفجرنا الأرض عيونا) التفجير التشقيق، وتضعيف الفعل للتكثير، وتعديته إلى الأرض للمبالغة، فأصل الكلام وفجرنا عيون الأرض، ونصب (عيونا) على التمييز المبين، كأنه جعل الأرض كلها عيونا تتفجر.

قوله (فالتقى الماء على أمر قد قدر) فعل الالتقاء استعارة للاجتماع، وتعريف الماء للجنس، أي: الماء النازل من السماء والماء المتفجر من الأرض، و(على) للاستعلاء المجازي، أي: ملابسا لأمر أحكمه الله وقضاه وهو ما قدره سبحانه من طوفان.

قوله تعالى ﴿ وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ ﴾

أي: وحملنا نوحا على السفينة، والكناية عنها بـ (ذات ألواح ودسر) لأنها مصنوعة من تسطير ألواح خشب مثبت بالدسر، أي: المسامير، وإنما كنى ولم يصرح، للإشعار بأن نجاته بعناية من الله، لا بفضل السفينة، فإنها مصنوعة من ألواح ودسر، لا تثبت أمام الطوفان العظيم.

قوله تعالى ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ ﴾

قوله (تجري بأعيننا) أي: تجري السفينة بحفظ من الله ورعاية منه، وإطلاق لفظ الأعين مجاز مرسل بعلاقة السببية، لأن العين سبب في الحفظ.

قوله (جزاء لمن كان كفر) النصب لأنه مفعول لأجله، أي: نجى الله نوحا جزاء له، لأنه كان نعمة كفرها قومه، فكل نبي نعمة من الله لقومه.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ ﴾

قوله (ولقد تركناها آية) أي: وقسما لقد أبقينا السفينة علامة يعتبر بها كل من يقف عليها، فقد قيل: إن السفينة أبقاها الله بأرض الجزيرة أو على الجودي

دهرا طويلا، حتى رآها أوائل هذه الأمة. ذكرها أبو السعود في تفسيره. انتهى.

قوله (فهل من مدكر) أي: فهل من متعظ بها، والفاء للتفريع، و(هل) حرف استفهام يفيد التحضيض، و(من) مزيدة لتقوية عموم إثبات الجنس، والادكار الاتعاظ.

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾

الفاء للتفريع على قصة إغراق قوم نوح، والجملة مفادها التهويل من عذاب الله وإنذاره للمكذبين برسله، ومنهم أمة قريش.

و(كيف) استفهام مستعمل للتعجيب، وإضافة العذاب إلى ياء الجلالة للتعظيم، لأنه من غضبه تعالى، ولفظ النذر جمع نذير، وحذف يائه للتخفيف، وفي الكلام تلويح لمشركي مكة كما تقدم.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي: وأقسم لقد سهلنا للناس فهم مقاصد القرآن، ليتذكر الله بقراءته كل متذكر.

والتيسير التسهيل، وذلك بأن أنزل القرآن بلغة عربية مفهومة واسعة الألفاظ والمعاني، سهلة الفهم، واللام المقترن بلفظ الذكر بمعنى: لأجل، والذكر مطلق استحضار معاني الخالق في القول والفعل.

قوله (فهل من مدكر) الجملة متفرعة على جملة القسم، ظاهرها الاستفهام ومضمونها الحث على الإقبال على القرآن لطلب ذكر الله، وستكرر في نهاية كل قصة يتعظ بها.

قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ ﴾

قوله (كذبت عاد) انتقال بالكلام بطريق الاستئناف إلى ذكر قصة أخرى فيها ازدجار ووعظ، وإنما لم يعطف لأن كل قصة تغني في العظة لمن يتعظ.

ووردت قصة قوم عاد كثيرا في القرآن، وهم قوم هود، أخذهم الله بعذاب الصيحة ببغيهم وتكذيبهم لنبيهم، وحذف مفعول التكذيب للإيجاز بتقدير: وكذبت عاد هودا، وطلبا للمسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب.

قوله (فكيف كان عذابي ونذر) جملة متفرعة على التكذيب، لإفادة توجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقي إليهم قبل ذكره، لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده، كأنه قيل: كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراتي لهم. قاله أبو السعود. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ ﴾

قوله (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) الكلام تفصيل لما أجمل في قوله (فكيف كان عذابي)، وهو أن سلط الله عليهم ريحا شديدة الهبوب أو شديدة البرودة.

قوله (في يوم نحس مستمر) الظرف متعلق بفعل الإرسال، ولفظ اليوم يراد به الجزء من الزمان، لا اليوم المعروف من أيام الأسبوع لقوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات) [السجدة: ١٦]، وفي موضع آخر (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) [الحاقة: ٧].

والنحس الشؤم، وإضافة اليوم إليه من إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة، و(مستمر) صفة ثانية، وهو يوم نحس مستمر بالنسبة إليهم، لأن فيه كان هلاكهم.

قوله تعالى ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾

قوله (تنزع الناس) فعل النزع أصله الجذب من الأساس، وفاعله الريح الصرصر، وتعريف الناس للعهد يراد بهم قوم عاد، والعموم لأن النزع شملهم كلهم، والمعنى: إن الريح لشدة هبوبها تقلعهم من أماكنهم.

قوله (كأنهم أعجاز نخل منقعر) الأعجاز جمع عجز وهو نهاية الشيء، والنخل المنقعر النخل المقلوع من أصله، وتشبيههم بالنخل لبسطة أجسامهم وضخامتها، والتشبيه معناه: كأنهم في حال نزع الريح لهم أسافل نخل مقلوع عن مغارسه.

وتذكير الوصف للنخل بالمنقعر باعتبار ظاهر لفظه، أما في قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية) [الحاقة: ٧] فقد أخذ فيه معناه.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) فيما رواه العياشي قال:(تنزع الناس) أي: تقتلع هذه الريح الناس، ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فيصيرون (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أي: أسافل نخل منقلع، لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ﴾

تفريع الاستفهام للتهويل والتعجيب من حال استئصال قوم عاد، وفيه تخويف لمشركي مكة للازدجار، وتقدم القول فيه.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

القول في الآية كالقول في نظيرها من خبر قوم نوح.

قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾

أي: كذبت ثمود بالإنذارات والمواعظ التي جاء لهم بها نبيهم صالح، وذلك حين عقروا الناقة وخالفوا نبيهم.

أو المعنى: كذبت ثمود بالرسل، على إرادة تفسير النذر بالرسل نظير قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين) [الشعراء: ١٤١]، لأن تكذيب صالح تكذيب للرسل جميعهم، لأن دعوتهم واحدة.

قوله تعالى ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه) الفاء للتفريع على التكذيب، والاستفهام يفيد الإنكار، ونصب (بشرا) على تقدير: أنتبع بشرا منا، ولفظ البشر يقع على الواحد والجمع، وشبه الجملة (منا) موقعها الصفة أي: كائنا من جنسنا، و(واحدا) صفة ثانية.

وقد كانت شبهة صفة البشرية كثيرا ما تقال من الأمم المكذبة لبعثة الرجال أنبياء، زاعمين أنهم أضعف من ذلك، وأن الملائكة أولى بهذا القرب لله من البشر، قال تعالى (ما أنت إلا بشر مثلنا) [الشعراء: ١٥٤]، وفي موضع آخر (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) [المؤمنون: ٣٣]، وقال (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة) [المؤمنون: ٢٤]، وقال تعالى: (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) [الفرقان: ٧]، وقال (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) [الأنعام: ٨]، وقال سبحانه: (قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) [فصلت: ١٤]، وزعموا أنه لو جاز للبشر أن يبعثوا رسلا من الله لبعث الأشراف من ذوي السلطة والجاه، قال تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم) [الزخرف: ٣١].

ومعنى قولهم (واحدا) أي منفردا لا تبع له ولا سلطان، أي واحدا من آحاد الناس لا من أشرافهم، كأنهم عدوا الجنسية البشرية والوحدة سببين يمتنع بهما الاتباع إشارة إلى أنهم اعتادوا طاعة الملوك وأصحاب المال وقد كان صالح يدعوهم إلى طاعة نفسه ونبذ طاعة كبرائهم قال تعالى (فاتقوا الله

وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) [الشعراء: ١٥١]، ومعنى (نتبعه) نؤمن برسالته وننقاد إليه ونطيعه.

قوله (إنا إذا لفي ضلال وسعر) أي: إنا إذا اتبعناه إذن لفي ضلال وسعر، والضلال إضاعة الصواب، والسعر جمع سعير، وأصله من النار الملتهبة، وأريد به الجنون، قال في المجمع: والسعر الجنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كانت كأن بها جنونا، وسعر فلان جنونا. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (ألقي الذكر عليه من بيننا) الاستفهام للإنكار، والإلقاء مجاز للوحي إليه من الله، استعمل بدلا من الإنزال للإشعار بالعجلة، والذكر يراد به الوحي، والمعنى: أبعث بالوحي والنبوة وهو بشر مثلنا لا فضل له علينا.

والظرف (من بيننا) دال على التمييز، لأنهم ينفون اختصاص صالح بالوحي من دونهم وفيهم من هو أحق بذلك منه، فهو على زعمهم ليس أكثر مالا ولا جاها.

قوله (بل هو كذاب أشر) بل: للإضراب الانتقالي عما تقدم، أي: ليس الأمر كذلك، وضمير الفصل (هو) للقصر، ولفظ الكذاب مبالغة في الكذب، والأشر صفة مبالغة في البطر، أي: هو متكبر يريد أن يتسلط عليهم بهذا الطريق.

قوله تعالى ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾

الكلام من الله تعالى دفاعا عن نبيه صالح، وفيه وعيد ظاهر، والسين في (سيعلمون) دال على الاستقبال، والقيد الظرفي للعلم (غدا) لتقريب المستقبل، نحو قول الإمام علي ﷺ: وستعلم من الرابح غدا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

و(من) اسم استفهام معلق عن العمل، والمعنى: سيعلمون غدا حين ينزل العذاب بهم من الكذاب الأشر أهم أم صالح.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم) الاستئناف لتعليل ما سبق، أي: سيعلمون غدا من الكذاب الأشر، لأنا مرسلو الناقة فتنة لهم.

وإرسال الناقة إشارة إلى إعجاز خلقها من جانب الجبل باقتراح من قوم صالح، والفتنة الامتحان والاختبار، ونصب اللفظ لأنه مفعول لأجل الإرسال، واللام في (لهم) لام الاختصاص.

قوله (فارتقبهم واصطبر) الفاء للتفريع، والارتقاب مبالغة في الانتظار بما سيحل فيهم من عذاب، كما إن الاصطبار مبالغة في الصبر على أذاهم.

قوله تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي: وأخبر قومك يا صالح أن الماء مقسوم بينهم وبين الناقة، والتعبير بلفظ الجمع في الظرف على سبيل تغليب العاقل.

قوله (كل شرب محتضر) جملة تقرير لما قبلها، والشرب مصدر يقال للنصيب من الماء، والمحتضر أي الذي يحضره صاحبه، والمراد: كل نصيب من الماء يحضر عنده صاحبه لا يحضر معه آخر، فيحضر القوم عند شربهم والناقة عند شربها.

قوله تعالى ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (فنادوا صاحبهم) الفاء للتفريع، والكلام كناية عن تدبيرهم قتل الناقة، و(نادوا) بمعنى: دعوا، وصاحبهم هو عاقر الناقة اسمه قدار بن سالف ويسمى أحمر ثمود، لأنه كان أحمر أزرق قصيرا.

قوله (فتعاطى فعقر) الفاء الأولى والثانية للترتيب في الكلام، والتعاطي التناول، والعقر الذبح، وفي المجمع: قيل: إنه كمن لها في أصل صخرة، فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف، فكشف عرقوبها. انتهى.

وفيه: قال الزجاج: والعرب تغلط فتجعله أحمر عاد فتضرب به المثل في الشؤم، قال زهير بن أبي سلمى:

وتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقيل: لم تغلط، وإنما قيل عاد على سبيل الاتساع في الكلام، لأن ثمود من نسب عاد.

قوله تعالى ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٠ ﴾

أي: فانظر كيف كان عذابي لهم، وإنذاري إياهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١ ﴾

قوله (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) الكلام بيان لما سبق، والصيحة الصوت المرتفع، وتنكيره للتهويل، ووصفه بالواحدة لإفادة يسر إهلاكهم على الله، ويراد بالصيحة الصاعقة التي ضربتهم من السماء، نحو قوله تعالى (فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) [الذاريات: ٤٤]، ولفظ الصاعقة بمعنى النار النازلة من السماء، وفي موضع آخر سماها القرآن الرجفة فقال (فأخذتهم الرجفة) [الأعراف: ٧٨]، ولا تنافي بينها، لإمكان تحقق الصفات فيها جميعا.

قوله (فكانوا كهشيم المحتظر) الفاء للتفريع، وتمثيلهم بالهشيم المحتظر أي: اليبس من النبات الذي يجمعه صاحب الحظيرة للماشية في حظيرتها، إشارة إلى تناثرهم وحقارة قيمتهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ ﴾

تقدم القول فيه، ولا مسوغ لإعادته.

قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ ﴾

تقدم الكلام في نظيره.

قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ ﴾

قوله (إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط) أي: إنا أرسلنا عليهم ريحا ترميهم بالحصباء إلا آل لوط، وآل لوط هم خاصته وأهل بيته.

قوله (نجيناهم بسحر) الفصل لتعليل الاستثناء، أي: لأنا نجيناهم بسحر، والباء للملابسة، والسحر آخر الليل، قال الراغب: والسحر والسحرة اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وجعل اسما لذلك الوقت. انتهى. وتنكير اللفظ لإفادة تعيينه.

قوله تعالى ﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ ﴾

قوله (نعمة من عندنا) النصب لأنه مفعول لأجله من (نجيناهم)، والظرف لإفادة العناية والتشريف للوط.

قوله (كذلك نجزي من شكر) أي: كذلك الجزاء الجزيل نجزي الذي شكر ربه، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الجزاء.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ ﴾

قوله (ولقد أنذرهم بطشتنا) أي: وأقسم لقد أنذر لوط قومه بطشة الله، والبطش تناول الشيء بصولة، والبطشة اسم المرة منه، استعملت كناية عن الإهلاك السريع.

قوله (فتماروا بالنذر) الفاء للتفريع، والتماري التشكك والمجادلة، والنذر الإنذارات المخوفة من سوء العاقبة، والمعنى: إنهم شككوا مجادلين بالنذر بدلا من التصديق بها للنجاة.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (ولقد راودوه عن ضيفه) تكرار (لقد) مرة بعد مرة، وهو قسم وتحقيق، لتأكيد الغرض الذي سيقت لأجله القصة وهو موعظة قريش وتخويفهم.

وضميرا الغائب المفرد راجع إلى لوط، وضمير الجمع راجع إلى قومه، والمراودة من ألفاظ القرآن التي أطلقت في التحايل على تحقيق أمر فاحش من الآخر، مأخوذ من كثرة الرود ذهابا ورجوعا تمثيلا لهيأة من ينصرف ثم يرجع، وتعديته بـ (عن) لتضمنه معنى الصرف، والضيف يقال للمفرد والجمع، ويراد بهم الملائكة، والمراد كثرة مراجعة لوط بالتحايل لتسليمه إياهم أضيافه لقصد الفجور.

قوله (فطمسنا أعينهم) الفاء للتفريع، والطمس إذهاب صورة الشيء، وطمس الأعين كناية عن عمى أبصارهم.

قوله (فذوقوا عذابي ونذر) الفاء للتعقيب، والالتفات في الخطاب من نون الجماعة إلى ياء التكلم لإفادة التقريع الشديد.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾

القسم والتحقيق تأكيد بعد تأكيد، و(صبحهم) بمعنى أبكر في استقبال يومهم كناية عن سرعة إهلاكهم ومفاجأتهم بالعذاب، ونصب (بكرة) على الظرفية الزمانية، وتنكير (عذاب) لخصوصيته بهم، ووصفه بالمستقر أي الحال فيهم حلولا لا يقدرون على الخلاص منه.

قوله تعالى ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

مر الكلام في نظير الآيات.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ ﴾

أي: وأقسم لقد جاء آل فرعون الإنذار، والإنذار ما يخوف به، وهي ما بلغهم به موسى من سوء العاقبة.

وخص آل فرعون لإفادة المراد بفرعون وآله.

قوله تعالى ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (كذبوا بآياتنا كلها) الفصل لأنه في مقام الجواب عن سؤال نشأ مما تقدم بتقدير: فماذا فعلوا حين بلغوا.

والتكذيب الإنكار والجحود، وآيات الله معجزاته الكثيرة التي أيد بها موسى، وجمعها وتأكيدها لأنها كثيرة.

قوله (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) الفاء لتفريع الأخذ على التكذيب، وفعل الأخذ بمعنى الإهلاك وهو إغراقهم باليم، والمفعول المطلق في قوله (أخذ عزيز مقتدر) لإفادة كمال قوته تعالى في الأخذ بحيث لا يمتنع عليه شيء فيما يريد ولا يقهره شيء على ما لا يريد.

قوله تعالى ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (أكفاركم خير من أولئكم) الخطاب لقريش مستفيدا من نتيجة ما سبق ذكره من قصص عقاب الأمم السالفة، بمعنى: ليس كفاركم خير ممن سبقوكم في الكفر، فقد أهلكهم الله وكانوا أشد منكم قوة وأكثر مالا وسلطانا.

والاستفهام للإنكار، وضمير الجمع الأول عائد إلى مشركي مكة، والثاني عائد إلى الأمم البائدة، ولفظ الخيرية متعلق بأسباب الدنيا.

قوله (أم لكم براءة في الزبر) الإضراب الانتقالي في (أم) لزيادة تبكيت قريش، والمعنى: بل ألكم براءة مكتوبة من عذاب الله أنزلها لكم في الكتب السماوية.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

أم: بمعنى: بل: إضراب من تبكيت إلى آخر، والالتفات من الخطاب إلى الغائب لإفادة حكاية مفاسدهم إلى غيرهم، والمعنى: أيقولون نحن أولو شوكة وإرادة مجتمعة لا نضام ولا نرام ولا ينتصر علينا أحد.

والإفراد في (منتصر) فلم يقل: منتصرون، باعتبار ظاهر لفظ (جميع)، والانتصار الانتقام والتناصر.

قوله تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾

الكلام رد لإبطال قول المشركين، دال على الوعد بهزيمة كفار قريش ونصر المؤمنين، وقد أنجزه الله في وقعة بدر، وهو من إخباراته تعالى عن غيبه.

ولفظ الجمع والمجموع واحد في المعنى، وتعريفه للعهد، يراد به جمع المشركين، والتولي الإعراض، والدبر عقب الشيء، وتعريفه للجنس، والتركيب كناية عن الفرار.

قوله تعالى ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (بل الساعة موعدهم) الإضراب بمعنى: ليس هذا تمام عقاب المشركين، بل تمامه حين تقوم الساعة ويؤمر بإدخالهم في النار.

قوله (والساعة أدهى وأمر) إظهار لفظ الساعة في موضع إضماره زيادة في تهويلها، واسم التفضيل بمعنى إنها في أقصى غاية الفظاعة والمرارة،

والداهية الأمر الفظيع، قال في المجمع: والدهاء: عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس، وهو من الداهية أي: البلية التي ليس في إزالتها حيلة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ ﴾

قطع الكلام ولم يصل، لأنه تعليل لكون الساعة أدهى وأمر لهم، لأنهم مجرمون، والمجرمون في ضلال وسعر.

وإظهار لفظ المجرمين لإفادة علة الخبر، و(في) للملابسة الظرفية، والضلال الهلاك بذهابهم عن الحق، ولفظ السعر جمع سعير، وهي نار جهنم الملتهبة، والجمع بين اللفظين جمع بين السبب والنتيجة، لأن حصولهم في السعير سببه ضلالهم.

قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (يوم يسحبون في النار على وجوههم) الظرف متعلق بقوله (في ضلال وسعر)، أي: إن هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرهم الملائكة فيه على وجوههم في النار.

قوله (ذوقوا مس سقر) الفصل على تقدير: ويقال لهم ذوقوا مس سقر، والأمر على سبيل إهانتهم، والمس الإصابة، أي: إصابة سقر إياهم بعذابها وحرها، وسقر من أسماء النار، وأصل اللفظ كما قال في المجمع: التلويح، يقال:

سقرته الشمس وصقرته إذا لوحته، وإنما لم ينصرف للتعريف والتأنيث. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾

القطع لأنه تعليل لمعنى الآيتين السابقتين، بمعنى: إن عذاب الله للمجرمين في يوم القيامة، لأنه تعالى خلق الإنسان محدودا، له وقت معلوم وقدر محتوم لا يتعداه، فمن عمل خيرا أثابه، ومن عمل شرا عاقبه.

والخلق الإيجاد والإحداث بتدبير، والنون في فعله نون العظمة، ونصب (كل) بفعل يفسره ما بعده، أي: إنا خلقنا كل شيء خلقناه، وجملة (بقدر) موقعها الحال، أي: متلبسا بقدر، فالباء للملابسة، أي: بمقدار مخصوص ووجه مخصوص بما اقتضت حكمته تعالى، ولفظ القدر بمعنى المقدار المحدود غير المتجاوز حده في الزيادة والنقصان.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

القصر لتحقيق الكلام، والأمر مقابل النهي، ويراد به أمره الكوني في كلمة: كن، ولذلك أنث بلفظ الواحدة، أي: كلمة واحدة، والصفة لإفادة يسر ذلك عليه تعالى بحيث لا يثني كلمته، والتشبيه بلمح البصر لتقريب سرعة الحدوث إلى الذهن، لا لإفادة تقييده بزمان لمح البصر، ولمح البصر اللحظ السريع والنظرة العجلى.

واتصال مضمون الكلام بما سبقه من إيعاد الكفار بعذاب يوم القيامة لبيان كمال قدرته تعالى على إحداث الساعة، تتميما لخلقه كل شيء بقدر.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (ولقد أهلكنا أشياعكم) أي: وأقسم لقد أهلكنا أمثالكم من الأمم السابقة، والإخبار يراد به تحقيق العذاب الدنيوي في الأمم الكافرة، وأنه ليس مجرد خبر ألقي إلى المشركين، بل العذاب الدنيوي أنجز وحقق فيهم، وأنه سيحيق بمشركي مكة.

ولفظ الأشياع جمع شيعة، والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، واستعير على سبيل علاقة مشابهة مشركي مكة للأمم السابقة في الكفر وتكذيب الأنبياء.

قوله (فهل من مدكر) الفاء للتفريع، والاستفهام للتحضيض على الادكار والاتعاظ.

قوله تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾

إيعاد للأمم السابقة بالعذاب الأخروي بعد تحقيق العذاب الدنيوي، وفيه تهديد لقريش، بأن كل شيء من أفعالهم مسجل مكتوب في صحف الأعمال التي ستنشر لهم يوم القيامة ويحاسبون عليها.

قوله تعالى ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

أي: وكل عمل صغير وكبير مستطر، أي: مكتوب مسطور في كتاب الأعمال، لا يقدر على إنكاره.

قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

الاستئناف لإفادة المقارنة بين المعذبين والمتقين يوم القيامة للترهيب باجتناب طريقة الكافرين، وللترغيب باتباع سنة المؤمنين.

و(في) للتلبس الظرفي، وتنكير (جنات) لإفادة عظم شأنها، وأنها لا توصف بصفة، وإفراد لفظ النهر على سبيل الاكتفاء باسم الجنس، أي: أنهار، لمراعاة الفواصل.

قوله تعالى﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

الظرف متعلق بـ (جنات)، والمقعد اسم مكان القعود والجلوس، وإضافته من إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة، أي: المكان المرضي الحقيقي، فكل شيء فيه صدق ثابت لا يتغير من النعيم والسرور والخلود.

والظرف (عند) للتشريف، والقرب، ولفظ المليك مبالغة في ملكه تعالى وسلطانه الذي لا ملك حقيقيا سواه، ولفظ المقتدر مبالغة في المقدرة على كل شيء، وكلا الاسمين من أسمائه العلى سبحانه.

سورة الرحمن

وهي ثمان وسبعون آية

غرض السورة التذكير بآلاء الرحمن، فتخاطب الثقلين مخاطبة وعد ووعيد، فعرضت آلاءه تعالى في دار النشأة، فذكّرت وأنذرت على إنكارها، كما عرضت آلاءه تعالى في دار الآخرة، فرغّبت وبشّرت، والسورة افتتحت بذكر الرحمن واختتمت بالثناء عليه، وتكرر في السورة استفهام عتاب وتوبيخ إحدى وثلاثين مرة بعد ذكر كل نعمة، دالة على أن الوجود كله في الأولى والآخرة وبتفاصيله كلها من آلائه تعالى قائم بفضله، ولا سبيل إلى إنكاره.

وتردد المفسرون في نزول السورة، فقيل هي مكية أو مدنية، وإن كان سياقها يقربها إلى كونها مكية، وهي السورة الوحيدة التي افتتحت بعد البسملة باسم من أسمائه العلى سبحانه، ووصفها الرسول الأعظم ﷺ بأنها عروس القرآن.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾

افتتحت السورة بذكر لفظ الرحمن إيذانا بما ستعد من فنون النعم التي امتن بها الله تعالى على الإنسان، والرحمن مبالغة في كثرة الرحمة، التي يتلبس بها المؤمن والكافر في الدنيا، ويختص بها المؤمن في الآخرة.

وفعل التعليم معناه التفهيم، وتضعيفه للتكثير، ومفعوله الأول محذوف تقديره: علم الإنسان القرآن، وذكر القرآن أولا لأنه أعظم النعم لأن بشرعته يصل الإنسان إلى السعادة في الدارين، فيما لو عمل بها.

قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾

أي: أوجده بعد أن لم يكن موجودا، والإنسان من أعجب مخلوقاته تعالى، فقد زوده من دون ما خلق بما يؤهله لأن يكون من أعلاها، وهو العقل، إن أحسن إعماله فيصل به إلى الإيمان بالحق فيكتمل به.

قوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾

أي علم الإنسان الكلام، فالمراد بلفظ البيان الكشف والإبانة عما في داخله من معان، وذلك بأن ألهمه بالاجتماع بغيره من الإنسان إلى إحضار المعاني وإلباسها أصوات الألفاظ التي بها يعبر عنها، وتعليم الله الإنسان البيان من أعجب النعم بالقياس إلى غيره من المخلوقات، فالكلام مظهر الفكر، ومثاله، وهو لا يكون من مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا.

وإيراد الجمل الثلاث مفصولة في الآيات السابقة من دون عاطف لأنها جاءت في مقام التعديد.

قوله تعالى ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ ﴾

تقدير الكلام: الشمس والقمر يجريان بحساب منه تعالى على وفق ما قدر لهما، لأن في ذلك التقدير والانتظام انتظام أمور الكائنات الأرضية في اختلاف الفصول ومعرفة الأيام والأوقات وحساب السنين.

قوله تعالى ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾

النجم يقال للنبات أول طلوعه، أو هو ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق، وسجودهما يراد به انقيادهما لله في النشوء والنمو على حسب ما قدر لهما انقياد الساجدين من المكلفين اختيارا وطوعا.

وحذف صلة الرابط اللفظي بين الآيتين تعويلا على قوة الارتباط المعنوي بينهما، إذ لا يتوهم متوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى، ولا كون سجود النجم والشجر لسواه تعالى.

وفصل الجملة الأولى أعني قوله (الشمس والقمر بحسبان) باعتبار تعداد النعم، أما الوصل بين الآيتين الأخريين فباعتبار تناسبهما من حيث التقابل في الانقياد لله، لما أن الشمس والقمر علويان، والنجم والشجر سفليان. ذكره أبو السعود. اه.

قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾

قوله (والسماء رفعها) أي: خلق أجرامها عالية على الأرض، فالسماء يقال لما علا الأرض، والرفع العلو، وإذا أريد به المعنى المجازي فالمراد بها محل أحكامه تعالى ومسكن ملائكته.

قوله (ووضع الميزان) فعل الوضع دال على الإظهار، كقوله تعالى (ووضع الكتاب) [الكهف: ٤٩]، والميزان آلة التسوية، ويراد به مطلق ما يميز به العدل من الظلم والحق من الباطل والصدق من الكذب.

قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ ﴾

يجوز في تفسير الجملة بجعلها علة لوضع الميزان بمعنى: لئلا تطغوا في الميزان، أو بمعنى التفسير لها، أي: ألاّ تطغوا في تجاوز الإنصاف.

قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (وأقيموا الوزن بالقسط) أي: وقوموا وزنكم بالعدل، وقيل بمعنى: وأقيموا لسان الميزان بالعدل.

قوله (ولا تخسروا الميزان) نهي بعد أمر بمعنى: ولا تنقصوا الوزن بأن تطففوا فيه، وإعادة لفظ الميزان للتأكيد، ونصبه على نزع الخافض، وأصله: ولا تخسروا في الميزان.

قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾

تقديم الأرض للاهتمام، وفعل الوضع بمعنى: جعلها، وفي ظاهر اللفظ تمويه بالطباق مع (رفعها)، اللام في (للأنام) للعلة، أي: لأجل منافع الناس.

قوله تعالى ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ ﴾

قوله (فيها فاكهة) جملة تقرير لما قبلها، أي: في الأرض أنواع من الفاكهة.

قوله (والنخل ذات الأكمام) أي: وفيها النخل الموصوفة بذات الأكمام، أي ذات الأوعية للثمر، ولفظ الأكمام جمع كم وهو كل ما يغطي ويكم، والتركيب كناية عن الطلع.

قوله تعالى ﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ ﴾

قوله (والحب) أي: وفي الأرض الحب، وهو ثمر الزروع، ما يتغذى به كالحنطة والشعير.

قوله (ذو العصف والريحان) صفة للحب، أي: قشور الحب وهو ورقه الذي يعصف به أو مطلق ورق الزرع اليابس، وأما الريحان فهو نبات طيب الرائحة.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾

الفاء للتفريع على تعداد فنون الآلاء السابقة، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، ومعنى الآلاء النعم، ومفردها إلى أو ألي، وذكر (ربكما) لإفادة تشنيع التكذيب

عليهم، و(تكذبان) بمعنى تكفران، لأن نكران آلاء الرحمن بادعاء نسبتها إلى غيره تعالى أو بنفي شكرها مظهر للكفر بها.

وخطاب التثنية للجن والإنس، وهو الأوفق، بدليل قوله بعدها: (سنفرغ لكم أيها الثقلان)، والمعنى: إذا كان الأمر ما عدد الرحمن من أنواع النعم فبأي فرد من أفراد نعم ربكما ومالككما تكذبان، مع أن كلا منها ناطق بالحق، شاهد بالصدق.

وقد تكررت الآية إحدى وثلاثين مرة في السورة، بسبب تعداد النعم، والتقرير عليها، وتأكيد التذكير بها، قال الشيخ الطبرسي: فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها قرر عليها، ووبخ على التكذيب بها، كما يقول الرجل لغيره: أما أحسنت إليك حين أطلقت لك مالا؟ أما أحسنت إليك حين ملكتك عقارا؟ أما أحسنت إليك حين بنيت لك دارا؟ فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به. انتهى.

وعن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمان على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئا، فقال رسول الله ﷺ: الجن كانوا أحسن جوابا منكم لما قرأت عليهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا: لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب. ذكر في الكافي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ ﴾

أي: خلق نوع الإنسان، و(من) ابتدائية، والصلصال كما ذكر في المجمع: الطين اليابس، الذي يسمع منه صلصلة، والفخار الطين الذي سلطت عليه

النار، ومن هنا وجه التشبيه به، لأن الله خلق الإنسان من تراب ثم بله بالماء فأصبح طينا ثم من حمأ مسنون ثم صار صلصالا يابسا.

وفي نهج البلاغة: جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ ﴾

تعريف لفظ الجان للنوع، والأصل، و(من) الأولى ابتدائية، و(من) الثانية بيانية، ولفظ المارج أي لهب النار المختلط بسواد، أو اللهب الخالص من النار.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ ﴾

الفاء للتفريع على خلقة الإنسان والجان، لأنه إحداث غير مسبوق بمثيل وإفاضة وجود على عدم، وهما لا ريب من أعظم النعم التي ينبغي شكر المنعم عليها لا جحودها ونكرانها.

قوله تعالى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ ﴾

الرفع على تقدير: هذا الذي خلق رب المشرقين ورب المغربين، ولفظ الرب بمعنى المالك المدبر، ولفظ المشرق مصدر ميمي كالشروق ويراد به

الظهور، والتثنية بمعنى: مشرقي الصيف والشتاء، ومغربيهما، وهو تفسير أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، لإفادة ذكر الفصول الأربعة وما يتحصل بهما من أسباب الرزق والمنافع، وقيل: يراد بالمشرقين الشمس والقمر وبالمغربين مغرباهما.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ ﴾

التفريع بعد كل نعمة تذكر يبعد كون الجملة مجرد تكرير، إذ يفتح الذهن على جملة من المعاني المفرعة، وفي الآية إشارة إلى المنافع المتحصلة للناس من اختلاف الفصول، كأنواع الثمار، ومعرفة الأوقات والسنين، ومما لا يحصى من المنافع.

قوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾

فعل المرج معناه الخلط والإرسال، وفاعله عائد إلى الله، وتعريف البحرين للجنس، يراد بهما عموم البحر المالح وعموم البحر العذب، وجملة (يلتقيان) موقعها الحال، والمعنى: أنه تعالى لأجل الحفاظ على نظام الحياة ومنع اختلالها حفظ لكل بحر خصائصه النوعية حين يلتقي الماءان، فلا تؤثر ملوحة هذا بعذوبة ذاك ولا عذوبة ذاك بملوحة هذا، ومن مظاهر المياه العذبة الأنهار والعيون والبحيرات، وأشكال المياه المالحة البحار والمحيطات، ودورة المياه غير منقطعة بالاتصال ببعض على طول الكرة الأرضية.

والبرزخ الحاجز المانع، استعارة لما جعل الله في ماء كل بحر من خواص نوعية تمنع الامتزاج ببعض، وهو ما عبر عنه بأنهما لا يبغيان، أي: لا

يتجاوزان حديهما بأن يمتزج هذا بهذا، لأن في امتزاج الملوحة بالعذوبة إبطالا لنظام الحياة كما تقدم.

والآية نظير قوله تعالى (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) [فاطر: ١٢].

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾

تفريع التذكير على ما سبق والتوبيخ على الجحود بها.

قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾

أي: يخرج من البحرين، والإسناد على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، واللؤلؤ الدر، والمرجان خرز أحمر، وهما يخرجان من ملتقى البحر العذب والمالح، لذا جعلا واحدا في الكلام.

قوله تعالى ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ ﴾

اللام في (له) للملك والاختصاص، والهاء عائدة إلى الله، والتقديم يفيد قصر الملك فيه وحده، لأنه تعالى من ألهم الإنسان صناعة السفن، وإلى صنعه سبحانه ترجع مادتها من الخشب والحديد.

والجواري جمع جارية، حذفت الياء منها للتخفيف، وهي من الجري أي: المشي السريع، ويراد بها السفن، أقيمت الصفة مكان الموصوف، ولفظ المنشآت صفة ثانية للسفن، أي: المحدثة المقامة، وشبه الجملة (في البحر) موقعها الحال، أي: حال كونها في البحر، لأن جريها بسلاسة على ظهر الماء دال على ما جعل الله في خواصه من صفات مانعة من الاحتكاك الشديد، وقادرة على حمل الأشياء الثقيلة، بكفية معينة، ولفظ الأعلام جمع علم وهو الجبل، وتشبيه السفن بها لأن أشكالها ضخمة شاخصة للرائين.

قوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

أي: كل من على الأرض هالك، إخبار عام يشمل كل حي عاقل ذي شعور، وإنما خص العقلاء لأن مقام الآيات وتعداد الآلاء لأجلهم، وحرف الاستعلاء (على) للظرفية المجازية من التمكن والاستعلاء، فهي استعارة تشبيها للأرض بالدابة التي يحمل عليها.

والإفناء يراد به الإهلاك بانعدام الحياة، والتصرف بالجسد، وليس معناه العدم المطلق، وإنما هو الانتقال إلى عالم آخر هو البرزخ لا يشبه بخواصه عالم التكليف.

قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (ويبقى وجه ربك) جملة مقابلة للفناء، دالة على كمال القدرة والألوهية، ولفظ الوجه ما يستقبل به الشيء، ونسبته إلى الله مجاز من بقاء ذاته بما

يعرف من صفاته تعالى، والخطاب في (ربك) إشعار بالربوبية والرحمة لمن أفناهم الله، مؤذن بآثار لطفه وكرمه ولاسيما بإضمام الصفتين معه أعني قوله (ذو الجلال والإكرام).

قوله (ذو الجلال والإكرام) أي: ذو الصفات الرفيعة العالية وصفات الإحسان والرحمة والفضل، وفي ذكر الصفتين لطف من الله بعباده، ولذا أثر عن النبي ﷺ قوله: ألظوا بياذا الجلال والإكرام، والإلظاظ المثابرة على الشيء ولزومه.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾

تفريع النعم على الإفناء دال على الغرض من الخلق في دار النشأة، وهو إحياؤهم إحياء أبديا وإنعام عليهم بإثابتهم في الجنة.

قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (يسئله من في السماوات والأرض) فعل مضارع السؤال بمعنى دوام الطلب والدعاء منه تعالى، وذكر السماوات والأرض لاستقصاء ذكر العقلاء القاطنين في سماوات الله العلى وفي أرضه، فإنهم كلهم في سؤال دائم له تعالى بلسان الحال أو المقال، أبدا محتاجون إليه أبدا، لا يستقلون بذاتهم عن فيوضات عنايته، لأن وجودهم متعلق بفضله، وأي انقطاع لعنايته سبحانه انعدام لأصل حدوثهم.

قوله (كل يوم هو في شأن) الظرف (كل يوم) دال على الاستمرار والإحاطة بالقدرة على الفعل، وليس معناه القيد الزماني، فالله لا يحيط به زمان ولا مكان، وهو في كل زمان وليس في زمان، وفي كل مكان وليس في مكان، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج. نقل في نهج البلاغة. انتهى.

والظرف الثاني (في شأن) من التلبس المجازي، والشأن الأمر، وتنكيره دال على التفرق، والمعنى: أنه تعالى في عطاء مستمر، ومن جملتها إعطاء ما سألوا، فيرفع ويضع ويعطي ويمنع ويميت ويحيي، هكذا كل شأن من شؤونه تعالى لا يشبه الآخر من جميع جهاته.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾

أي: فبعدما رأيتم من إحسانه تعالى لكم بأي نعمه تجحدون.

قوله تعالى ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله (سنفرغ لكم) بعد أن ذكرت الآيات السابقة الثقلين في دار النشأة ثم عدت آلاءه عليهم، ووبختهم على نكرانها، ذكرت في القسم الثاني من السورة دار النشأة الآخرة وعددت آلاءه تعالى عليهم.

والسين في (سنفرغ) دال على الاستقبال، والفراغ دالة على الاهتمام بترك ما يشغل، ويراد به القصد، وفيه معنى الوعد والوعيد، واللفظ استعارة للبعث

والجزاء على الأعمال، واللام في (لكم) بمعنى لأجلكم، وخطاب الجمع مع أن المخاطبين اثنان لإفادة أنهم جمع أفراد.

قوله (أيه الثقلان) والثقلان أصله من الثقل وهو كل ما له وزن، ويراد بهما الجن والإنس، قال في المجمع عن سبب التسمية: وإنما سميت الإنس والجن ثقلين لعظم خطرهما، وجلالة شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيوانات، ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز، ومنه قول النبي ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ ﴾

قوله (يا معشر الجن والإنس) النداء باسم جنس الجن والإنس للإشعار بأهمية ما سيخبرون به، ولفظ المعشر مصدر ميمي بمعنى الجمع الذي يتكثر به الرجل.

ويبدو أن الخطاب من خطابات يوم القيامة، فقد روي عن الصادق عليه السلام قوله: إذا كان يوم القيامة، جمع الله العباد في صعيد واحد، وذلك أنه يوحي إلى السماء الدنيا أن اهبطي بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس والملائكة، ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين، فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات، فيصير الجن والإنس في سبع سرادقات من الملائكة، ثم ينادي مناد: (يا معشر الجن والإنس إن

استطعتم) الآية، فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة. ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا) فعل الشرط وجوابه للتعجيز، وبيان كمال القدرة الإلهية، والنفوذ الهرب، والأقطار الأنحاء، والكلام نظير قوله تعالى (أينما تكونوا يرككم الموت) [النساء: ٧٨]، والمعنى: أنكم أيها الجن والإنس لا تقدرون على الخروج من سلطاني وقضائي، وذلك من أدلة توحيده سبحانه.

قوله (لا تنفذون إلا بسلطان) جملة تعليل للتعجيز المفهوم من الأمر في (فانفذوا)، أي: لا تخرجون من حكمي إلا بنوع من السلطة والقهر، ولا يكون ذلك إلا مني.

وشبه الجملة (بسلطان) موقعها الحال، والباء للملابسة الظرفية، ولفظ السلطان بمعنى القوة والقهر، وتفسيره بالحجة بعيد عن سياق الكلام، وتنكير اللفظ يراد به النوع.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ ﴾

أي: فبأي نعمة من أنعامه عليكما تنكران، أبمساهلته وعفوه مع القدرة أم بتحذيره لكم يوم القيامة لتستعدوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية.

قوله تعالى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ ﴾

قوله (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) فعل الإرسال بدلالة تعديته بـ (عليكم) دال على التسليط والتمكين، والخطاب للكفرة من الجن والإنس، والشواظ اللهب الخالص من النار، الذي لا دخان فيه، وشبه الجملة (من نار) بيانية محلها الصفة، والنحاس الصفر المذاب، وتنكير الألفاظ للنوع.

قوله (فلا تنتصران) الفاء للتفريع، أي: فلا ينتصر بعضكم لبعض، بأن تدفعوا العذاب أو تتخلصوا من آلامه.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦ ﴾

سمى ما تقدم من الآلاء، لأن زجر للكافرين وتخويفهم بأنواع الجزاء قبل إيقاع العقوبة لطف منه تعالى.

قوله تعالى ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ٣٧ ﴾

الفاء لتفريع خبر على خبر، وانشقاق السماء كناية عن تصدعها بتفرق أجزاء أجرامها وكواكبها، باختلال نظامها الجاري يوم القيامة، والفاء الثانية تفريع على تفريع، ومعنى التشبيه: أي: كانت السماء كالأديم الأحمر، فلفظ الورد صفة لاحمرار السماء أمارة ليوم القيامة، والتنكير للنوعية، ولفظ الدهان ما يجري فيه الزيت.

وجواب (إذا) الشرطية محذوف للتهويل، وأنه لا يحيط بتصور ذلك اليوم حال أو مقال.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ﴾

تفريع وجه النعمة لما في الإخبار من تخويف وزجر قبل رفع التكليف والرحيل من دار الدنيا.

قوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴾

الظرف (يومئذ) متعلق بقوله (انشقت)، وهو يوم القيامة، والإخبار عنه بالصفة في جملة النفي للتهويل، والهاء فيه لإفادة فرد من الإنس والجن، وتقديم الإنس لأهميته ورتبته.

وقيل في سبب نفي السؤال، لأنهم يعرفون بسيماهم أول ما يخرجون من قبورهم، ولا تنافي بينه وبين الأمر بسؤالهم في قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون) [الصافات: ٢٤]، وقوله (فوربك لنسألنهم أجمعين) [الحجر: ٩٢]، لأن ذلك في موقف الحساب والمناقشة، فللقيامة مواقف وشوؤن.

قوله تعالى ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (يعرف المجرمون بسيماهم) القطع لتعليل نفي السؤال، والمعرفة التمييز، وإظهار لفظ المجرمين لبيان علة الخبر، وجملة (بسيماهم) محلها

الحال، أي: حال تلبسهم بعلامة سواد الوجه وزرقة العيون، أو علامة الكآبة والحزن التي تعلو وجوههم، قال تعالى (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) [طه: ١٠٢]، وقال عز وجل (ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة) [عبس: ٤٠-٤١].

قوله (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) الفاء للتفريع، وفعل الأخذ هنا بمعنى الجر والسحب، والباء في (بالنواصي) للملابسة، والناصية مقدم الرأس، وشبه الجملة محلها نائب الفاعل للفعل (يؤخذ).

والمعنى: أن الملائكة يوم الحشر تسحبهم تارة من رؤوسهم إذلالا لهم، وتارة ثانية تجرهم من أقدامهم، وقيل: إن الزبانية تأخذهم فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغل، وتسحبهم على هذه الهيأة في النار.

قوله تعالى ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٤٣ ﴾

الاستئناف على تقدير مقول القول حين يشاهدون جهنم يوم القيامة، أي: يقال لهم يومئذ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، واسم الإشارة دال على إشرافهم وقربهم من جهنم، والإخبار مع جملة الموصول لزيادة تقريعهم.

قوله تعالى ﴿ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ٤٤ ﴾

أي: يدور المجرمون في العذاب بين نار جهنم وبين حميم بلغ منتهاه من الحرارة، وطوافهم لأنهم يطلبون ما يبتردون به حرارة النار، فيجدون حميمها الآني أي الماء الحار في غاية غليانه، وهكذا يدورون في العذاب بينهما.

والهاء في (بينها) راجعة إلى جهنم، والآني اسم فاعل من أنى يأني أي: وصل منتهاه وغايته.

قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾

ووجه النعمة كما تقدم، أن الزواجر من شأنها اجتناب ما وصفت الآية من عذاب يوم القيامة، وترغيب بفعل ما يستحق به من الثواب.

قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾

انتقال بالكلام من الوعيد والترهيب إلى الوعد والترغيب، والتقديم للعناية بالمتقدم، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الحكم، والخوف أريد به الخضوع لله بمعرفة والإخلاص لعبادته بعلم، كخوف الملائكة في قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) [النحل: ٥٠].

و(مقام ربه) مجاز من عظمته سبحانه، أو بمعنى المقام والحضور بين يديه تعالى، ولفظ المقام مصدر ميمي بمعنى القيام، وإضافة الرب إلى هاء الضمير في (من) لبيان حجة الخوف، فهو تعالى مدبر العبد المستحق لهذا الخوف

الدائم، قال الصادق (عليه السلام): من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول من خير وشر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. ذكر في الكافي. انتهى.

وفي نهج البلاغة قوله (عليه السلام) في صفة المتقين: عظم الخالق في أنفسهم، وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها يعذبون. انتهى.

وقيل في معنى (جنتان) يجوز أن يراد بالتثنية الجمع، واعتبار إيثارها لمراعاة الفواصل، ويمكن تأويلها على ما قيل: جنة لمنزله وأحبابه وأخرى لأزواجه وخدمه، وقيل: بستانان بستان داخل القصر وآخر خارجه كما يشتهي في الدنيا، وقيل غير ذلك مما هو مؤول على النص.

قوله تعالى ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٩ ﴾

صفة لـ (جنتان)، والأفنان جمع فن بمعنى النوع، أي: ذواتا أنواع من الأشجار والثمار، أو من جمع فنن وهو الغصن، أي الأغصان الممتدة ذوات الثمر والظل.

قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ٥٠ ﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ ﴾

الجملة صفة أخرى لـ (جنتان)، والمعنى: أي: في الجنتين عينان موصوفتان باستمرار الجريان، وأبهمت الآية ماهية العينين تفخيما لشأنها، وما قيل في

تفسيرها لا دليل عليه في النص، كالقول: إن إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين.

قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾

أي: في الجنتين من كل فاكهة نوعان، يكمل بعضها بعضا، قالوا: نوع معروف، وآخر غريب، لم يعرفوه في الدنيا، ولا دليل عليه من النص.

قوله تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) نصب (متكئين) على الحال من ضمير الجمع المعنوي في اسم الموصول في قوله (لمن خاف مقام ربه)، والاتكاء هيأة جلوس بين الاضطجاع والقعود، و(على) حرف استعلاء وتمكن، والمعنى: أي: يجلسون كالملوك على سررهم مستندين على فرش ناعمة من حرير، في دلالة على ترفهم ونعومة عيشهم في الجنة، ولفظ الفرش جمع فراش وهو ما يتخذ للجلوس والنوم، وجملة (بطائنها من استبرق) محلها الصفة لـ (فرش)، والبطائن جمع بطانة، وهو جوف الشيء وداخله، و(من) بيانية، والاستبرق الديباج والحرير، وخصت الآية ذكر بطائن الفرش للعناية بالالتفات إلى ترف ظهائرها، فهو دال على أن الظهارة أشد نعومة من البطانة.

قوله (وجنى الجنتين دان) أي: وثمر الأشجار المجتنى في الجنتين قريب منهم لا يتكلفون قطفه، لأنه في متناول أيديهم، يدنو من أياديهم وأفواههم وهم مضطجعون على فرشهم كلما اشتهوه.

وبين لفظ الجنى والجنتين جناس بديعي ناقص، والداني اسم فاعل يعني القريب، وتكرار حرف النون في الكلمات نوع تنغيم كلامي لافت للإسماع.

قوله تعالى ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ ﴾

قوله (فيهن قاصرات الطرف) الجملة موقعها صفة أخرى لـ (فرش)، وتقديم (فيهن) للاهتمام، والضمير راجع إلى (فرش)، ويمكن أن يكون عائدا إلى الجنات المفهوم من السياق باعتبار جمع المؤمنين الخائفين، و(قاصرات الطرف) كناية عن النساء اللاتي يحبسن نظرهن على أزواجهن فلا يرين غيره اكتفاء وعفة.

ولفظ القصر بمعنى الحبس، والطرف حرف كل شيء، ويراد به جفن العين، وإضافة (قاصرات) إلى (الطرف) من باب إضافة العامل إلى معموله.

قوله (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) جملة النفي محلها الصفة لـ (قاصرات الطرف)، أي: ما زلن أبكارا لم يفتضضن من إنس قبلهم ولا جان.

والطمث أصله الدم، قال في المجمع: طمثت المرأة إذا حاضت، وطمثت إذا دميت بالافتضاض. انتهى. وذكر الجان على سبيل التتميم والاحتراس، لأن السورة تخاطب الثقلين الجن والإنس.

قوله تعالى﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾

الجملة صفة أخرى لنساء الجنة، فقد وصفن بقصور الطرف وبأنهن أبكار، والآن وصفن بجمال هيأتهن، فهن كالياقوت في احمرار الوجنات، وكالمرجان في صفاء اللون وتلألئه.

قوله تعالى ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾

حرف الاستفهام بمعنى النفي، أي: ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان، والجملة تعليل لما سبق من خبر جزاء المؤمنين في الجنتين، ولفظ الإحسان معناه عمل الخير للغير، وسمى الله وجوب طاعة المؤمنين في الدنيا له إحسانا لعظيم تلطفه وجميل إحسانه، فإحسان الله فضله تعالى على العباد المؤمنين بمكافاتهم بالجنة يوم القيامة، من غير إيجاب عليه سوى وعده سبحانه بذلك أوجبه على نفسه، وأما إحسان المؤمنين فهو مجاز من وجوب طاعتهم له سبحانه في دار التكليف.

وفي المجمع، مرفوعا عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: هل تدرون ما يقول ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن ربكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ ﴾

أي: ومن أسفل تلك الجنتين السابقتين في الوصف جنتان، وهاتان الجنتان أحط منزلة من الأوليين، وهما أقرب لأن تكونا لأصحاب اليمين الذين عبدوا الله خوفا ورجاء، كما أن الجنتين السابقتين للذين خافوا مقام ربهم، ولهذا ستكون الصفات في المقابلة في تفاصيل ما ذكر من العيون والنساء والأكل مشعرة بعلو الأوليين من الأخريين وإن قربتا في صفة النعيم.

وقيل في معنى (من دونهما) أي: قريب من تلكم الجنتين، جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه يتنقل بينهما مضاعفة لسروره.

قوله تعالى ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ ﴾

المدهام اسم مفعول من الفعل: ادهام، ومصدره ادهيمام، والدهمة كما قال الراغب: سواد الليل، ويعبر بها عن سواد الفرس، وقد يعبر بها عن الخضرة الكاملة اللون كما يعبر عن الدهمة بالخضرة إذا لم تكن كاملة اللون، وذلك لتقاربهما باللون. انتهى.

صفة لـ (جنتان)، دالة على كثافة الشجر المنبسط على الأرض كالنبات والرياحين، بحيث يبدو لشدة خضرته أسود، بينما الجنتان الأوليان وصفتا بأنهما (ذواتا أفنان) من الأشجار والفواكه.

قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ ﴾

الجملة صفة أخرى للجنتين، و(عينان) مجاز للماء النابع من الأرض، و(نضاختان) صفة لهما، أي: فوارتان، والنضح رش الماء، وأكثر منه النضخ، والأكثر منهما الجريان في الجنتين الأوليين (عينان تجريان).

قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾

أي: في الجنتين أشجار من فاكهة ونخل ورمان، ولفظ الفاكهة لمطلق الثمر، وعطف النخل والرمان عليها من عطف الخاص على العام، لبيان فضلهما، والنخل يطلق على المفرد والجمع، وتنكير (رمان) يراد به الجنس.

قوله تعالى ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ ﴾

الجمل صفة بعد صفة لـ (جنتان)، والضمير في (فيهن) عائد إلى الجنات الأربع، أو إلى الجنتين باعتبار تنزيل التثنية منزلة الجمع.

و(خيرات حسان) صفتان لموصوف محذوف تقديره: نساء خيرات حسان، والخيرات مخفف الياء من خيّرات، مفرده خيّر، لأن أخير لا يجمع، ولفظ

الحسان جمع حسناء، والصفتان جمعتا بين المظهر والمخبر، أي: فاضلات في أخلاقهن جميلات في وجوههن.

قوله تعالى ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾

أي: نساء موصوفات بشدة البياض، وبأنهن مخدرات غير مبتذلات، والحور جمع حوراء، والمفرد المذكر منه أحور، ولفظ المقصورات أي: المحبوسات، والخيام الأخبية والفساطيط، والتركيب نظير الكناية (قاصرات الطرف).

قوله تعالى ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾

تقدم الكلام في نظير الآيتين.

قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ ﴾

النصب على الحال، والرفرف على ما قيل ثياب خضر تتخذ منها المجالس، وقيل هي الوسائد، والعبقري الحسان الثياب الموشاة، وقيل غير ذلك، وتنكير الألفاظ للتفخيم.

قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

قوله (تبارك اسم ربك) صيغة ثناء من الله على نفسه لما ذكر من عظمة نعمه وآلائه في دار الدنيا والآخرة، والبركة كثرة الخيرات، واسم الله المتبارك به هو ما افتتحت به السورة وهو الرحمن، الذي أنكره المشركون فقالوا (وما الرحمن) [الفرقان: ٦٠]، والخطاب في (ربك) لكل مخاطب.

قوله (ذي الجلال والإكرام) أي: ذي صفات الإجلال والعلو والإحسان، وخص الصفتين بالذكر لما لهما من أثر في نزول البركات، قال السيد في الميزان: فتوصيف الرب - الذي أثني على سعة رحمته - بذي الجلال والإكرام للإشارة إلى أن لأسمائه الحسنى وصفاته العليا دخلا في نزول البركات والخيرات من عنده، وأن نعمه وآلاءه عليها طابع أسمائه الحسنى وصفاته العليا تبارك وتعالى. انتهى.

سورة الواقعة

مكية، وهي ست وتسعون آية

غرض السورة التذكير بيوم القيامة، فتصف أهوالها وأحوال الناس فيها، فتقسمهم إلى ثلاثة أزواج، ثم تشرع في تفصيل أحوال كل زوج منها السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، مختتمة بذكر الاتعاظ بالاحتضار والوفاة وتجعله مصداقا لما ذكر من الأزواج الثلاثة.

وفي فضل السورة روي في التمهيد: أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود في مرضه الذي قبض فيه، فقال له عثمان: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعو لك الطبيب، قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا نأمر لك بعطائك، قال: حبسته عني في حياتي، فلا حاجة لي به عند موتي، قال له عثمان: لكن يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفاقة، إني لأرجو ألاّ تصيبهم فاقة أبدا، إني قد أمرت بناتي بقراءة الواقعة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا. انتهى.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ ﴾

إذا: حرف شرط لما يستقبل من الزمان، وفعل الوقوع بمعنى السقوط، واتسع في استعماله لكل حادث يحدث فيقال له وقع، والحادثة الواقعة، وهي صفة ليوم القيامة حلت محله للمبالغة، كأنها مستغنية بذاتها عن ذكر الموصوف.

ولم يذكر جواب الشرط تفخيما له واكتفاء بما يفهم من سياق الآيات في تصوره، كأن يقدر: فاز المؤمنون وخسر الكافرون.

قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ ﴾

جملة النفي محلها الحال المؤكدة لحدوث الواقعة، وإنما التأكيد لنكرانها من المشركين، ولفظ الكاذبة مصدر كالعافية، أي: ليس لوقت وقعتها كذب، وقيل بمعنى الصفة لموصوف: أي: ليس لوقعتها أجل كاذب، وبين لفظي الواقعة والوقعة محسن بديعي هو الجناس الاشتقاقي.

قوله تعالى ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾

أي: الواقعة إذا وقعت خافضة رافعة، وإسناد الخفض والرفع إليها مجاز عقلي للمبالغة، ففي يوم القيامة، يوم تحقيق العدل وانكشاف الحقائق، يجزى فيه كل فرد بحسب أعماله، فيضع الله فيه قوما أشقياء إلى دركات، ويرفع آخرين سعداء إلى درجات، أو على ما قيل: كناية عن اختلال نظام الكون وانتثار الكواكب وإسقاطها، واندكاك الجبال وتسييرها في الجو كالسحاب، وتقديم الخفض لمناسبته لمقام الإنذار والتهويل، وبين لفظي الخفض والرفع محسن بديعي هو الطباق.

قوله تعالى ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ ﴾

الشرط الظرفي متعلق بـ (خافضة رافعة)، ويمكن أن تكون بدلا منها، أو بيانا لها، ورج الأرض هزها بشكل عنيف، إشارة إلى ما يصيب طبقاتها من زلازل شديدة، ونصب (رجا) على أساس المفعولية المطلقة التي تشعر بنوع رجة عنيفة.

قوله تعالى ﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ ﴾

أي: وفتت الجبال فتا دقيقا، فالبس الفت، ومنه كما قال في التبيان: البسيس وهو السويق أو الدقيق يلت ويتخذ زادا. انتهى. والكلام نظير قوله تعالى (وسيرت الجبال فكانت سرابا) [النبأ: ٢٠].

قوله تعالى ﴿ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ ﴾

الفاء لتفريع النتيجة على الرج، والهباء المنبث الغبار المتفرق في الهواء ذرات، لا تظهر للرائي إلاّ في ضوء الشمس النافذ من كوة الجدار، والكلام من التشبيه البليغ، حذفت فيه أداة التشبيه ووجهه.

قوله تعالى ﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ ﴾

التعبير بمضي الكون لتنزيل الكلام منزلة المتحقق، لأنه كائن لا محالة، والخطاب لعامة الناس، والجملة تقسيم حصري لأنواعهم المحشورة يوم

القيامة، ولفظ الزوج يقال للصنف حين يجمع بغيره، كالذكر والأنثى، حين يقترنان فيسمى كل منهما زوجا، ولفظ الثلاثة بمعنى الجماعة من الناس، قال الطبرسي: وأصله القطعة من قولهم: ثل عرشه إذا قطع ملكه، بهدم سريره، والثلة القطعة من الناس. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ ﴾

الفاء لتفريع التفصيل على الإجمال، والميمنة مصدر ميمي من اليمن، أي: أصحاب البركة واليمن والثواب من الله تعالى.

والسؤال بـ (ما) المبهمة، وليس بـ (من) العاقلة لإفادة تعظيم حالهم الذي لا يوصف وللتعجيب من حسن مآلهم، كما أن إظهارهم محل إضمارهم زيادة في تفخيم شأنهم.

واستبعد العلامة الطباطبائي أن يكون الميمنة بمعنى اليمين فقال: وما قيل: إن المراد بالميمنة اليمين، أي: ناحية اليمين، لأنهم يؤتون كتابهم بيمينهم وغيرهم يؤتونه بشمالهم يرده مقابلة أصحاب الميمنة بأصحاب المشأمة، ولو كان كما قيل لقيل أصحاب الشمال. انتهى.

ويؤيد هذا الرأي التصريح بلفظ اليمين ومقابلته بلفظ الشمال في السورة نفسها في قوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) [الآية: ٢٧]، وقوله (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) [الآية: ٤١].

قوله تعالى ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ ﴾

وهو التقسيم الثاني من الأزواج الثلاثة، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشؤم مقابل اليمن، كناية عن الشقاء والخسران، كما إن أصحاب الميمنة كناية عن السعادة والظفر، ويراد بالشؤم شؤمهم على أنفسهم بمعاصيهم في دار الدنيا، والسؤال وإعادة صفتهم للتهويل.

قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ ﴾

وهم القسم الثالث مما أجمل من الأنواع الثلاثة للمحشورين، أصحاب الفضل والتقدمة سبقوا غيرهم إلى الخيرات والمغفرة نظير قوله تعالى (ومنهم سابق بالخيرات) [فاطر: ٣٢]، وقوله (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) [المؤمنون: ٦١]، وتأخر ذكرهم في التقسيم لإفادة اقتران ذكرهم بمحاسن الصفات في الآيات اللاحقة.

والسابق الذي يصل قبل غيره إلى ما تسابقا عليه، استعارة تمثيلية عن حيازة قصب السبق، واللفظ الثاني خبر الأول، دال على شهرتهم بتلك الصفة، بحيث غلبت الصفة على التصريح بماهيتهم، وكأن إطلاق صفة السبق من دون صلة يراد أنهم سابقون في كل فضيلة، ومثله قول أبي النجم العجلي في أرجوزته:

أنا أبو النجم وشعري شعري

وفي المجمع وقريب منه في الدر المنثور: عن أبي جعفر عليه السلام قال: السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق أمة موسى وهو مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب والسابق في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. انتهى.

ويحتمل أن يكون كلام الإمام عليه السلام وما روي قريب مثله من باب التطبيق والتمثيل لا خصوص التنزيل.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ ﴾

لفظ الإشارة لتعظيم الذين وصفوا بالسبق، مشوق لما سيخبر عنهم من تنويه، والمقربون بحذف صلته يراد أنهم مقربون من عناية ربهم ورحمته، وهو أدل في القرب من القول: قريبون، وفي تعريفه معنى القصر، بتقدير: وحدهم المقربون، وذلك لكمال عبوديتهم وإخلاصهم فيها لربهم.

قوله تعالى ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ﴾

شب الجملة في محل نصب على الحال بتقدير: كائنين في جنات النعيم، وجمع الجنات باعتبار الإخبار عن كل واحد منهم، وجنات النعيم أرفع درجات الجنان، وأقربها منزلة من رحمة الله.

قوله تعالى ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾

أي: أولئك السابقون ثلة من الأولين، والثلة الجماعة الكثيرة العدد، و(من) للتبعيض، ولفظ الأولين جمع أول ويراد بهم الأمم القديمة السابقة.

قوله تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

ارتفع (قليل) على العطف على (ثلة) أي: وهم قليل، عائد على (السابقون)، ولفظ الآخرين أريد به آخر الأمم وهم أمة النبي ﷺ، والجملة تقابل التي قبلها.

قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾

أي: المقربون مستقرون على سرر موصوفة بإحكام النسج، والكلام إشارة إلى ترف حالهم في جنات النعيم، والموضونة من الوضن وهو النسج، ومنه الوضين وهو سيور تنسج مضاعفة بعضها على بعض الحزام يشد بها الهودج منه إلى بطن البعير، كقول أمير المؤمنين عليه السلام لرجل مضطرب الفكر: إنك لقلق الوضين. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

ومعنى السرر الموضونة أي المنسوجة كما يوضن حلق الدرع، فيدخل بعضها في بعض، وقيل: إنها منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر، وتوضع عليها الفرش الوثيرة.

قوله تعالى ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

نصب اللفظين على الحال المقيدة، وهي وصف لراحتهم وأنسهم ببعض، فجلوسهم على السرر الموضونة جلوس الملوك في حال من الاتكاء.

ومعنى (متقابلين) أي: يرى بعضهم بعضا، وهو كناية عن أنس معشرهم وصفاء نفوسهم، فلا يغتابون أحدا في غيابه ولا يعيبونه.

قوله تعالى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

معنى (يطوف عليهم) أي: يدور على خدمتهم، لأنهم يجلسون حلقا في تقابل، ولفظ (ولدان) جمع ولد وهو الغلام الحديث السن، دال على جمال هيأتهم وخفة حركتهم، ووصفهم بأنهم (مخلدون) أي باقون على سنهم، لا يكبرون، أو بمعنى الخلد وهو القرط، أي مقرطون بالخلد.

وتنكير لفظ (ولدان) للتفخيم، وهم من مخلوقات الجنة، كما أن الحور العين خلقن لأجل أهل الجنة.

وخدمة الولدان لأهل الجنة لا ينافي قوله تعالى (وجنى الجنتين دان)، وقوله (ولهم ما يدعون) [يس: ٥٧]، من دون توسيط الخدم، وذلك للإشارة إلى أن فنون التنعم مختلفة لأهل الجنة ولا سيما في حال أنس اجتماعهم ببعض.

قوله تعالى ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

الكلام متعلق بـ (يطوف)، والأكواب جمع كوب وهي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم، والأباريق جمع إبريق وهي التي لها عروة وخرطوم.

والكأس الإناء المملوء بالشراب، وإفراده لهذا الغرض، إذ لا تسمى بكأس إلا إذا امتلأت شرابا، و(من) للجنس، و(معين) أي: خمر جارية من العيون.

قوله تعالى ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أي: لا ينالهم صداع بسبب شرب الخمر كما في خمر الدنيا، ولا تزول عقولهم لأجل السكر الحاصل منها.

وتعدية الفعل (يصدعون) بحرف التجاوز (عن) لتضمنه معنى السبب الناشئ من شراب الكأس، والنزف كما قال الراغب: نزف الماء نزحه كله من البئر شيئا بعد شيء، وبئر نزوف نزف ماؤه، والنزفة الغرفة والجمع النزف، ونزف دمه أو دمعه أي: نزع كله، ومنه قيل: سكران نزيف، نزف فهمه بسكره. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

العطف على (بأكواب)، بمعنى: ويطاف عليهم بفاكهة مما يختارون ويشتهون منها، و(من) في (مما) للتبيين، أي: من الجنس الذي يختارونه، و(ما) اسم موصول.

قوله تعالى ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

عطف بعد عطف لاستقصاء التنعم، أي: ويطاف عليهم بلحم طير مما يشتهون، وذكر في المجمع: أن أهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير، خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجا، حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وإيلامه. انتهى.

ولحم الطير أعز اللحوم وأفضلها في الأكل، والاشتهاء من الافتعال مبالغة من الشهوة وشدة الرغبة إلى نيل الشيء.

وتقديم الفاكهة على اللحم في الذكر لأنها أصح في التهيئة للإقبال على الطعام، وتعليق التخير بالفاكهة للإشعار بتنوع أصنافها، وأما تعليق الاشتهاء باللحم فلفضل لحم الطير.

قوله تعالى ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

الواو للاستئناف، ورفع (حور) لأنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ولهم حور عين، والحور العين وصف لنساء الجنة، من جهة بياضهن وسعة عيونهن، فالحور جمع حوراء، والعين جمع عيناء.

قوله تعالى ﴿ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾

أي: هن كأشباه اللؤلؤ المكنون، أي الدر المخزون في الصدف، إشارة إلى نقاء اللون وصفائهن، وكونهن بعيدات المنال لم تمسهن الأيدي.

قوله تعالى ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

نصب (جزاء) لأنه مفعول لأجله، والباء في (بما) للسبب، و(ما) موصولية، ودلالة (يعملون) ما كان من استمرارهم على العمل الصالح في الدنيا.

قوله تعالى ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾

ضمير الجمع في (يسمعون) راجع إلى (المقربون)ن والهاء في (فيها) راجعة إلى جنات النعيم، والمعنى: أن الله نزه أسماعهم في الجنة عن أن تسمع كلاما لا فائدة ترجى منه، فكلامهم لبعض حكمة ومودة، لا كذب فيه ولا إثم.

واللغو الكلام الباطل الذي لا معنى له ولا يترتب عليه فائدة، والتأثيم النسبة إلى فعل الإثم.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾

الاستثناء منقطع من اللغو والتأثيم (لغوا) لأن المستثنى ليس من جنسه، والقيل مصدر كالقول، والسلام الدعاء بالأمن والسلامة، ونصبه لأنه بمعنى الوصف للقول أي: قولا موصوفا بالسلام، وتكراره مشعر باستمرار وقوعه ودوامه.

وتحية السلام أكدتها الآيات الشريفة كثيرا لأهل الجنة، لما فيها من الإشعار بالطمأنينة والأمن قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) [يونس: ١٠-١١]، وقوله (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما)

[مريم: ٦٢]، وقوله (سلام قولا من رب رحيم) [يس: ٥٨]، وقوله (وتحيتهم فيها سلام) [يونس: ١٠].

قوله تعالى ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ ﴾

وهم القسم الثاني من الأزواج الثلاثة، الذين مروا في السورة بعنوان (أصحاب الميمنة)، وسموا بأصحاب اليمين لأنهم يحشرون يوم القيامة وكتابهم في يمينهم، قال تعالى (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم) [الإسراء: ٧١]، والعرب في لغتها تتفاءل باليمين وتتشاءم بالشمال.

والاستفهام لتفخيم شأنهم والتعجيب من حالهم، كما أن الإظهار في موضع الإضمار تعظيم بعد تعظيم.

قوله تعالى ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ ﴾

الآية وما بعدها، مجازات يراد بها الجنة، من باب تسمية المحل باسم الحال فيه، أي: أصحاب اليمين في الجنة التي فيها سدر مخضود، ولا يعني تعداد ما ذكر من أشياء في الجنة اقتصارها عليها، فمن المسلم أن فيها ما لا يوصف بوصف ولا يقادر بقدر، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

والسدر شجر النبق، طيب المذاق والرائحة، ووصفه بالمخضود بمعنى المنزوع شوكه، ويراد به سهولة التناول، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في

الدنيا: قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود. ذكر في شرح نهج البلاغة. انتهى.

وفي الدر المنثور وغيره بإسناده عن أبي أمامة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يوما فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكا، فقال رسول الله ﷺ: أليس يقول الله: (في سدر مخضود) يخضده الله من شوكه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، إنها تنبت ثمرا تفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر. انتهى.

وفي ذكر سؤال الأعراب قال أمير المؤمنين عليه السلام معللا اختلاف رواية الناس عن النبي ﷺ: وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ ﴾

الطلح شجر الموز، وذكر في المجمع وغيره أنه: ليس بالموز بل شجر له ظل بارد ورطب، وقيل: شجرة أم غيلان لها أنوار طيبة الرائحة، والمنضود المتراكم بعضه على بعض، نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، فليست له سوق بارزة، فمن عروقه إلى أفنانه ثمر كله.

قوله تعالى ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ ﴾

الظل الفيء، والممدود الطويل غير المنقطع، والتركيب كناية عن الظل الدائم الذي لا يزول، وفيه إشارة إلى اعتدال الهواء في الجنة، وروي أن أوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد.

قوله تعالى ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ ﴾

أي: أي ماء دائم الجريان من غير انقطاع، لأن كونه مسكوبا مصبوبا أجدر بنقائه وصفاء لونه وعذوبته.

قوله تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ ﴾

أي الثمار المختلفة الأصناف والأنواع والكثيرة التي لا تنفد.

قوله تعالى ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ ﴾

الآية صفة ثانية لـ (فاكهة) بعد وصفها بالكثرة، والقطع الفصل، ونفيه بمعنى: توافرها في كل آن وليس كما في فاكهة الدنيا، ونفي كونها ممنوعة أي: غير ممتنعة على آكلها لعلة في الآكل أو لبعدها عن متناول اليد.

قوله تعالى ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ ﴾

لفظ الفرش جمع فراش وهو ما يوضع على السرر، للجلوس والاتكاء، واللفظ مجاز يراد به السرر، لأنها هي التي ترفع عن الأرض، وهي أسرة الترف والملوك في الدنيا، والأوفق أن يكون التركيب كناية عن النساء العاليات القدر في العقل والحسن والجمال، وامرأة الرجل يقال عنها فراشه، ومنه قول النبي ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، ويؤيد هذا المعنى ما ذكر بعده وهو قوله تعالى (أنشأناهن إنشاء).

ويمكن الجمع بين الفرش بمعنى المرأة والسرر، بأن يكون معنى الارتفاع كونهن على الأرائك، نظير قوله تعالى (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) [يس: ٥٦].

قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ ﴾

التأكيد بحرف النسخ لتفخيم الإخبار، والإنشاء الإحداث، وضمير التأنيث عائد إلى ما يفهم من لفظ الفرش وهي الحور نساء الجنة، والمفعول المطلق (إنشاء) للنوعية، فهن خلقن بعناية إلهية لأجل أصحاب اليمين، لا تغير حالهن الأوقات، بل يبقين نضرات شابات.

قوله تعالى ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ ﴾

الفاء للتفريع على الإنشاء، والجعل الخلق، أي: خلقن عذارى، كلما غشيهن أزواجهن عدن أبكارا.

قوله تعالى ﴿ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ ﴾

المرأة العروب المتحببة إلى زوجها، الحسنة التبعل، العاشقة له، التي تعرب بحالها عن عفتها ومحبتها له.

والأتراب جمع تِرْب، أي: مستويات في السن، وهو سن الشباب فليس فيهن شابة وأخرى غير شابة، وكذا أزواجهن، قال الراغب: أي لدات تنشأن معا تشبيها في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر. انتهى.

والصفة تكررت في قوله تعالى (وكواعب أترابا) [النبأ: ٣٣]، وقوله (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) [ص: ٥٢].

قوله تعالى ﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ﴾

شبه الجملة متعلقة بالفعل (أنشأناهن)، أو بـ (أترابا)، أي: مماثلات في السن لأصحاب اليمين.

قوله تعالى ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠ ﴾

أي: هم جمع كثير من جماعة الأمم الماضية وجمع كثير من مؤمني هذه الأمة، التي هي آخر الزمان، بينما (السابقون السابقون) أكثر في الأولين وأقل في الآخرين.

وتنكير (ثلة) للتخصيص، وأنه ليس لجميع الأولين والآخرين، و(من) على هذا وردت تبعيضية مرتين.

قوله تعالى ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾

شروع في تفصيل القسم الثالث للأزواج الثلاثة، وهم الكافرون، الذين يؤتون كتابهم بشمالهم، وهم أصحاب المشأمة، والعرب ترمز للشؤم بالشمال.

والاستفهام والإظهار للتعجيب والتهويل مما سيلقون من هوان يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ ﴾

تفيد (في) الظرفية المجازية، من الاستقرار والتلبس، و(سموم) لفح النار الذي ينفذ حرها في مسام البدن، ولفظ الحميم، غليان الماء الشديد الحرارة، وتنكير اللفظين للتهويل.

قوله تعالى ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ ﴾

الظل أصلا ما ينقطع عنه ضوء الشمس، وقد يقال لكل ساتر محمودا كان أو مذموما، واستعمل هنا على سبيل الاستعارة التهكمية، لأنه يراد به اليحموم نفسه، لأن اليحموم دخان شديد السواد ناشئ من تأجج النار، وعلى هذا فحرف الجر (من) تفيد الجنس.

قوله تعالى ﴿ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

الصفتان لـ (ظل) لدفع توهم أن يكون ظل راحة، أي: لا بارد يستراح إليه، ولا كريم فيشتهى مثله، والعرب إذا نفت الكرم عن شيء فإنها تبلغ به منتهى ذمه له.

قال في المجمع: والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن شيء نفت عنه الكرم، قال الفراء: العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم، تقول: ما هو بسمين ولا كريم، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة. انتهى. أقول: وكلام الفراء يقصد به كلامه في معاني القرآن.

قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

فصل ولم يصل، لأنه تعليل لما وصف من عذاب أصحاب الشمال، لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين، ولفظ الإشارة بمعنى: في الدنيا قبل ذلك العذاب، والترف بطر النعمة والطغيان فيها إلى حد الكفر بالمنعم، ولا يعني اقتصار الترف بذوي المال، فالنعم أشكال وإبطارها يكون بالانشغال بها عن المنعم وإنكار شكرها عليه، وأقل موجبات الشكر عبادته تعالى وحده.

قوله تعالى ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾

تعليل ثان، أي: لأنهم كانوا يصرون على الحنث العظيم، والحنث نقض العهد، وتوصيفه بالعظمة لتهويله، والمراد استكبارهم على عبودية الله بالإصرار على الشرك والكفر به، مخالفين ما عاهدوا الله في فطرتهم التي فطرهم الله عليها بالإيمان به تعالى، وعبادته وحده.

قوله تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما) العطف للإشعار بالعلة الثالثة، وهو إنكارهم لليوم الآخر، وأنهم سيبعثون للحساب.

وقد كان جحد المشركين للمعاد من مزاعمهم المتكررة عنهم، فالاستفهام للإنكار والاستبعاد، وجملة (وكنا ترابا وعظاما) لزيادة التشديد على الإنكار، وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد.

قوله (أإنا لمبعوثون) همزة الاستفهام الثانية لتشديد الإنكار، وحرف النسخ لتأكيد الإنكار، لا لإنكار التأكيد،

والجملة محلها الجواب لـ (إذا) المتمحضة للشرط، لأنهم منكرون للمعاد أصلا.

قوله تعالى ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

عطف واستفهام بمعنى: أو يبعث آباؤنا الأولون، وإنما ذكروا آباءهم السابقين للتشديد على الإنكار، بتقديم ما يعتقدونه براهين لما ينكرون.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

رد من الله على قولهم، بتأكيد بعثهم جميعا، الأولون وهم الأمم الماضية ومن جملتهم آباؤهم، والآخرون وهم المشركون المنكرون أنفسهم، وجمعهم يوم القيامة للقاء حسابهم بين يدي ربهم.

و(إلى) يفيد غاية الجمع، ولفظ الميقات مصدر ميمي بمعنى الوقت، والإضافة بيانية، واليوم المعلوم هو يوم القيامة، لأن الله أعلم به عباده على ألسن رسله.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ ﴾

تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، لأن إدخال المشركين النار بعد جمعهم وحشرهم، والخطاب لمشركي مكة سماهم بـ (الضالون المكذبون) لإفادة تعليل خبر (إن)، والضالون الذين أضاعوا سبيل الصواب والحق، والمكذبون المنكرون للبعث والقيامة.

واللام في (لآكلون) للتأكيد واقعة في خبر (إن)، و(من) الأولى ابتدائية، والثانية بيانية، ولفظ الشجر بمعنى الثمر يذكر ويؤنث، وزقوم طعام أهل النار، وتنكير اللفظين لاختصاصهما بأهل النار.

قوله تعالى ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

الفاء للترتيب والتعقيب، وكذا ما بعدها، وضمير الهاء في (منها) راجعة إلى (شجر) على أساس تأنيثه باعتبار معناه، والبطون الأجواف والأحشاء.

قوله تعالى ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ٥٤ ﴾

أي: شاربون من الحميم على الأكل من الشجر، وحرف الاستعلاء دال على أنهم شربهم الحميم فوق الأكل من دون إبطاء، والهاء في (عليه) عائدة إلى (شجر) على أساس تذكيره باعتبار لفظه، و(من) بيانية، والحميم الماء المغلي على أشده.

قوله تعالى ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥ ﴾

الآية تمام ما أمر به النبي ﷺ أن يقوله، وإعادة اللفظ للتهويل، والتشبيه بليغ للمبالغة في اتحاد الصفة بين طرفيه، المشبه والمشبه به، ونصب (شرب) على نزع الخافض، أو للمفعولية المطلقة، والهيم جمع هيماء وهي الإبل العطشى، التي أصابها الهيام وهو داء شبه الاستسقاء، تشرب فلا تروى حتى تمرض وتهلك، وقيل: الهيم هي الرمال التي لا تروى بالماء.

ومحصل المعنى: أن الله يسلط عليهم الجوع فيأكلون من شجر زقوم ينبت في جهنم، فيملؤون به أحشاءهم وهو في غاية الحرارة، ثم يسلط عليهم العطش، فيضطرون إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم يشربونه شرب الهيم.

قوله تعالى ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦ ﴾

أي: هذا الذي ذكر من طعام وشراب نزل الضالين المكذبين يوم الدين، والكلام مشوب بالاستهزاء بهم، لأن النزل منزل الأضياف الذي يقدم فيه الأكل لهم، و(يوم الدين) يوم الجزاء، وخص بالذكر لأن ذلك العذاب جزاؤهم.

والكلام من خطابه تعالى لنبيه، ولو كان من جملة ما أمر به النبي ﷺ أن يقوله لقال: هذا نزلكم، أشار إليه صاحب الميزان. أه.

قوله تعالى ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ ﴾

قوله (نحن خلقناكم) تقديم الضمير (نحن) لتقوية حكم الخبر، والخلق الإيجاد من العدم بإفاضة الحياة على المحدث، وضمير الخطاب لمشركي مكة المنكرين للمعاد والحساب.

قوله (فلولا تصدقون) الفاء لتفريع الحث على السبب، و(لولا) أداة عرض وتحضيض، والتصديق نقيض التكذيب، ومتعلقه محذوف مفهوم من السياق تقديره: فلولا تصدقون بالمعاد، وفي الكلام التفات من الغيب إلى الخطاب لمناسبته لمقام العتاب والتوبيخ.

والوثنيون يقرون بخلق الله لهم وللعالم، لكنهم لا يؤمنون بالمعاد، وهذا مورد اضطراب عقولهم، لأن من بدأ الخلق ودبر شؤونه قادر بالضرورة على إعادته بعد موته، موجب بالتصديق به، قال تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) [الأنبياء: ١٠٤].

قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ﴾

الفاء لتفريع الاستدلال للبعث على إنكار المشركين له، والاستفهام للتقرير، ويجوز في فعل الرؤية معنى العلم، و(ما) مصدرية، أو اسم موصول، والإمناء إنزال المني في أرحام النساء، وهو مادة خلقة جنين الإنسان حين ملاقاة البيضة في الرحم.

قوله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ ﴾

استفهام بعد استفهام لتقرير المعنى، أي: أأنتم تخلقونه بشرا أم نحن الخالقون الموجدون، فإذا لم تقدروا فالله قادر على ذلك، والقادر على الابتداء قادر على الإعادة فلماذا الإنكار للمعاد.

قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ ﴾

قوله (نحن قدرنا بينكم الموت) ضمير الفصل للقصر، وتقدير الموت تحديده على أنه حق مقدر على كل حي، لذلك قال (بينكم) كأنه قسمة يوزع بالتساوي على الناس، وذلك من تدبيره تعالى ولوازم خلقه، من غير أن يكون ذلك التقدير نقصا في قدرته تعالى، فلو شاءت حكمته دوام الحياة لفعل، ولكنه تعالى قدّر الوجود المؤقت في دار النشأة لأنها دار تكليف وعمل، وقدّر دار الآخرة دار بقاء ودوام، لأنها دار الجزاء والغاية.

قوله (وما نحن بمسبوقين) جملة استئنافية لبيان كمال القدرة، وتكرار (نحن) مرتين لإفادة القصر في كل مرة، والباء المقترن بلفظ المسبوقين مزيدة لتأكيد نفي العموم، والسبق الغلبة، أي: لا يغلب الله على أمره غالب لو شاء دفع الموت وجعل الناس خالدين في الدنيا.

قوله تعالى ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ ﴾

قوله (على أن نبدل أمثالكم) حرف الجر (على) متعلق بـ (قدرنا)، والجملة محلها الحال، وتبديل الأمثال في خطاب المشركين كناية عن موتهم واستخلافهم بغيرهم من أجيال الناس.

قوله (وننشئكم في ما لا تعلمون) أي ونخلقكم خلقا مناسبا لدار الآخرة لا تعلمونه حيث الخلود والبقاء الأخروي.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ ﴾

قوله (ولقد علمتم النشأة الأولى) قسم وتحقيق لأهمية الإخبار، والخطاب للمشركين يحتج عليهم بمعرفتهم بأن الله خالق النشأة الأولى وهي دار الدنيا، والقادر عليها قادر على إعادتها فحكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد.

قوله (فلولا تذكرون) الفاء للتفريع، و(لولا) بمعنى هلا، عرض وتوبيخ، والتذكر استحضار المعنى في الذهن وعدم غفلته.

قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

تفريع بعد تفريع بصيغة (أفرأيتم) للاستدلال على ربوبيته تعالى وتدبيره بعد ذكر الخلق والتقدير، فعدت أهم ما يتجهز به الإنسان في دار النشأة المؤقت، وهي الزرع والماء والنار.

وصيغة (أفرأيتم) المشتملة على التفريع والاستفهام التقريري وفعل العلم من الصيغ القرآنية المبتكرة في مقام بيان الحجة المشوبة بالعتاب والتوبيخ، والحرث يراد به بذر الحب في الأرض وزرعها.

قوله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

استفهام بعد استفهام لتقرير المعنى، أي: ألأنتم تنبتونه وتنمونه حتى يكون نباتا وارفا أم نحن المنبتون المنمون، ومن هنا ورد عن النبي ﷺ قوله: لا يقولن أحدكم: زرعت، وليقل: حرثت. ذكر في الكشاف. انتهى.

والهاء في (تزرعونه) عائد إلى الحرث، أي: البذر المفهوم من الكلام، وبين (تزرعونه والزارعون) جناس اشتقاقي بديعي.

قوله تعالى ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قوله (لو نشاء لجعلناه حطاما) جملة الافتراض لبيان القدرة الربانية، والاستدلال على أنه تعالى وحده وراء نمو الحرث واكتماله، لأنه هو مسبب الأسباب، وما الوسائط إلا عاملة بإذنه، فلو شاءت مشيئته لجعل البذر المزروع في الأرض حطاما هشيما قبل أن يكتمل زرعا مستويا.

قال العلامة الطباطبائي: ولا منافاة بين نفي الزرع عنهم ونسبته إليه تعالى وبين توسط عوامل وأسباب طبيعية في نبات الزرع ونموه، فإن الكلام عائد في تأثير هذه الأسباب وصنعها، وليس نحو تأثيرها باقتضاء من ذاتها منقطعة عنه تعالى، بل بجعله ووضعه وموهبته، وكذا الكلام في أسباب هذه الأسباب، وينتهي الأمر إلى الله سبحانه وأن إلى ربك المنتهى. انتهى.

قوله (فظلتم تفكهون) الفاء للتفريع، أي: فظللتم تتعجبون مما أصاب زرعكم، والتفكه أصله التنقل بصنوف الفاكهة، استعير للتنقل بالكلام من حالة إلى حالة، لأنهم لما عملوا مقدمات ما يوجب طلوع الزرع على أحسن حال عجبوا من سوء حاله هشيما حطاما لا نفع وراءه.

وقوله (إنا لمغرمون) مقول قول لأن (تفكهون) متضمن للفعل (تقولون أو تتحدثون)، و(إن) ولام الخبر مؤكدات عن حسرتهم في خسارتهم، والمغرم من أضاع ماله بغير عوض عنه، والمعنى: إنا أضعنا مالنا وجهدنا.

قوله تعالى ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧ ﴾

تفيد (بل) الإضراب الانتقالي عما قبلها لتأكيد ما بعدها، أي: بل نحن ممنوعون من الرزق والخير، ولفظ الحرام أصله المنع، ومنه صفة البيت الحرام لأنه تمنع فيه أمور تحل خارجه.

قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

استدلال آخر على القدرة والتدبير، لبيان أن القادر عليها قادر على الإعادة والبعث، وخص الشرب بالذكر من صفة الماء لأن ذلك أكثر منافعه.

قوله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

أي: أأنتم أنزلتم الماء العذب من المزن أم نحن المنزلون له، وهمزة الاستفهام للإنكار، و(أم) بمعنى: بل، وإنزال الماء يكون بدفع الرياح للسحب في السماء والتقائها ببعض فينشا عنها شرارة نارية ينزل بسببها المطر، ولا ريب في أن ذلك كله بتدبير الخالق.

والهاء في (أنزلتموه) راجعة إلى الماء، و(من) ابتدائية، والمزن جمع مزنة وهي السحاب الحاملة للماء، وصلة اسم الفاعل (المنزلون) محذوفة تقديرها: له، للإيجاز ومراعاة الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله (لو نشاء جعلناه أجاجا) أي: لو نشاء جعلنا الماء النازل من السماء ماء مالحا غير عذب، فلا تنتفعون به في الشرب.

وحذف لام التأكيد من (جعلنا) فلم يؤت بها كما جيء بها في شرطية الحرث، للتعويل على علم السامع في الفرق بين العذب والأجاج.

قوله (فلولا تشكرون) الفاء لتفريع التوبيخ، أي: فهلا تشكرون ربكم على هذه النعمة، التي لا يقدر عليها غيره، ولا تغفلوها.

قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

الفاء لتفريع دلالة أخرى على كمال ربوبيته تعالى وامتنانه على الناس، والاستفهام للتقرير كما في كل ما تقدم.

والنار نور بحرارة كامنة في الشجر، وتستخرج بالقدح بين خشبها بحك بعضه ببعض، وجمعها نيران، والإيراء الإظهار بالزند.

قوله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

أي: أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون لها، والإنشاء الإحداث بغير مثال سابق، والهاء في (شجرتها) راجعة إلى النار، لأن الشجر مادة النار.

قوله تعالى ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله (نحن جعلناها تذكرة) أي: الله تعالى جعل النار تذكرة للناس بما أعد لهم من نار جهنم فيستعيذوا بالله منها بالعمل الصالح والطاعات.

قوله (ومتاعا للمقوين) أي: وانتفاعا مؤقتا للنازلين بأرض قفر ليس فيها أحد.

قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾

الفاء لتفريع التسبيح على ما ذكر من منن، بمعنى: فإذا كان كذلك فسبح باسم ربك العظيم، والخطاب في الأمر للنبي ﷺ ، لجدارته بالعناية بمحادثة ربه، ولتجاهل المكذبين لأنهم لا يفقهون هذا الخطاب، والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق بساحة قدسه من النقص والتشريك، وشبه الجملة (باسم ربك) محلها الحال، والباء للاستعانة أو الملابسة، والإضافة في (ربك) خطاب من الله لنبيه لجدارته بالعناية بمحادثة ربه، ولتجاهل المكذبين لأنهم لا يفقهون هذا الأمر، وفيه علة للأمر، أي: سبحه مستعينا باسم ربك، أو متلبسا باسم ربك، واسم الله ذكره سبحانه، وصفة العظمة للاسم أو للرب كلاهما يصحان.

قوله تعالى ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ ﴾

الفاء للتفريع، و(لا) نافية زائدة لتأكيد القسم، ثقة بالمقسم على صدق المقسم عليه فلا يحتاج إليه لوضوحه وثبوته، والمعنى: أقسم بمواقع النجوم.

والمواقع: جمع موقع ويراد بها المحل، والنجوم مطلق الكواكب السيارة الظاهرة لأهل الأرض في السماء، ومواقع النجوم محلها في السماء، ونظام وجودها سابحة في فضاء فسيح، وأي اختلال في نظامها الجاري يعني أمارة قيام القيامة، ومن هنا أورد ذكرها، ففيها إشعار بالتهديد والوعيد.

قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾

الجملة اعتراضية بين القسم والمقسم عليه، لإفادة تعظيم القسم، والهاء في (إنه) عائدة إلى القسم، واللام المقترن بلفظ القسم لام الخبر للتأكيد، وجملة (لو تعلمون) اعتراضية لبيان جهل المشركين بعظمة القسم، و(عظيم) صفة متأخرة للقسم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ ﴾

جملة جواب القسم، وضمير الهاء في حرف النسخ للتعظيم، واللام في (لقرآن) لام الخبر للتأكيد، ولفظ القرآن صفة مبالغة للقراءة، غلبت على العلم، يراد به المقروء، وهو آيات الله التي اوحاها إلى نبيه طوال بعثته، ووصفه بالكريم مطلقا من دون تقييد لأن منافعه لا تنتهي، موصلة إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

ومناسبة تفريع التنويه بعظمة القرآن جاء بسبب إنكار المشركين له، فقد رموه بالسحر والشعر والكهانة، وشدة إعراضهم عن الإيمان به هو الذي أغراهم بإنكار أصل الوحدانية وما تعلق بها من نبوة ومعاد، لأن آياته داعية إلى ذلك، ومن هنا ذكرت آيات السورة ما يثبت وحدانيته تعالى فأثبتت بالبراهين خلقه للخلق وإتقان تدبيره لهم، ثم ذكرت معجزته الدالة على تفرده بالوحدانية، وهي القرآن الكريم، وأنه نازل من عنده في كتاب مكنون.

قوله تعالى ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ ﴾

شبه الجملة محلها الصفة للقرآن، وتنكير (كتاب) للتعظيم، وتوصيفه بأنه (مكنون) أي محفوظ مصون عن التغيير والتبديل، ويراد به اللوح المحفوظ، قال تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) [البروج: ٢٢].

قوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾

صفة للكتاب المكنون أو صفة أخرى للقرآن، و(لا) نافية، والمس أصله وضع اليد على الشيء برفق، وهو أخص في إصابة الشيء وأخذه، يصلح هنا أن يكون استعارة للعلم، بمعنى: لا يصيب علمه إلا المطهرون، فنفي المس كناية عن نفي العلم، والمطهرون الذين طهر الله قلوبهم من التعلق بغيره تعالى، وهو أوفق في المناسبة مع معنى المس بمعنى العلم، من القول بالطهارة بمعنى الحدث ونحوه.

ويمكن فهم (لا) بمعنى النهي باعتبار تحريم مس كتابة القرآن على غير طهارة من حدث أو خبث ونحوهما، أو يمكن أن يكون النفي الإخباري في الآية مجازي يراد به الإنشاء بمعنى النهي.

قوله تعالى ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾

وصف آخر للقرآن، لإثبات صحته من الله، ورد إنكاره، ولفظ التنزيل مصدر استعمل في معنى المفعول للمبالغة أي: مُنزَّل، و(من) ابتدائية، وخص اختيار (رب العالمين) بالذكر لبيان ربوبيته تعالى على العوالم كلها ومنها عالم

الإنس وإتقان تدبيره لها، ومن تدبيره حكمته فيما ينفع عباده الذين يتعين عليهم لذلك الإيمان بكتابه من غير تكذيب.

قوله تعالى ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

الكلام متفرع على ما سبق، لذلك صح توبيخهم في الاستفهام الإنكاري، واسم الإشارة لكمال تعريف القرآن حتى كأنه حاضر مشاهد يشار إليه، ولفظ الحديث كناية عنه لأنه قول بألفاظه ومعانيه منقول بالوحي من الله، وتقديم شبه الجملة لإفادة تسليط الاستفهام الإنكاري عليه، والإدهان أصله التليين، استعير للتهاون به، وعدم الاكتراث بشأنه، كمن يدهن في الأمر ولا يتصلب فيه تهاونا به.

قوله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

أي: وتجعلون رزقكم من خير القرآن الذي هو لكم موضع تكذيبكم له، أي: تضعونه موضعه، أو تضعون التكذيب موضع الشكر، والكلام بيان لسوء توفيق المشركين.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾

التفريع على تكذيب المشركين للقرآن وما أخبرهم من المعاد، لإفادة التوبيخ والتبكيت، و(لولا) حرف تحضيض، بمعنى: هلا، لتوبيخهم وتعجيزهم في الطلب.

و(إذا) شرطية ظرفية، والبلوغ الوصول والتاء في الفعل عائدة على غير مذكور وهي النفس أي الروح، لمعلوميتها في الكلام، فإنها هي التي تبلغ الحلقوم للخروج من البدن وقت الاحتضار ونزول الموت.

والمعنى: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم رددتموها إن كنتم صادقين في إنكاركم للمعاد، لأن من ينكره يملك أسباب القوة في الإنكار، فلما لم تكونوا كذلك كنتم أدعى إلى الإيمان والإذعان.

قوله تعالى ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

جملة موقعها الحال، أي: في حال أنتم بمنظر من المحتضر حاضرون عنده قريبون منه وهو تخرج نفسه.

قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

قوله (ونحن أقرب إليه منكم) الجملة في معنى الحال من (تنظرون)، أي: في حال نحن أقرب إليه منكم، لأن الله محيط بكل شيء، وهم يدركون ما يشاهدون لا ما يغيب عنهم، لذلك لفظ القرب مجاز من هذه الإحاطة الدالة على القدرة والتصرف المطلق.

قوله (ولكن لا تبصرون) عطف واستدراك لتأكيد جهلهم بشؤون الألوهية، والصلة المحذوف من (لا تبصرون) بمعنى: لا تبصرون قربنا وإحاطتنا.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

تكرار (فلولا) تأكيد لتبكيت المشركين المنكرين، ولبعد الفصل في جملة (لولا) الأولى، بمعنى: فهلا إن كنتم غير مدينين، أي: غير مجزيين من الله.

قوله تعالى ﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

جملة (ترجعونها) هي العاملة في (لولا) لأن أصل الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم، وهي الدالة على جواب (إذا) الشرطية، وقد توضح أن الرجوع الرد، والهاء في الفعل راجع إلى النفس في (بلغت).

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط لبيان التعجيز، أي: إن كنتم صادقين في دعواكم بإنكار البعث.

قوله تعالى ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

الفاء لتفريع بيان حال المتوفى وإدماجه بما عد في أول السورة من حال الأزواج الثلاثة بنوع تخلص فريد، والضمير في (كان) عائد إلى المتوفى المفهوم من سياق الكلام، و(من) بيانية، وتعريف (المقربون) للعهد إشارة إلى قوله (السابقون السابقون، أولئك المقربون)، والمعنى: إن كان المتوفى معدودا في جملة السابقين المقربين فجزاؤه روح وريحان وجنة نعيم.

والفاء في (فروح) واقعة في جواب (أما) الشرطية، والروح الراحة من كل ألم، والريحان كناية عن الرزق، وبين اللفظين محسن بديعي من التجنيس

الناقص، و(جنة نعيم) من إضافة الموصوف إلى صفته، وهي أعلى درجات الجنان، وتنكير الألفاظ للتعظيم والتفخيم.

وفي الدر المنثور بإسناده عن الرسول ﷺ أنه قال: إن أول ما يبشر به المؤمن عند الوفاة بروح وريحان وجنة نعيم، وإن أول ما يبشر به المؤمن في قبره أن يقال: أبشر برضا الله تعالى والجنة، قدمت خير مقدم، قد غفر الله لمن شيعك إلى قبرك، وصدق من شهد لك، واستجاب لمن استغفر لك. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾

أي: وأما إن كان المتوفى معدودا من جملة أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين، وسماهم بالعنوان السابق أعني (أصحاب اليمين)، لأنه لم يصفهم بغير ذلك كما فعل في الفريقين الآخرين، فقد وصف السابقين بالمقربين، كما وصف أصحاب الشمال بالمكذبين.

وتنكير (سلام) للتعظيم، واللام في (لك) للاختصاص والملك، والالتفات في كاف الخطاب للمتوفى بعد الغيب لإفادة التشريف بالمخاطبة، و(من) ابتدائية.

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ ﴾

وهم أصحاب الشمال الذين صرح بتسميتهم فيما مضى بالضالين المكذبين، والعكس هنا فقال: المكذبين الضالين، لإفادة علة جواب الشرط وهو عذابهم المفهوم منه.

وجواب (إن) محذوف سد مسده جواب (أما) الشرطية، كما في أمثالها مما تقدم، ومعنى (فنزل) أي: فله نزل كائن من حميم، والنزل المنزل استعارة تهكمية من منزل الأضياف، و(من) بيانية، والحميم الماء الشديد الحرارة في نار جهنم يشربه بعد أكله الزقوم، وبين لفظ النزل والحميم مناسبة غير خافية في التهكم.

قوله تعالى ﴿ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾

أي مقاساة لألوان العذاب في الجحيم، والتصلية الحرق والشواء، والجحيم النار الملتهبة، غلبت صفتها على العلمية لجهنم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾

أي: إن هذا الذي ذكرناه من حصر الناس في أزواج ثلاثة يوم القيامة هو الحق الذي لا يتردد فيه ولا يشك في قبوله.

وإضافة الحق إلى اليقين إضافة بيانية أي: الحق الثابت من اليقين، أو من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: الحق الموصوف باليقين.

ومن بديع النظم القرآني في ترتيب الأزواج، أن أخر أهل السبق لإفادة إلحاق صفات المدح بهم، ولما تخلص إليهم بذكر حال بلوغ النفس الحلقوم، أرجع الترتيب بحسب أولويته فذكر السابقين أولا ثم أعقبه بذكر أصحاب اليمين، ثم ذكر المكذبين آخرا.

قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦ ﴾

الفاء لتفريع التسبيح على أحقية القرآن فيما ذكر، والخطاب للنبي ﷺ، أي: فنزه اسم ربك مستعينا أو متلبسا باسمه العظيم وانف عنه ما لا يليق بساحة قدسه من النقص والتشريك.

وأصل التسبيح القول بصيغة: سبحان الله، ولذا أثر في الخبر الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية قال: اجعلوها في ركوعكم.

سورة الحديد

مدنية، وهي تسع وعشرون آية

السورة أولى السور القرآنية التي تصدر آياتها التسبيح لله، تلتها أخواتها السور المفتتحات بمثل ذلك، كسورة الحشر والصف والجمعة والتغابن، وغرضها تنزيهه تعالى عن كل نقص، ومنه الاحتياج إلى غيره، في إشارة خفية إلى علاقة الافتتاح بالمضمون، وهي الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله، لأجل عود الثواب على المنفقين، فالله غني عن كل مخلوق، فعدت جملة من أسمائه العلى الدالة على كماله في الألوهية والربوبية، وفرقت مضامين السورة بين الإيمان الظاهري والإيمان الحقيقي، فدعت إلى أن يكون للإيمان بالله ورسوله أثر في الأعمال، وأولها الإنفاق في سبيل الله، فرغبت فيه، وسمته قرضا لله، ووعدت عليه برده مضاعفا، ومثوبة وأجرا كريما، فأثنت على المؤمنين المبادرين للاستجابة، وعدته من التقوى، وفي المقابل وبخت السورة المتلكئين والمتأخرين، مرة بعد مرة، وذكرتهم بأن ما عندهم زائل وما عند الله باق، وأن الملك لله وحده، وفي خلال آياتها موعظة ودعوة إلى الزهد، وتذكير بالمبدأ والمعاد.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾

قوله (سبح لله ما في السماوات والأرض) التسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يليق بساحة قدسه عن كل نقص، وفعل المضي دال على أنه أمر مقرر ثابت، واللام المقترن بلفظ الله مزيدة للتأكيد، لأن الفعل متعد بنفسه، كما يقال: شكرت لك، ونصحت لك، نظير قوله تعالى (واشكروا لي) [البقرة: ١٥٢].

واستعمل (ما) الموصولية دون (من) لإفادة العاقل وغيره، فعموم الموجودات من العقلاء تسبح لله بلسان المقال وغير العقلاء بلسان الحال، وربما كان حقيقة ولا نفقه تسبيحهم، وذكر السماوات والأرض لبيان استقصاء المسبحين في عموم مملكته سبحانه.

ولا ريب في أن الافتتاح بتسبيح الله فيه تعريض بالمشركين، ورد على مزعمهم بالتشريك، كما أن فيه التنبيه عن استغنائه تعالى عن كل نقص وحاجة، لأن السورة مضمونها الحث على الإنفاق، نظير أخواتها من السور المبدوءة بالتسبيح كالحشر والصف والجمعة والتغابن.

قوله (وهو العزيز الحكيم) جملة تقرير مشعرة بتعليل مضمون الحكم بالتسبيح، والعزيز الغالب الذي لا يمتنع عليه شيء، ولا يقهره شيء، والحكيم الذي لا يخطئ في أفعاله، وكلا اللفظين من أسماء الله العلى، من صيغ المبالغة والتكثير.

قال تعالى ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾

قوله (له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت) الإخبار بقصر الملك فيه تعالى تعليل لتقرير التسبيح وإيجابه، وذلك لأن صفاته تعالى المطلقة الدالة على ذاته الكاملة، كمنتهى العزة والحكمة ومطلق الملك والإحياء والإماتة كلها من دلائل كمال ألوهيته وربوبيته الموجبة للتسبيح.

وجملة (يحيي ويميت) بدل مما قبلها مبينة لبعض أحكام التصرف والملك لما في السماوات والأرض، ودلالة المقابلة بين الجملتين جمع النقيضين فيه وحده، وفعل المضارع للاستمرار والتجدد، وإطلاقهما من تقييد يفيد العموم والشمول لكل الأحياء.

والإحياء يراد به الإيجاد بإفاضة الحياة على المخلوق، والإماتة فصل الروح عنه، ومنع التصرف بالجسد، وكلاهما من شؤون ملكه تعالى كما تقدم.

قوله (وهو على كل شيء قدير) التذييل ترق في كمال القدرة الإلهية، ومنها قدرته على الإحياء والإماتة.

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾

قوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) القصر وتعداد الأسماء الأربعة لبيان كمال الألوهية، في الإحاطة والعلم، فلفظ الأول بمعنى الأسبق في الوجود حين لا موجود سواه، فهو مبدئ الوجود ومحدثه، الواجب الوجود حيث لا وجود من دونه، ولفظ الآخر بمعنى الباقي حين لا يبقى آخر في الوجود، وإنما عدل عنه لإرادة مطابقته بلفظ الأول، ودليله قول أمير

المؤمنين عليه السلام: هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وفيه أيضا قوله عليه السلام: الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة ولا تقعد القلوب منه على كيفية ولا تناله التجزئة والتبعيض، ولا تحيط به الأبصار والقلوب. وفيه: الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده. وفيه: أول قبل الأشياء بلا أولية وآخر بعد الأشياء بلا نهاية. انتهى.

ولفظ الظاهر بمعنى الواضح لكل ذي عقل بآثاره الدالة عليه فيما خلق، ومضادته بلفظ الباطن بمعنى الخفي الذي لا يدرك بحاسة، أو بمعنى نفي أن تدرك كنهه العقول، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وفيه أيضا قوله: وكل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره غير ظاهر. انتهى. أقول: إطلاق الظاهر والباطن على غير الله أمر مختلف، لأن الظاهر بمعنى الموجود الفعلي الذي أوجده موجد، لذلك هو باطن أي معدوم لا وجود له، وكذا قوله (كل باطن غيره غير ظاهر) أي: كل معدوم لا وجود له في نفسه لا يمكن أن يكون ظاهرا موجودا.

وفيه: الظاهر لا يقال مما، والباطن لا يقال فيما. انتهى. أقول: أي: الظاهر بآثار قدرته لا يقال من أي شيء ظهر، والباطن أي: لا يقال فيما ذا بطن، لأن هذه الأمور من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يماثل الأجسام.

قوله (وهو بكل شيء عليم) جملة تذييل، أي: محيط بالأشياء لا يخفى عليه شيء منها، وعلم الله عين ذاته، كما قال الإمام علي ﴿عليه السلام﴾: وعالم بلا معلوم. انتهى.

وفي معنى علم الله، قال الصادق ﴿عليه السلام﴾: لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته، ولا معلوم، فلما أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم. ذكر في التوحيد. انتهى. وكأن الصادق ﴿عليه السلام﴾ ناظر إلى كلام جده امير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ في قوله السابق: عالم بلا معلوم.

وفصّله السيد في الميزان بقوله: ليس المراد بهذا العلم الصور الذهنية فيكون تعالى كباني دار يتصور للدار صورة وهيئة قبل بنائها ثم يبنيها على ما تصور فتنطبق الصورة الذهنية على البناء الخارجي ثم تنهدم الدار والصورة الذهنية على حالها، وهذا هو المسمى بالعلم الكلي وهو مستحيل عليه تعالى بل ذاته تعالى عين العلم بمعلومه ثم المعلوم إذا تحقق في الخارج كان ذات المعلوم عين علمه تعالى به، ويسمى الأول العلم الذاتي والثاني العلم الفعلي. انتهى.

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الكلام لإثبات تفرده سبحانه بالألوهية، بيان لملكه سبحانه، والخلق الإيجاد والتدبير، والظرف (ستة أيام) لبيان التدرج في القطع الزمنية وليس الأيام المعروفة، والاستواء على العرش كناية عن كمال التدبير في سلطنته سبحانه، ومر تفسيره في أكثر من موضع كسورة الأعراف الآية ٥٤.

قوله (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) الكلام تقرير لبيان سعة علمه سبحانه بكل شيء، والولوج والخروج نقيضان، فالأول دخول في مضيق بينما الثاني ظهور من استتار، والله تعالى يعلم ما يدخل الأرض من ماء وبذر، كما يعلم ما يخرج منها كحيوان ونبات وغيرهما.

والنزول عكس العروج، فالنزول سقوط من علو، والعروج ذهاب في صعود، والله تعالى يعلم ما ينزل من السماء كالمطر والملائكة، ويعلم ما يعرج إليها كالأبخرة والملائكة وأعمال العباد، وهي كلها مصاديق لمعنى إحاطة علمه سبحانه بكل شيء، ونظير الكلام تقدم تفسيره في سورة سبأ، الآية ٢.

قوله (وهو معكم أينما كنتم) جملة تقرير لمعنى إحاطته بكل شيء، ومنها المخاطبون عامة، والمعية استعارة لكمال إحاطته وعلمه سبحانه، وتعدد الأمكنة (أينما كنتم) للإشارة إلى حضوره سبحانه في كل مكان دون أن يضمه مكان، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها

غير مباين. ذكر في نهج البلاغة. انتهى. وفيه: لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق. انتهى.

قوله (والله بما تعملون بصير) تقرير بعد تقرير، أقرب إلى أن تكون من باب ذكر الخاص بعد العام، لأن علمه سبحانه بما يعلمون جزء من إحاطته الكلية بهم، وإظهار الله مع أنه أضمره فيما قبله، لإفادة ترسيخه مثلا حاضرا في الذهن، ولفظ البصير مجاز من شدة العلم، لأن مقتضاه الحضور والشهادة.

قال تعالى ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾

قوله (له ملك السماوات والأرض) اقتصار ملكه للسموات والأرض فيه تعالى لأنه من أوجدها وأظهرها، فهو وحده المتصرف فيها المدبر لنظامها.

قوله (وإلى الله ترجع الأمور) التقديم للقصر، ورجوع الأمور مآلها ومصائرها وتدبيرها إليه وحده، لأنه مالكها وخالقها.

ووضع الظاهر في قوله (وإلى الله) في موضع المضمر، للسبب نفسه في قوله (والله بما تعملون بصير)، أي: لإفادة ترسيخه مثلا مستقرا في الأذهان ينبه النفوس من غفلتها كل حين.

قال تعالى ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي: يدخل وقت هذا في هذا، فيزيد وينقص من أوقاتهما، وفعل الولوج استعارة لاختلاف الليل والنهار طولا وقصرا بحسب اختلاف الفصول في السنة.

قوله (وهو عليم بذات الصدور) أي: والله عليم كثير العلم فيما أضمرت النفوس من نيات وأفكار مكنونة.

قال تعالى ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧ ﴾

قوله (آمنوا بالله ورسوله) الخطاب لعامة المتلبسين بصفة الإيمان بالله ورسوله، أمر لهم بتحقيقه، تحقيقا يترتب عليه إظهار آثاره، وهي طاعة الله ورسوله فيما يأمر.

قوله (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) عطف الأمر بالإنفاق على الأمر بالإيمان لأنه من الآثار الدالة على حقيقة الإيمان وعلة له.

و(من) في (مما) للتبعيض، والتكنية بجملة الموصول عن التصريح بالمال لإفادة الترغيب في إنفاقه، كونه منقولا بوكالة الاستخلاف من الله إلى عباده، أو من المتقدم الموروث إلى المتأخر الوارث، وأنهم لا يملكونه ملكا مطلقا، بل سيورثونه لمن بعدهم مرغمين.

قوله (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) الفاء لتفريع الوعد على الأمر، وفي الوعد بالجميل ما لا يخفى من المبالغات، حيث جعل الجملة الأسمية وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق وكرر الإسناد وفخّم الأجر بالتنكير ووصِف بالكبير، كما قال أبو السعود في تفسيره. أه.

و(من) في (منكم) للتبعيض، وتقديم (لهم) للاهتمام، والأجر الثواب، وفي تكرار الإنفاق في الآية والوعد عليه دلالة انطباقها على سبب نزولها، فقد ذكر أنها نزلت وقت العسرة، في تجهيز الجيش الذاهب إلى تبوك.

قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

قوله (وما لكم لا تؤمنون بالله) استفهام إنكاري يفيد التوبيخ، وجملة (لا تؤمنون بالله) موقعها الحال من الضمير في (لكم)، والمعنى: أي شيء حصل لكم غير مؤمنين، كأنه سأل عن السبب الذي جعلهم غير مؤمنين بالمعنى التحقيقي الذي تبين آثاره في الطاعة والإنفاق.

قوله (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) الواو للحال، توبيخ بعد توبيخ أي: لا عذر لكم في ترك الإيمان الفعلي الذي من آثاره إنفاقكم في حال أن الرسول ﷺ يدعوكم إليه ويحثكم عليه، واللام في (لتؤمنوا) للعلة، وإنما قال: (لتؤمنوا بربكم) ولم يقل: لتؤمنوا بالله، لبيان علة إيجاب الإيمان وهو كونه الله ربهم الذي يملكهم.

قوله (وقد أخذ ميثاقكم) الجملة حال بعد حال، زيادة في قطع المعذرة والتوبيخ، وفاعل (أخذ) الرسول ﷺ، أوفق في الاحتجاج من أن يكون الله، أي: أخذ العهد على إيمانهم بالوحدانية والرسالة بالسمع والطاعة.

قوله (إن كنتم مؤمنين) أي: إن كنتم مؤمنين حق الإيمان بالله ورسوله، ومن أثره الإنفاق.

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) جملة استئناف وتقرير لما سبق، وفعل التنزيل مجاز من الوحي، و(على) حرف استعلاء مجازي مناسب لمقام العلو في التنزيل، والهاء في (عبده) عائدة إلى الله تعالى والإضافة للتشريف، إشارة إلى نبيه ﷺ، والآيات البينات آيات الكتاب العزيز ليس أبين منها ولا أوضح في الدلالة على معجزتها ودعوتها إلى الوحدانية.

قوله (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) جملة تعليل، أي: ليخرجكم من الكفر إلى الإيمان، وفاعل (يخرجكم) الله أو النبي ﷺ كلاهما يصحان، واستعار الظلمات للكفر والنور للإيمان بجامع التخبط والاهتداء في كل على التوالي.

قوله (وإن الله بكم لرؤف رحيم) الإظهار للفظ الجلالة للتعظيم، وتقديم (بكم) على عامله للاهتمام، ودلالة الرؤوف الرحيم أن أوامره تعالى السابقة للمؤمنين تصب في مصلحتهم، ويوصلهم الالتزام بها إلى سعادة الدارين.

قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٠ ﴾

قوله (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله) الاستفهام للتوبيخ، أي: أي عذر يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، والإتيان بتعيين المنفق فيه في جملة (في سبيل الله) لإفادة تشديد التوبيخ، فسبيل الله طريقه الموصل إلى جنته وهو القتال في سبيله، وبذلك يتأيد سبب النزول في غزوة تبوك.

قوله (ولله ميراث السماوات والأرض) الجملة حالية، أي: لا عذر لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله في حال أنه يرجع إليه ميراث السموات والأرض.

وإظهار (لله) في موضع إضماره لتشديد التوبيخ، وتقديمه للقصر، و(ميراث) مصدر بمعنى الإرث والتراث، استعارة من انتقال ملك السابق الراحل إلى اللاحق، ويراد بها فناء الخلق جميعا ورجوع ملك كل شيء في السموات والأرض ـ ومنها المخاطبون ـ إلى المالك المتصرف الحقيقي وهو الله تعالى.

قوله (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) استئناف لبيان التفاوت في أجر الملبين لأمر الإنفاق، وبين المتأخرين، وفيه ترغيب وتربية لنفوس المؤمنين في التعجيل بطاعة أمر الله ورسوله في مسائل الإنفاق لصلتها

بتجهيز أسباب الجهاد وقتال الأعداء، وعطف القتال على الإنفاق دال على أنه إنفاق في سبيل الله وهو الجهاد.

ونفي الاستواء معناه نفي التساوي في الأجر والمنزلة عند الله، والفتح أصله الكشف والإزالة، واستعمل اتساعا لفتح المدن، فأصبح تعريفه دالا على فتح مكة أو صلح الحديبية التي كان من آثارها فتح مكة.

وقسيم الذي أنفق قبل الفتح وقاتل محذوف للإيجاز لظهوره في الكلام، وتقديره: ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل.

ولا ريب في أن أثر الآية كبير في نفوس المؤمنين فقد ذكر في الدر المنثور بإسناده عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) قال أبو الدحداح: والله لأنفقن اليوم نفقة أدرك بها من قبلي ولا يسبقني بها أحد بعدي، فقال: اللهم كل شيء يملكه أبو الدحداح، فإن نصفه لله، حتى بلغ فرد نعله، ثم قال: وهذا. انتهى.

قوله (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لفظ الإشارة للبعيد لتعظيم المشار إليهم، والتنويه بما سيخبر عنهم من جميل الصفات، ولفظ الدرجة كناية عن رفيع المنزلة وعلوها عند الله، وبناء الظرف (من بعد) لأنه مقطوع عن الإضافة، أي: من بعد الفتح، وهم إنما نالوا تلك المنزلة فصاروا أعظم درجة من المنفقين بعد الفتح لأنهم كانوا مخلصين في إنفاقهم وقتالهم غير طامعين في غنيمة الحرب ورجوع مالهم، لأن ذلك قبل عزة الإسلام وقوة أهله، حيث حرج الحاجة إلى الإنفاق.

قوله (وكلا وعد الله الحسنى) أي: وكل من الفريقين، المعجلين في الإنفاق والمتأخرين وعدهم الله المثوبة الموصوفة بالحسنى، وهي الجنة، إذ لا أحسن منها، وفي الكلام تطييب لخاطر المتأخرين وأنهم ليسوا بمحرومين من المثوبة.

قوله (والله بما تعملون خبير) إظهار لفظ الجلالة للتعظيم، والخبير العليم، وفي مضمون الإخبار التلويح بالوعد والوعيد.

قال تعالى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) الكلام لترغيب المؤمنين على الإنفاق، والاستفهام مستعمل في معنى الترغيب والتحريض، و(ذا) اسم إشارة مزيد للتأكيد، والقرض أخذ المال على سبيل الدين، وإقراض الله مجاز من الإنفاق في سبيله، وسماه (قرضا حسنا) أي قرضا من غير منة وعبوس بل عن طيب نفس وبشاشة، والفاء لتفريع السبب، على الإقراض، وهو مضاعفته أمثالا للمقرض.

وفعل القرض استعارة من الإنفاق في سبيل الجهاد عن طيب خاطر ونفس، شبهه بمن يقرض الله بجامع ضمان الرد، وتعظيم الأجر.

وفي الصورة ندب بليغ للحث على الإنفاق، وتلميح برد ما ينفق مضاعفا في الدنيا والآخرة بشرط أن يكون الإنفاق خالصا لوجهه تعالى، وللطفه تعالى سماه قرضا وضاعف الأجر عليه، مع أنه المالك الحقيقي له.

قوله (وله أجر كريم) أي: زيادة على المضاعفة، له أجر جزيل لا يعلم غايته غيره سبحانه.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) الظرف (يوم) متعلق بقوله (وله أجر كريم)، يراد به يوم القيامة، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل مخاطب، والرؤية عيانية، وتعريف المؤمنين والمؤمنات للإطلاق لا للعهد يشمل مؤمني الأمم كلهم، وجملة (يسعى) محلها الحال، أي: في حال يسعى المؤمنون والمؤمنات إلى درجات السعادة ونورهم أمامهم وفي يمينهم دليلهم إلى ذلك.

ففعل السعي أصله المشي السريع، وإسناد النور إليه على سبيل المجاز العقلي لأن الحقيقة أن المؤمنين والمؤمنات هم الذين يسعون، والتركيب (بين أيديهم) كناية عن الأمام، والباء في (بأيمانهم) بمعنى (في)، والأيمان جمع يمين وهو أمارة ظفرهم وفوزهم بالجنة.

وذكر المؤمنات مع إمكان دخولهم في جملة المؤمنين للاهتمام بمساواة المنزلة في الجزاء على التكاليف.

قوله (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي يقال لهم: بشراكم، لطمأنتهم من أهوال القيامة، والقائلون الملائكة بأمر من الله، وتعريف اليوم للعهد أي يوم الحساب، وارتفاع (جنات) بتقدير: جزاؤكم جنات تجري من تحتها الأنهار.

ونصب (خالدين) على الحال، زيادة في بشارتهم، بأنهم باقون دائمون في الجنات لا موت فيها ولا فراق.

قوله (ذلك هو الفوز العظيم) اسم الإشارة للتعظيم والتنويه، لاختصار سعي النور وبشارة الملائكة وقصره في الفوز الموصوف بالعظمة، والجملة من تمام كلام الملائكة.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) الظرف بدل من (يوم ترى)، وذكر المنافقين والمنافقات لإفادة مقابلته بالمؤمنين والمؤمنات وفيه اتصال بسياق الإنفاق.

قوله (انظرونا نقتبس من نوركم) الإنظار بمعنى الانتظار، وهم يقولون ذلك لأنهم يرون المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة ودليلهم نورهم، بينما هم في ظلمة يتخبطون تسوقهم الزبانية إلى النار، فيسألون المؤمنين المارين بهم الإمهال ليلحقوا بهم ويقتبسوا من نورهم فيهتدوا به في طريقهم.

قوله (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) فيأتيهم النداء من الملائكة أو من أصحاب الأعراف، أن ارجعوا إلى ما كنتم من كفر في الدنيا والتمسوا النور من أعمالكم فيها.

والأمر في (ارجعوا) على سبيل التهكم والتعجيز، ولفظ (وراءكم) مجاز من دار التكليف اتي كانوا فيها، والفاء في (فالتمسوا) لتفريع السبب على الأمر، والالتماس الطلب برفق، وأريد بالنور خصوص ما رأوا، وهو من أثر الأعمال.

قوله (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الفاء للتفريع، والضرب مجاز للتثبيت، والضمير في (بينهم) راجع إلى المؤمنين والمنافقين، أي: بين المؤمنين وبين المنافقين، والباء مزيدة للتأكيد، و(سور) الحائط الذي يفصل داخل المدينة عن خارجها، وتنكيره للنوعية.

وجملة (له باب) محلها الصفة للسور، وجملة (باطنه فيه الرحمة) صفة للباب، فالهاء في (فيه) ولفظ الباطن عائدان إلى الباب، وشبه الجملة (فيه الرحمة) محلها الخبر للمبتدأ (باطنه)، وكذا جملة (ظاهره) مبتدأ، وما بعده خبر له. والهاء في (ظاهره، وقبله) راجعان إلى الباب.

واشتمال باطن الباب على الرحمة إشارة إلى المؤمنين المحجوبين من الداخل في الجنة عن المنافقين، وأما ظاهر الباب وهو خارجه فهو للمنافقين، ومن الجهة التي أمامه عذاب النار، وهم بعد يرون تنعم المؤمنين فيزيد ذلك من حسرتهم.

ولا يبعد أن يكون هذا السور المضروب هو الأعراف في قوله تعالى (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال) [الأعراف: ٤٦]، وقيل غيره.

قال تعالى ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى) أي: المنافقون ينادون المؤمنين مستفهمين متحسرين ألم نكن معكم في الدنيا على دين واحد، فلماذا افترقنا الآن، فيجيبهم المؤمنون بما أجابوا في الآية.

وضمير الجمع في (قالوا) راجع إلى المؤمنين والمؤمنات، و(بلى) يجاب بها عن الاستفهام المنفي لإثبات جوابه، أي: بلى كنا معكم على ظاهر الدين.

قوله (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني) الاستدراك بـ (لكن) للإضراب عما غالط المنافقون به أنفسهم في كونهم مع المؤمنين في الدين، لإبطال مزعمهم، فعدوا عليهم أسباب ما فرق بينهم في الإيمان، فمعنى (فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق، لأن عاقبة إظهار الإيمان واستبطان الكفر الهلاك، ومعنى (وتربصتم) أي وانتظرتم إحاطة الدوائر بالدين وأهله،

ومعنى (وارتبتم) أي: وشككتم في صحة دينكم، ومعنى (وغرتكم الأماني) أي: خدعتكم أباطيل نفوسكم ومنها أن أمر دين الإسلام سينتكس ويتركه أهله.

قوله (حتى جاء أمر الله) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، ومجيء أمر الله مجاز من نزول أسباب الموت لأنها تكون بأمره سبحانه.

قوله (وغركم بالله الغرور) جملة محلها الحال، أي: جاءكم أمر الله في حال من إغراء الشيطان لكم بأن الله عفو كريم لا يعذبكم، فلفظ الغرور مبالغة في الاغترار والخديعة كناية عن الشيطان.

قال تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) الكلام من تتمة خطاب المؤمنين والمؤمنات للمنافقين، والفاء للتفريع، ولفظ اليوم أي اليوم الذي هم فيه، وجملة النفي لتأييس المنافقين من النجاة من النار، فلا فدية اليوم من مال أو ناصر يفتدون بها أنفسهم من عذاب النار، وقرنوا معهم بالنفي أهل الكفر لأنهم في منزلتهم.

قوله (مأواكم النار هي مولاكم) الفصل لأنها تعليل للنفي، والمأوى المستقر الذي يؤوى إليه، وقصر ولاية النار فيهم على سبيل التهكم أي اطلبوا منها ما تحتاجون من مأكل ومشرب وملبس، فإن أكلها الزقوم وشربها الحميم وثيابها مقطعات النيران.

قوله (وبئس المصير) جملة ذم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس النار المصير، ولم يقل: بئس المأوى، على سبيل التفنن في التعبير، فإن المصير المنقلب، والمأوى المستقر.

قال تعالى ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾

قوله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) الاستفهام لعتاب المتلبسين بالإيمان بسبب تباطئهم في الإنفاق في سبيل الله، فقد روي: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت: (ألم يأن للذين آمنوا). ذكر في الدر. انتهى.

والأني، من أنى يأني، أي: حان وقته، واللام في (للذين آمنوا) للتبيين، وخشوع القلوب كناية عن تأثر النفوس بالإيمان، لأنه اعتقاد بالقلب يظهر أثره على الجوارح والأعمال وفيه إشارة إلى أن الإنفاق من أثره.

واللام في (لذكر الله) للغاية، أي: لأجل ذكر الله، وهو آياته النازلة في القرآن فهي خير ما يذكر به الله ويخشع له القلب، والعطف في قوله (وما نزل من الحق) كناية عن القرآن فإنه هو النازل بالوحي من الله الحق، وذكر لفظ الحق لأن المشركين أنكروه واتهموه بالباطل.

والجمع بين (ذكر الله) و (نزل من الحق) للقرآن باعتبار أن الوصفين يستدعيان لخشوع المؤمن لله.

قوله (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) العطف على (تخشع)، أي: وألا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى من قبلهم في قساوة القلب وانتفاء الخشوع، ولفظ الكتاب للعهد أي التوراة والإنجيل، وإيتاؤه مجاز من تلقي العلماء علوم الكتاب، والبناء في الظرف (من قبل) أي: من قبلهم، أي من قبل المؤمنين.

قوله (فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) الفاء للتفريع والفاء الثانية لتفريع النتيجة على السبب، أي: فطال عليهم الأجل بينهم وبين أنبيائهم، وغلبتهم جفوة الطبع وانزاح أثر الخشوع من قراءة الكتابين، فكان من أثره قسوة نفوسهم كالحجارة أو أشد قسوة.

قوله (وكثير منهم فاسقون) أي: وكثير من أهل الكتاب خارجون عن طاعة الله إلى معصيته، فلا تكونوا مثلهم.

قال تعالى ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ ﴾

قوله (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) الكلام تمثيل للمؤمنين لإحياء قلوبهم بعد عتابهم على تأخرهم في الإنفاق بسبب ضعف خشوعهم وتأثرهم بالقرآن.

وإحياء الله للأرض استعارة من إخراجها للنبات بالغيث، وموتها استعارة لجدبها، والصورة للترغيب في الخشوع والتحذير من قساوة القلب.

قوله (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي: قد وضحنا لأجلكم الحجج الباهرات ومن جملتها هذه الآيات رجاء أن تعقلوها وتصلوا بها إلى الفوز بجنة الله.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله (إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) الاستئناف للاهتمام بالترغيب في الإنفاق، ولذا أعيد القرض والوعد بمضاعفته، وأضيف إلى حكمهم المتصدقون والمتصدقات.

وعطف (وأقرضوا) وهو جملة على (المصدقين) وهو مفرد، لأن اللام في المفرد بمعنى الموصول، فكان بقوة حكم الجملة، بتقدير: إن الذين تصدقوا واللاتي تصدقن وأقرضوا، وهو إنما لم يقل: إن المصدقين والمقرضين، لحمل معنى التصدق على الإقراض لله ترغيبا في التصدق.

قوله (ولهم أجر كريم) أي: ولهم أجر موصوف بالنفاسة والكثرة.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ﴾

قوله (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) ضمير الجمع في اسم الموصول وفي فعل الإيمان، وفي جمع الرسل للإشارة إلى المؤمنين الذين يصدق عليهم أثر الإيمان من المسلمين ومن أهل الكتاب عامة.

وضمير الفصل للقصر، وتعريف لفظ الصديقين قصر ثان، والصديقون الذين كثر في قولهم فعلهم الصدق، أو الذين طابق الصدق في قولهم على فعلهم، ولفظ الشهداء يراد بهم شهداء الأعمال، لا الشهداء بمعنى المقتولين في سبيل الله، والمراد إلحاقهم بهاتين الطبقتين، والكلام في معنى قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) [النساء: ٦٩].

قوله (لهم أجرهم ونورهم) ضمير الجمع الأول في (لهم) عائد إلى المؤمنين المذكورين، والضمير الثاني والثالث في (أجرهم ونورهم) عائد إلى الصديقين والشهداء، أي: لهم أجر الصديقين والشهداء ونورهم.

قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهم القسيم المقابل للمؤمنين، الكافرون المصرون على الكفر بدلالة تكذيبهم بآيات الله وحججه وبراهينه.

وإضافة الآيات إلى نون العظمة لتبشيع كذبهم بها، ولفظ الإشارة (أولئك) لاستحضار حالهم للإخبار عنهم بما يستحقون من ملازمة عذاب الجحيم ملازمة لا يبارحونه أبدا.

والآية عرضت الفريقين: المؤمنين حقا، والكافرين المصرين على الكفر، ولم تعرض فريقا بينهما، وهم المؤمنون الذين خالطوا إيمانهم بالمعاصي، ترغيبا في تصور اللحاق بخلص المؤمنين، قال في الميزان: وهذا دأب القرآن في كثير من موارد التعرض لشأن الناس يوم القيامة، وذلك ليكون بعثا لقريحتي الخوف والرجاء في ذلك الفريق المتخلل بين الخيار والشرار، فيميلوا إلى السعادة ويختاروا النجاة على الهلاك. انتهى.

قال تعالى ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾

قوله (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) الكلام تمثيل للتزهيد بالدنيا لأنه السبب في مسك اليد عن الإنفاق موضوع السورة.

وقصر الدنيا على ما ذكرت الآية لأن تلك حقيقتها، باعتبار أنها ليست الغاية بل الوسيلة إلى طلب الغاية وهي الدار الآخرة.

واللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد كلها أعراض زائلة من آثار الدنيا لا تضيف للإنسان كمالا نفسيا من دون نقاء تعلق القلب بربه والإخلاص له في طاعته.

واللعب ضياع القصد، واللهو الانشغال بما هو تافه عما هو مهم، والزينة التجميل الخارجي من دون صلة بالجوهر، والتفاخر المباهاة الفارغة، والتكاثر الكثرة.

قوله (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) الكلام لتمثيل زينة الحياة الدنيا بأسلوب التشبيه المركب، فهي في حال زينتها في كثرة الأموال والأولاد واللذائذ المختلفة كمثل النبات الذي سقي بالغيث ينمو فيزداد خضرة وجمالا ثم يذبل فيعود مصفر الورق لينتهي به المطاف حطاما هشيما كأن لم كما كان.

والغيث مطر السماء، والكفار الحراث، والعرب تقول للزارع: كافر، لأنه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض، و(نباته) أي: النبات الحاصل بسبب الغيث، و(ثم) للتراخي الترتيبي، و(يهيج) بمعنى: ييبس ويجف بعد خضرته

ونضارته، والفاء في (فتراه) لتفريع ترتيب الرؤية على جفاف النبات، لأن اصفراره مقارن لجفافه.

و(ثم) الثانية للتراخي الترتيبي في الكلام، والكون دال على ثبا مصيره المحتوم وهو الحطام أي الهشيم المتكسر الذي يذهب هباء تحمله الريح فلا يبقى له أثر، والمثل ذكر في سورة يونس.

قوله (وفي الآخرة عذاب شديد) التقديم للاهتمام، ولفظ الآخرة توصيف لموصوف مقدر: الحياة الآخرة، مقابل الحياة الأولى، والإيعاد بالعذاب الشديد لأنه من أثر الانغماس في ملذات الدنيا ونسيان الآخرة.

قوله (ومغفرة من الله ورضوان) العطف ليقابل المعطوف في المعنى ترغيبا فيه وتنفيرا مما قبله، وتنكير (مغفرة، ورضوان) للتعظيم، وتقديمها على الرضوان لإفادة تطهير المحل ليحل به الرضوان، وتوصيفها بأنها من الله من دون العذاب كما ذكر السيد في الميزان: لا يخلو من إيماء إلى أن المطلوب بالقصد الأول هو المغفرة، وأما العذاب فليس بمطلوب في نفسه، وإنما يتسبب إليه الإنسان بخروجه عن زي العبودية. انتهى.

قوله (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) جملة تقرير لما سبق، قصرت حقيقة الحياة الدنيا في المتاع المؤقت الذي سمته بالغرور.

قال تعالى ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾

قوله (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) المسابقة المغالبة في السبق، وجعل المغفرة غاية المسابقة من باب الاستعارة التمثيلية، أي: سابقوا إلى عمل الأعمال التي من شأنها أن تسرع إلى نيل غفران ربكم، وإضافة الرب إلى كاف خطابهم لتحريضهم على المسابقة كونه وليهم ومولاهم الذي يغفر لمسيئهم كما يغفر السيد لمولاه.

قوله (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أي: وسابقوا إلى نيل جنة عرضها كعرض السماء والأرض مجتمعين، والتشبيه لتمثيل منتهى سعة الجنة، وتقديم المغفرة على الجنة لأن عالم الجنة عالم النقاء والخلو من كل القاذورات والأدناس المادية والمعنوية.

قوله (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) أي: هيئت لأجل الذين آمنوا إيمانا حقيقيا بالله ورسله من مؤمني الأمة والأمم الموحدة من أهل الكتاب، والإخبار عن إعدادها زيادة في التشويق إلى الجنة.

قوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أي ذلك الوعد بالمغفرة والجنة فضل من الله، لأنه من عطائه سبحانه، يعطيه من يشاء تفضلا وإحسانا لا لاستحقاق موجب عليه.

قوله (والله ذو الفضل العظيم) إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار لإفادة تسييره مثلا في الأذهان، ووصف الفضل بالعظيم لأنه لا منتهى له.

قال تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب) الكلام في بيان أن عالم الدنيا محل مصائب وابتلاءات محتومة بقضاء الله.

والنفي والاستثناء للقصر، والإصابة للتعيين، و(من) مزيدة لتأكيد العموم، والمصيبة في الأرض كالزلازل والآفات التي تصيبها من جدب وفساد في زروعها، والمصيبة في الأنفس كالعاهات والعلل، والقتل والأذى، و(في) للاستقرار الظرفي، و(كتاب) إشارة إلى اللوح المحفوظ الذي فيه علم الله لما كان وما يكون، وما هو كائن، وتنكيره للتعظيم.

قوله (من قبل أن نبرأها) أي: من قبل أن نخلق النفس أو المصائب أو الأرض، والبرء الخلق من عدم.

قوله (إن ذلك على الله يسير) أي: إن ذلك الإثبات للمصائب قبل وقوعها والحكم بحدوثها فلا تتغير سهل يسير عليه تعالى.

قال تعالى ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) جملة تعليل لما أخبر عن كتابة الأحداث قبل وقوعها، وهو كي يخف ثقل فوات النعمة على الإنسان أو فرحه بتحصيلها، وذلك لعلمه أن ذلك مقدر من الله كائن لا محالة، والأسى الحزن، والفرح السرور والبطر، وإسناد الفوات إلى الأشياء والإيتاء إلى الله، لأن الفوات والعدم ذاتي للأشياء، فلو خليت ونفسها لم تبق بخلاف حصولها وبقائها، فإنه لابد من استنادهما إلى الله سبحانه. قاله السيد في الميزان. انتهى.

ومن هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)، ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه. انتهى.

قوله (والله لا يحب كل مختال فخور) نفي الحب مجاز من عقابه، والمختال المتكبر، والفخور المتباهي الكثير الفخر، وكلتا الصفتين من أوهام النفس الباطلة التي تصور تميز نفسه هو السبب في استحقاق النعم.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) الجملة تعليل لنفي حب الله لكل مختال فخور، وهو أنهم يمسكون أيديهم عن الإنفاق، ويأمرون الناس أن يكونوا مثلهم، حتى لا يذموا بالبخل لأن شيوع السخاء يفضحهم.

قوله (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) أي: ومن يعرض عن الإنفاق في سبيل الله ولم يتعظ بمواعظ الله فإن الله تعالى هو الغني عن إنفاقهم المحمود في أفعاله.

وحذف صلة (يتولى) للإيجاز دل عليه سياق الكلام في الأمر بالإنفاق، والجملة الإسمية (فإن الله هو الغني الحميد) محلها الجزم جواب (من) الشرطية.

قال تعالى ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ ﴾

قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) أي: وأقسم لقد أرسلنا رسلنا متلبسين بالحجج والبراهين على صحة نبوتهم، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان.

والمراد بالكتاب الشرائع التي جاءت بها الكتب السماوية وهي: كتاب نوح وصحائف إبراهيم، وتوراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمد ﷺ، وقيل

إن المراد بالميزان الدين الذي به يوزن عقائد الناس وأعمالهم، وقيل: العقل، وقيل: آلة الميزان.

قوله (ليقوم الناس بالقسط) جملة تعليل للإنزال، وفعل القيام إشارة إلى الاهتمام والتدبير في شؤون معاملاتهم، وجملة (بالقسط) محلها الحال، أي: متلبسين بالعدل.

قوله (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فعل الإنزال هنا بمعنى: وجعلنا، أو بمعنى وخلقنا، كقوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)، باعتبار أن أوامره تعالى وأحكامه تنزل من السماء.

والحديد هو المعدن الثقيل المتراص الأجزاء، وجملة (فيه بأس شديد) محلها الحال، والبأس القوة، وجملة (ومنافع للناس) معطوفة على الحال.

ومناسبة ذكر الحديد وصفاته ليست بعيدة عن سياق الآيات المتحدثة عن الجهاد والدعوة إلى الإنفاق في تجهيز المقاتلين بالأسلحة من السيوف والتروس ونحوها، وهي كلها آلات حرب يكون الحديد مادتها.

قوله (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) التعليل معطوف على محذوف تقديره: وأنزلنا الحديد ليستعملوه وليعلم الله كذا، والعطف في (ورسله) بمعنى: وينصر رسله، وجملة (بالغيب) محلها الحال من (ينصر).

قوله (إن الله قوي عزيز) جملة تذييل، مبينة لغنى الله عن نصرتهم، لأنه قوي لا يقهر عزيز غير مغلوب على أمره، وأن تكليفهم بالجهاد لأجل أنفسهم في تحصيل الثواب والظفر بالجنة.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) الكلام تفصيل لما أجمل في قوله (لقد أرسلنا رسلنا)، والقسم والتحقيق للاعتناء بالإخبار، وخص نوحا بالذكر لأنه أقدم الأنبياء الذي به بدأت سلالة البشر من جديد بعد الطوفان، وخص من بعده إبراهيم بالذكر لأنه من ذرية نوح، وهو بعد - أي إبراهيم - حصر الله تعالى الأنبياء في ذريته.

قوله (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) الفاء للتفريع، و(من) الأولى في (منهم) تفيد التبعيض، والثانية تفيد التبيين، وكلا الضميرين فيها عائدان إلى الذرية.

والإخبار غيبي من أخبار القرآن، أكد فيه قلة المهتدين من ذرية نوح وإبراهيم وكثرة الفاسقين الخارجين عن طاعة ربهم.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ

وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾

قوله (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، و(قفينا) أي: أرسلنا رسولا بعد رسول، والتقفية كما قال في المجمع: التقفية جعل الشيء في إثر شيء على الاستمرار فيه، ولهذا قيل لمقاطع الشعر قواف إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه. انتهى.

وتقديم الجار والمجرور (على آثارهم) للاهتمام، و(على) مجاز للتمكين، ولفظ الآثار استعارة لاتباع الطريقة والسنة، والضمير الجمعي عائد إلى نوح وإبراهيم والسابقين من ذريتهما.

والباء في (برسلنا) لتعدية فعل التقفية، وجمع الرسل لأنهم كثرة من الأنبياء المرسلين بعد نوح وإبراهيم ومنهم موسى وهارون.

قوله (وقفينا بعيسى بن مريم) أي: وأتبعنا عيسى بن مريم على آثارهم، وذلك لأن عيسى من ذرية إبراهيم، والذرية تشمل الابن والابنة.

قوله (وآتيناه الإنجيل) أي: وأعطيناه الإنجيل، وهو الشريعة المكملة لما في التوراة.

قوله (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) أي: وفق الله الذين اتبعوا عيسى للرأفة والرحمة فيما بينهم فكانوا مسالمين متسامحين.

قوله (ورهبانية ابتدعوها) أي: وابتدعوا رهبانية، والابتداع يراد به هنا اختراع سنة لم يسبقوا إليها، والرهبانية مبالغة من الرهبة وهي الخشية من الله حد انقطاعهم من الناس لعبادته سبحانه.

قوله (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) أي: ما فرضنا الرهبانية عليهم بل هم فرضوها على أنفسهم لابتغاء رضوان الله.

قوله (فما رعوها حق رعايتها) الفاء للتفريع، أي لم يؤدوا حق ما ابتدعوا بل بالغوا فيها وتعدوا حدودها، ويبدو من السياق أن الله رضيها لهم، ولكنهم لما لم يحفظوا ما ألزموا به أنفسهم فذموا على ذلك، وإضافة لفظ الحق إلى الرعاية من إضافة الموصوف إلى صفته أي: الرعاية الحقة.

قوله (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) الفاء لتفريع الأثر على السبب، وهو إتيان المؤمنين منهم ثوابهم.

قوله (وكثير منهم فاسقون) أي: وكثير منهم خارج عن طاعة الله، ودينه، وفي المجمع، عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار، فقال: يا بن أم عبد، هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى، يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان، فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا، ولم يبق للدين أحد يدعو إليه،

فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى ﵇، يعنون محمدا ﷺ، فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) إلى آخرها، ثم قال: يا بن أم عبد، أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة، والجهاد، والصلاة، والصوم، والحج، والعمرة. انتهى.

أقول: والرواية تؤيد كون عدم رعايتهم الرهبانية حق رعايتها بسبب نقضهم نبوة النبي ﷺ.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) تأكيد مرة بعد مرة للإيمان الحقيقي الذي يبين أثره على الفعل، ووعد من الله عليه بإتيانهم ضعفين من رحمته وثوابه، كما يؤتي من آمن بالنبي ﷺ من أهل الكتاب كفلين.

وتقوى الله التزام أوامره ونواهيه، ومعنى (آمنوا برسوله) أي: آمنوا بمحمد ﷺ إيمانا يتضح أثره في طاعتكم له ومنها سرعة استجابتكم للإنفاق، أما القول بأن الخطاب لأهل الكتاب فهو يبعده السياق.

قوله (ويجعل لكم نورا تمشون به) العطف وعد ثان للمؤمنين بالكرامة وتمام الهداية، ولفظ النور استعارة لهداية الله وعنايته يستضيء بها المؤمن في سعيه إلى درجات الكمال، أو كما قيل يراد بها مشيه يوم القيامة نظير قوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) [الحديد: ١٢]، والباء في (به) للاستعانة.

قوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم) وهو من تمام الوعد للمؤمنين يوم القيامة، وهو غفران الله لهم، والله تعالى موصوف بكثرة الغفران والرحمة.

قال تعالى ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾

قوله (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) جملة تعليل للأمر بالإيمان والوعد بالمغفرة والنور وإيتاء كفلين من الرحمة، بمعنى: إنما أمر الله بالإيمان مرة بعد مرة وبالمغفرة والنور وإيتاء الرحمة كفلين حتى لا يعتقد أهل الكتاب أن المؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله، وأن ذلك الفضل محصور بالمؤمنين بالنبي ﷺ من أهل الكتاب، فقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنبي ﷺ من أهل الكتاب مثل ذلك في قوله تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) [القصص: ٥٤]، وقيل إنهم افتخروا بذلك على المؤمنين فنزلت الآية.

و(لا) النافية في (لئلا) مزيدة، و(أن) في (ألا) مخففة من الثقيلة، وواو الجمع في (يقدرون) راجع إلى المؤمنين، ولفظ الفضل الزيادة على الاستحقاق في العطاء.

قوله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) العطف على (يعلم) بمعنى: ولأن الفضل بيد الله، ولفظ اليد مجاز مرسل من العطاء بعلاقة السببية، لأن العطاء يكون باليد عادة، وإتيانه لمن يشاء لأنّ ذلك من كمال شؤونه تعالى في ربوبيته.

قوله (والله ذو الفضل العظيم) التصريح بلفظ الله إظهار في موضع الإضمار للقصر والتعظيم، فهو الله وحده صاحب الفضل الجزيل، والله العالم.

المحتويات

تفسير سورة الحجرات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ۝١ ﴾ ١-٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ... ۝٢ ﴾ ٣-٤

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ... ۝٣ ﴾ ٤-٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾ ... ٥-٦

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ ... ۝٥ ﴾ ... ٦-٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ ... ۝٦ ﴾ ٧-٨

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ... ۝٧ ﴾ ٨-٩

﴿ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ ﴾ ١٠

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ ... ۝٩ ﴾ ١٠-١١

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... ۝١٠ ﴾ ١١-١٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن ... ۝١١ ﴾ ١٢-١٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ... ۝١٢ ﴾ ١٦-١٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا ... ١٣ ﴾ ١٩-٢١

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ ... ١٤ ﴾ ٢٢-٢٣

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ ... ١٥ ﴾ ٢٤-٢٥

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ١٦ ﴾ ٢٥-٢٦

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ ... ١٧ ﴾ ٢٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ ... ١٨ ﴾ ٢٧

تفسير سورة ق

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ١ ﴾ ٢٨-٢٩

﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا ... ٢ ﴾ ... ٢٩-٣٠

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ٣ ﴾ ٣٠

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ٤ ﴾ ٣٠-٣١

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ٥ ﴾ ٣١-٣٢

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ... ٦ ﴾ ... ٣٢-٣٣

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ ... ﴿٧﴾ ﴾ ٣٣

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ ٣٣-٣٤

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ ... ﴿٩﴾ ﴾ ٣٤

﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ ٣٥

﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ ٣٥-٣٦

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ ٣٦-٣٧

﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ٣٧

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ ٣٧-٣٨

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ ٣٨

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ ... ﴿١٦﴾ ﴾ ٣٩

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ٣٩-٤٠

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ٤٠-٤١

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ ٤١-٤٢

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٤٢-٤٣

﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ ﴾ ٤٣

﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ... ٢٢ ﴾ ٤٣-٤٤

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ ﴾ ٤٤-٤٥

﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ ﴾ ٤٥

﴿ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ﴾ ٤٥-٤٦

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ ﴾ ٤٦

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ٢٧ ﴾ ٤٦-٤٧

﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ ﴾ ٤٧-٤٨

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ ﴾ ٤٨-٤٩

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠ ﴾ ٤٩-٥٠

﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ ﴾ ٥٠

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ ﴾ ٥٠-٥١

﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ﴾ ٥١

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ ﴾ ٥١-٥٢

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ ﴾ ٥٢
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا ... ٣٦ ﴾ ٥٢-٥٣
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ... ٣٧ ﴾ ٥٣-٥٤
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ... ٣٨ ﴾ ٥٤-٥٥
﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ ... ٣٩ ﴾ ٥٥-٥٦
﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠ ﴾ ٥٦-٥٧
﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ ﴾ ٥٧
﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ٤٢ ﴾ ٥٧
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣ ﴾ ٥٨
﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤ ﴾ ٥٨-٥٩
﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ... ٤٥ ﴾ ٥٩-٦٠

تفسير سورة الذاريات

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ ﴾ ٦١-٦٢
﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ ﴾ ٦٢

﴿ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ ﴾ ٦٣

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ ﴾ ٦٣-٦٤

﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ ٦٤-٦٥

﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾ ﴾ ٦٥

﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ٦٦

﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾ ٦٦-٦٧

﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ ... ﴿١٤﴾ ﴾ ... ٦٧

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ ... ﴿١٦﴾ ﴾ ٦٨

﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ٦٨-٦٩

﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ٦٩

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ... ٧٠

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ٧٠-٧١

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٧١-٧٢

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٧٣-٧٤

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٧٣

﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٧٣-٧٤

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٧٤-٧٥

﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ٧٥

﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ ٧٥-٧٦

﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٧٦

﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ٧٦-٧٧

﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾... ٧٧

﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ ٧٧-٧٨

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ٧٨

﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ٧٨-٧٩

﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ٧٩

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ ٧٩-٨٠

﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٨٠

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠ ﴾ ٨٠-٨١

﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ ﴾ ٨١

﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢ ﴾ ٨١-٨٢

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ ﴾ ٨٢-٨٣

﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ ﴾ ٨٣

﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥ ﴾ ٨٣-٨٤

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٤٦ ﴾ ٨٤

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ ٨٤-٨٥

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ ﴾ ٨٥

﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ ﴾ ٨٥-٨٦

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾ ٨٦-٨٧

﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ ٨٧

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ ﴾ ٨٨

﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ ﴾ ٨٨-٨٩

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ ٨٩

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ٩٠-٨٩

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ ٩١-٩٠

﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ ٩٢-٩١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ ٩٢

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾ ٩٣

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ٩٤-٩٣

تفسير سورة الطور

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ ٩٦-٩٥

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾ ٩٧

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ ٩٨

﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ﴾ ١٠٠-٩٩

﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ ١٠٠

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ ١٠١

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي ... ۝١٤ ﴾ ١٠١

﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ﴾ ١٠١

﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا ... ۝١٦ ﴾ ١٠١-١٠٢

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ ﴾ ١٠٣

﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ ﴾ ... ١٠٣-١٠٤

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ ﴾ ١٠٤

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ ﴾ ١٠٤-١٠٥

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ... ۝٢١ ﴾ ١٠٥-١٠٨

﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ ﴾ ١٠٨-١٠٩

﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣ ﴾ ١٠٩

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ ﴾ ١٠٩-١١٠

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ ﴾ ١١٠

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ ﴾ ١١٠-١١١

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾ ١١١-١١٢

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾ ١١٢

﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ ﴾ ١١٢-١١٣

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠ ﴾ ١١٣-١١٤

﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١ ﴾ ١١٤

﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ ﴾ ١١٤-١١٥

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ ﴾ ١١٥-١١٦

﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤ ﴾ ١١٦

﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ ﴾ ١١٦-١١٧

﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ ﴾ ١١٧

﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ ﴾ ١١٧-١١٨

﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ ﴾ ١١٨

﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ ﴾ ١١٨-١١٩

﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠ ﴾ ١١٩-١٢٠

﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١ ﴾ ١٢٠

﴿ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢ ﴾ ١٢٠

﴿ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣ ﴾ ١٢١

﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤ ﴾ ١٢١-١٢٢

﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ ﴾ ١٢٢

﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ ﴾ ١٢٢-١٢٣

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧ ﴾ ١٢٣

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ... ٤٨ ﴾ ١٢٤-١٢٥

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩ ﴾ ١٢٥

تفسير سورة النجم

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ ﴾ ١٢٦-١٢٧

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ ﴾ ١٢٧-١٢٨

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ ١٢٨- ١٢٩

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾ ١٣٠

﴿ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ﴾ ١٣١- ١٣٢

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) ﴾ ١٣٢-١٣٣

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ (١٠) ﴾ ١٣٤

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) ﴾ ١٣٤-١٣٥

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) ﴾ ١٣٦

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا ... (١٦) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ...(١٧) ﴾ ... ١٣٧

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ...(١٨) أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ ... (١٩) وَمَنَوٰةَ ... (٢٠) ﴾.... ١٣٨

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢) ﴾ ١٣٩

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ... (٢٣) ﴾ ١٤٠-١٤١

﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥) ﴾ ١٤٢

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ... (٢٦) ﴾ ١٤٢-١٤٣

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ (٢٧) ﴾ ١٤٣-١٤٤

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ ... (٢٨) ﴾ ١٤٤-١٤٥

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٢٩) ﴾ ١٤٥

﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن ... (٣٠) ﴾ ١٤٥-١٤٦

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ... ﴿٣١﴾ ﴾ ١٤٦-١٤٧

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٤٧-١٤٩

﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٤٩

﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ ١٥٠

﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ ... ١٥٠-١٥١

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا ... ﴿٣٩﴾ ﴾ ... ١٥١-١٥٢

﴿ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ ١٥٢-١٥٣

﴿ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ ١٥٣

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ ... ١٥٣-١٥٤

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ ... ١٥٤

﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ ١٥٥

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٥٥-١٥٦

﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ ... ﴿٥٢﴾ ﴾ ... ١٥٦-١٥٧

﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا ... ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ﴿٥٥﴾ ﴾ ... ١٥٧-١٥٨

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ ﴾ ١٥٨- ١٥٩

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ ١٥٩-١٦٠

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ... ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ ... ﴿٦١﴾ ﴾ ... ١٦٠

﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ ١٦٠-١٦١

تفسير سورة القمر

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ ١٦٢-١٦٣

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ ١٦٣

﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ ﴾ ١٦٣-١٦٤

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾ ١٦٤

﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ ١٦٤-١٦٥

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾ ١٦٥

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ ١٦٥-١٦٦

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ ١٦٦-١٦٧

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ ١٦٧-١٦٨

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ... ١١ ﴾ ١٦٨

﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ ﴾ ... ١٦٨-١٦٩

﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن ... ١٤ ﴾ ١٦٩

﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ ﴾ ١٦٩-١٧٠

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ ﴾ ١٧٠

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ ١٧٠-١٧١

﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ ﴾ ١٧١

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ ﴾ ١٧١-١٧٢

﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾ ١٧٢-١٧٣

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ... ٢٢ ﴾ ... ١٧٣

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ ﴾ ... ١٧٣

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤ ﴾ ١٧٣-١٧٥

﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ ﴾ ١٧٥

﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦ ﴾ ١٧٥-١٧٦

﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ ﴾ ١٧٦

﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨ ﴾ ١٧٦-١٧٧

﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩ ﴾ ١٧٧

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٠ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ... ٣١ ﴾ ١٧٨

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ ﴾ ... ١٧٨

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ ﴾ ١٧٩

﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ ﴾ ١٧٩

﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ ﴾ ١٧٩-١٨٠

﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧ ﴾ ١٨٠

﴿ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨ ﴾ ١٨١

﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٩ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ ... ٤٠ ﴾ ١٨١

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ٤١ ﴾ ١٨١

﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ٤٢ ﴾ ١٨١-١٨٢

﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ٤٣ ﴾ ١٨٢

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ ١٨٢-١٨٣

﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ١٨٣

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ ١٨٣-١٨٤

﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ ﴾ ١٨٤

﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ١٨٤-١٨٥

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ ١٨٥

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٨٥-١٨٦

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٍ ... ﴿٥٢﴾ ﴾ ١٨٦

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ ١٨٦-١٨٧

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ ... ﴿٥٥﴾ ﴾ ... ١٨٧

تفسير سورة الرحمن

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ ... ١٨٨-١٨٩

﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ ﴾ ١٨٨-١٨٩

﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ ١٩٠

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ ﴾ ١٩١-١٩٠

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ ﴾ ١٩١

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ... ١١ ﴾ ... ١٩٢-١٩١

﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا ... ١٣ ﴾ ... ١٩٣-١٩٢

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ ﴾ ١٩٤-١٩٣

﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا ... ١٦ ﴾ ... ١٩٤

﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا ... ١٨ ﴾ ... ١٩٥-١٩٤

﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ ﴾ ١٩٦-١٩٥

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ ﴾ ... ١٩٦

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣ ﴾ ١٩٦

﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٢٥ ﴾ ... ١٩٧-١٩٦

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ ﴾ ١٩٧

﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٢٨ ﴾ ... ١٩٨-١٩٧

﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ ﴾ ١٩٩-١٩٨

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ١٩٩

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٩٩-٢٠٠

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ ... ﴿٣٣﴾ ﴾ ٢٠٠-٢٠١

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾ ٢٠١

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ ٢٠١-٢٠٢

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾ ٢٠٢

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ ٢٠٢

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ٢٠٣

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٢٠٣

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴾ ٢٠٣

﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ... ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ﴿٤٢﴾ ﴾ ٢٠٣-٢٠٤

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ٢٠٤

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ﴿٤٥﴾ ﴾ ... ٢٠٤-٢٠٥

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا ... ﴿٤٧﴾ ﴾ ... ٢٠٥-٢٠٦

﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٩ ﴾ ٢٠٦

﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ ﴾ ٢٠٦-٢٠٧

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣ ﴾ ... ٢٠٧

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ ... ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٥٥ ﴾ ٢٠٧-٢٠٨

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ ... ٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٥٧ ﴾ ٢٠٨-٢٠٩

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩ ﴾ ٢٠٩

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٦١ ﴾ ... ٢٠٩-٢١٠

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ ﴾ ٢١٠

﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥ ﴾ ٢١٠-٢١١

﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ ﴾ ... ٢١١

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩ ﴾ ... ٢١١

﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ ﴾ ... ٢١١-٢١٢

﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٧٣ ﴾ ٢١٢

﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ٧٥ ﴾ ... ٢١٢

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ فَبِأَيِّ... ٧٧﴾ ... ٢١٢

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ ٢١٣

تفسير سورة الواقعة

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١﴾ ٢١٤-٢١٥

﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ٣﴾ ٢١٥

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥﴾ ٢١٦

﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧﴾ ٢١٦-٢١٧

﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨﴾ ٢١٧

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩﴾ ٢١٨

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ ٢١٨-٢١٩

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾ ٢١٩

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤ عَلَىٰ سُرُرٖ ... ١٥﴾ ... ٢١٩-٢٢٠

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧﴾ ... ٢٢٠-٢٢١

﴿ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ ... ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا ... ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ ...﴿٢٠﴾﴾ ٢٢١-٢٢٢

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ...﴿٢٣﴾﴾... ٢٢٢-٢٢٣

﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ... ٢٢٣-٢٢٤

﴿ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ... ٢٢٤-٢٢٥

﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٢٢٥-٢٢٦

﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ ...﴿٣٣﴾﴾ ... ٢٢٧

﴿ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ... ٢٢٧-٢٢٨

﴿ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ٢٢٩

﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ٢٢٩-٢٣٠

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ...﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ ... ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن ...﴿٤٣﴾﴾ ... ٢٣٠

﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا ... ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ... ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ ... ﴿٤٦﴾﴾... ٢٣٠-٢٣١

﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا ...﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ٢٣٢

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ... ٢٣٢-٢٣٣

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ...﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ ...﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ... ﴿٥٣﴾﴾ ... ٢٣٣

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ ... ٢٣٤

﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ٢٣٥

﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ... ٢٣٦

﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ٢٣٦-٢٣٧

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا ...﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ...﴿٦٢﴾﴾ ٢٣٧

﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ٢٣٨

﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ ... ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ... ٢٣٨-٢٣٩

﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ... ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ...﴿٦٩﴾﴾ ... ٢٣٩-٢٤٠

﴿ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ٢٤٠-٢٤١

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي ...﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ ...﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا ...﴿٧٣﴾﴾ ٢٤١

﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ ... ٢٤٢

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ ٢٤٢-٢٤٣

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ ٢٤٣

﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ ٢٤٣-٢٤٤

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ ٢٤٤

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ ﴾ ٢٤٤-٢٤٥

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ ٢٤٥

﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ ﴾ ٢٤٥-٢٤٦

﴿ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٥ ﴾... ٢٤٦

﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٨٧ ﴾ ... ٢٤٧

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ ﴾ ... ٢٤٧-٢٤٨

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١ ﴾... ٢٤٨

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٩٣ ﴾ ... ٢٤٨-٢٤٩

﴿ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ ﴾ ٢٤٩

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٩٥ ﴾ ٢٤٩-٢٥٠

﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٩٦ ﴾ ٢٥٠

تفسير سورة الحديد

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ ﴾ ٢٥١-٢٥٢

﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ ... ٢ ﴾ ... ٢٥٢-٢٥٣

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ ... ٣ ﴾ ... ٢٥٣-٢٥٥

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ... ٤ ﴾ ٢٥٥-٢٥٧

﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ ﴾ ٢٥٧

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ ... ٦ ﴾ ... ٢٥٧-٢٥٨

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم ... ٧ ﴾ ٢٥٨-٢٥٩

﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ ... ٨ ﴾ ٢٥٩-٢٦٠

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ... ٩ ﴾ ٢٦٠

﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ١٠ ﴾ ... ٢٦١-٢٦٣

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ... ١١ ﴾ ... ٢٦٣-٢٦٤

﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ ... ١٢ ﴾ ٢٦٤-٢٦٥

﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا ... ١٣ ﴾ ٢٦٥-٢٦٧

﴿ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ... ١٤ ﴾ ... ٢٦٧-٢٦٨

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ... ١٥ ﴾ ... ٢٦٨-٢٦٩

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ ... ⑯ ﴾ ... ٢٦٩-٢٧٠

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ...⑰ ﴾ ... ٢٧٠-٢٧١

﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ... ⑱ ﴾ ... ٢٧١

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ ... ⑲ ﴾ ٢٧٢-٢٧٣

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ... ⑳ ﴾ ٢٧٣-٢٧٥

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ... ㉑ ﴾ ٢٧٦-٢٧٧

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ... ㉒ ﴾ ... ٢٧٧

﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ ... ㉓ ﴾ ٢٧٨

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ ... ㉔ ﴾ ... ٢٧٨-٢٧٩

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ... ㉕ ﴾ ٢٧٩-٢٨١

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ... ㉖ ﴾ ٢٨١

﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ... ㉗ ﴾ ٢٨١-٢٨٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ... ㉘ ﴾ ٢٨٤-٢٨٥

﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ ... ㉙ ﴾ ٢٨٥-٢٨٦